أحمدي نجاد

رجل فى قلب العاصفة

عادل الجوجري

المواجهة والتحديات



أحمدي نجاد

رجل في قلب العاصفة

بالشهادات والوثائق والصور

عادل الجوجري

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

أحمدي نجاد

رجل في قلب العاصفة

بالشهادات والوثائق والصور

اسم الكتاب: أحمدي نجاد رجل في قلب العاصفة

اسم المؤلف: عادل الجوجري

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٤٤٢٥ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-376-207-6

التنفيذ الفني: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفني: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكري كوسا

تصميم الغلاف: كامل جرافيك

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربي - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النوري - أمام البريد - ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

الطبعة الأولى
٢٠٠٦



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ - ص.ب ٣٤٨٢٥ - فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
لبنان - تلفاكس: ٠٥/٤٣٤١٨٦ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب. ٣٠٤٣ الشويفات
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ثمة رجال لا يتسع لهم المكان؛ نفوذهم أوسع من مواقعهم، أدوارهم أكبر من ألقابهم، جاذبيتهم غير قابلة للتطويق أو الاستنزاف أو الحصار، وأحلامهم بحجم وطن أو وقع الزلزال، وأحسب أن الرئيس أحمدى نجاد هو من سلالة الزعماء الذين رضعوا مع لبن الأم ثقافة نبوية رفيعة، وهل ثمة ثقافة أرفع من حديث نبوى للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول فيه: «رأس الأمر وعموده وذِرْوَةِ سنامه الجهاد»؟!

لست أدرى، ما الذى ربط فى ذهنى- عندما شاهدت الرئيس نجاد على الشاشة بعد ساعات من انتخابه رئيساً لإيران- بينه وبين الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، ربما قفز إلى ذهنى ما قاله أرسطو ذات يوم: «التفكير مستحيل بدون صورة».

قفزت صورته من بين عشرات الصور المتداخلة فى نشرة الأخبار، تنبئ بأن زعيماً من وزن عبدالناصر قد جاء إلى المنطقة فى الزمن الصعب، رجل بسيط فى مظهره العام، متقشف فى ملابسه، غير متكلف فى سلوكه، وصلت صورته إلى القلب فاستقرت بسرعة البرق، دخل قلوب العرب، بشجاعته وحسمه وروحه الكربلائية العظيمة، مجاهد فى زمن التراجع، ثائر فى زمن الواقعية الرمادية، حازم ضد الغرب، لكنه واسع الأفق، صبور كما المهاتما غاندى، خاصة وهو يقول (أريد أن تَهُبَّ ثقافات كل الأراضى بمحاذاة منزلى، وبكل حرية، لكنى أرفض أن انقلب بهبوب أية واحدة منها).

إن رجلاً يجمع بين ثقافة الإسلام، وشجاعة الحسين بن على رضى الله عنهما وصبر غاندى، وتحدى عبدالناصر هو لا شك رجل من إيران، التى هى جسر التواصل بين الثقافات والديانات والحضارات وهى أرض الصدام بين الغزاة وأولاد الأرض،

فالإيرانيون يؤمنون بحكمة طازجة رغم كونها عتيقة، وهى حكمة حاضرة فى كل أزمة، تقول ،تصادق حتى مع الذئاب، المهم أن يكون فأسك مستعداً،، فالرئيس أحمدى نجاد جاء فى زمن العولمة حيث الذئاب فى كل ميناء، وحيث كبيرهم الأمريكى يتربص بالمنطقة، نفطاً وماء وجغرافيا، وحيث الذئب الصهيونى الأصغر يلتهم أرض فلسطين، وكأنها فريسة، فيما الذئاب يرقصون فى مجلس الأمن رقصة الشرعية الدولية.

وفى زمن كهذا لابد وأن يكون الفأس جاهزاً، لكن لا فأس بدون رأس، ولا جهاد بدون رجال، من هنا جاء القرار الصعب وهو العودة إلى التخصيب النووى حتى تمتلك إيران أدوات الردع ضد كل من تسول له نفسه تهديدها، تكنولوجىّ أو عسكرىّ، إذ يستحيل على الإيرانى المنقوع فى حضارته العريقة أن يفرش تاريخه سجادة يدوسها العابرون من كل صنف ولون، فقد كانت إيران أو بلاد فارس إمبراطورية فرضت كلمتها على الشرق كله وقت لم يكن هناك شىء اسمه الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت إيران منارة للعلم والفلسفة والطب والفلك وقت كانت أوروبا تسبح حتى الثمالة فى الأساطير والخرافات والظلام.

الرئيس أحمدى نجاد، كما بدا للناس فى أول طلة على العالم.. بسيط مثل الخبز، عميق مثل الحزن، رحيب مثل الحرية، يقود بلاده بحيوية، زعيم طلابى متمرد على سلطته الجامعية، وسلطة النظام القهرى، زعيم شاب يدرك أنه ليس هناك ماينبغى الخوف منه سوى الخوف نفسه، قائد شعبى يعرف خلاصة ما توصل إليه نابليون بونابرت بعد معارك وحروب فى عدة قارات (ليس هناك قيادة لا تريد أن تحارب) وهذا المحارب الجديد الذى تثقف فى المدرسة النبوية هو نفسه الذى ترعرع فى ظل أفكار الإمام آية الله العظمى الخمينى الذى قال (إذا رضى عنك الأمريكيون فاتهم نفسك).

سبحان الله.

ألم يقل جمال عبدالناصر هذه العبارة، ربما بنفس الكلمات ونفس درجة الحرارة، كان عبدالناصر ينتابه القلق إذا وجد إذاعة لندن أو صوت أميركا تمتدحه وقد أدرك أن الغرب يدافع حتى الموت عن حق الشعوب الصغيرة فى أن تخرس...!

هكذا تُختصر المسافات، تتداخل الأراضى والأفكار والصور، وإذا كان الزمن هو الناس، فقد جمع الزمن المدهش بين حادثين هامين يفصل بينهما خمسون عاماً من الديمومة، ففى عام ١٩٥٦توج ناصر زعيماً لأمته العربية بعد أن تحدى الولايات المتحدة التى رفضت تمويل مشروع بناء السد العالى فى جنوب مصر، فقرر تأميم شركة قناة السويس البحرية التى كانت تسيطر عليها الامتيازات البريطانية والفرنسية، وواجه العدوان الثلاثى (بريطانيا- فرنسا-إسرائيل) فى معركة غير متكافئة، لكنه- أى عبدالناصر- كان يدرك القانون الأزلى (الضعيف لا يجوز له أن يتنازل).

فى ذلك العام أيضا، ولد طفل فى إيران اسمه محمود أحمدى نجاد، و كانت إيران قد تألمت من هزيمة المشروع التحررى لرئيس وزرائها محمد مصدق بعد أن تحالف الشاه مع الاستخبارات الأميركية للإحاطة به، وبقراراته الثورية خاصة تأميم النفط، وليس صدفة، أن أحد أكبر شوارع حى الدقى فى القاهرة يحمل اسم الزعيم مصدق، وبجواره مباشرة شارع إيران، فالعلاقة بين الشعبين عريقة وعتيقة، لكن استبداد الشاه وارتباطه بالأحلاف الغربية، أدى إلى افتراق النظامين، وفى نفس الوقت توثقت العلاقة بين الزعيمين عبدالناصر والخمينى، وتجسدت إرادة الله بإعلاء الحق فوق القوة، فانتصر عبدالناصر على قوى الشر، قوى العدوان الثلاثى، وانتصرت إرادة الشعب الإيرانى ولو بعد حين- على الشاه وحلفائه، (إن لله عبادا، إذا أرادوا، أراد وما تشاءون إلا أن يشاء الله).

أو «إذا الشعب يوماً أراد الحياة .... فلابد أن يستجيب القدر».

لقد أراد العرب التحرر؛ فكان لهم.. رغم كل المصاعب.

وأراد الإيرانيون وإمامهم الثورة.. فكانت، ثم أرادوا التكنولوجيا النووية؛ فجاء أحمدى نجاد عبر صندوق الاقتراع، فى ثورة ديمقراطية جديدة، هى استكمال للثورة الشعبية التى انطلقت عام ١٩٧٨، وقت كان كثيرون يظنون أن (السافاك) يحكم سيطرته على البلاد والعباد، وأن تحالف الرجعية والإمبريالية يفرض كلمته، وفرض أحمدى نجاد نفسه على الخارطة العالمية من خلال حلمه الكبير، حلم شعب إيران الذى عشق عبارة رائعة للزعيم الاشتراكى جان جوريس (علينا أن نبحث فى الماضى عن الجذوة المتقدة، ولا نكتفى من الماضى بالرماد)، فتاريخ شعب إيران هو تاريخ العناد، هو تاريخ التحقق، وقد قال ماوتسى تونج (من لم يتحقق، لا حق له فى الكلام).

فإلى الكلام الذى قاله نجاد.. وإلى ماتحقق، وما يُنتظر.

●● وقد شارك فى خروج هذا الكتاب إلى النور نخبة من الأصدقاء، وفى مقدمتهم الكاتب الصحفى والباحث السياسى شريف سعد الدين الذى لا أنكر جهده معى فى جمع وترتيب المعلومات، وشيماء موسى بجهدها فى توفير الصور والوثائق، والمخرجة علا الخطيب وزميلتنا عزة عادل حجازى فى الجمع الإليكترونى، والأستاذ محسن حسين فى المراجعة والتصحيح.

وقبل هؤلاء جميعا أشكر الأستاذ وليد نصيف الناشر المثقف الذى تجاوب مع فكرتى لإصدار هذا الكتاب، فبدا متحمساً بمجرد إطلاق الفكرة، حريصاً على أن تخرج فى أفضل صورة علمية وفنية، فله كل الاحترام والتقدير.

عادل الجوجرى

القاهرة

يونيو ٢٠٠٦

الفصل الأول

موعد مع العاصفة

ثمة هناك رجال يولدون فى رحم العاصفة، ترافقهم ما تيسر من العمر، تؤازرهم وتدفعهم إلى الأمام، فيما تدفع آخرين إلى الانبطاح أو الانزواء، والرئيس الإيرانى أحمدى نجاد ولد فى بطن العاصفة، كبر معها وكبرت معه حتى صارا صنوين، فمنذ توليه سدة الحكم فى طهران، فى تموز/ أغسطس ٢٠٠٥ وهو يطارد العواصف الواحدة تلو الأخرى من دون كلل أو ملل وهو يحظى بإعجاب الملايين فى العالم الإسلامى، والملايين فى دول العالم الثالث خاصة فى كوبا وبوليفيا وفنزويلا والبرازيل وهندوراس، وباقى الشعوب التواقة للتحرر من الهيمنة الأمريكية.

ولم تكن صدفة أن يجمع الرئيس أحمدى نجاد بين متناقضات عديدة، فهو أستاذ جامعى حاصل على درجة الدكتوراه، لكنه أصولى ملتزم تربى فى مؤسسة الإمام آية الله الخمينى- رحمه الله- ومزج بين الأصالة والمعاصرة فى آن، كما مزج بين المرونة التى يتسم بها العقل الدبلوماسى الإيرانى عبر التاريخ، وفى نفس الوقت يبدو متشدداً جداً، لا سيما فى تلك الأمور التى تتعلق بالعقيدة أو الكرامة أو ما يسمى بـ «الاقتدار الإيرانى»، وهو بذلك يختصر حضارة عمرها خمسة آلاف عام.. وعراقة شعب يندر أن يوجد مثله، فالعناد الإيرانى فريد من نوعه.

حتى إن الإسكندر الأكبر قال ذات مرة «لو أمتلكت جيشا فيه عناد الإيرانيين، وصبرهم، وقدرتهم على التحمل لغزوت العالم كله».

الرئيس أحمدى نجاد فيه عناد الصقر، أليس الصقر هو سيد طيور الفضاء، لا يرى الأمور إلا من علٍ، ولا تقبل أن يكون إلا فى قمة سلالم المجد، بدليل أنه تحدى أكبر قوة عسكرية واقتصادية فى العالم دون أن يتراجع قيد أنملة عن الموقف المبدئى، تاركا لرجال الدبلوماسية حق المناورة، والدق على رأس المسمار دون أن ينثنى.

إن الشعب الذى يصنع سجادة فى خمسة أعوام لن يمل من التفاوض حول سعرها خمس ساعات، وهكذا امتزج فى العقل الإيرانى ثنائية العناد والمرونة، العناد فى الموقف والمرونة فى التفاصيل، الصمود فى المبدأ، والتفاوض فى الأسلوب، وإيران دولة قديمة جدا، عمرها من عمر التدوين ٢٥٠٠ أو ٣٠٠٠ سنة، وميزتها تكمن فى استمرارية تاريخها، فهى حاضرة فى كل ما جرى فى الدنيا من أحداث، شاهدة على حضارات قامت، وإمبراطوريات أُزيلت، وممالك كانت سيدة العالم ثم أبيدت، ورغم تاريخها الطويل تبدو إيران شابة وكأنها خلقت بالأمس، ثلثا عدد سكنها البالغ ٧٠ مليونا يقع تحت سن الثلاثين، لذا كان طبيعيا أن تأتى نتائج الانتخابات برئيس شاب ،٤٩ سنة، من خلال أصوات الشباب، وطبقا لإحصاءات عام ،٢٠٠٣- ٢٠٠٤م، فإن هناك حوالى مليونى طالب مسجلين حاليا فى التعليم العالى فى إيران، نصفهم تقريبا من النساء.

ومن فئة الشباب جاء الرئيس أحمدى نجاد مفاجأة بكل المعايير، اكتسح الانتخابات وحصل على ثقة ١٧ مليون ناخب فى مواجهة مرشح من الوزن الثقيل هو السيد هاشمى رفسنجانى، فما الذى أغرى الشباب وباقى الناخبين على اختيار هذا الرجل الذى شكل فوزه عاصفة محلية، وإقليمية ودولية؟

الأمر المؤكد أن الإيرانيين عندما ذهبوا إلى المقرات الانتخابية لم يسقطوا مجرد اسم فى صندوق الاقتراع، بل كانوا يختارون المنهج الذى يفضلونه، ويختارون سياسات ترسم تطلعاتهم، ورؤيتهم لمستقبل البلاد.. خاصة وأن المرشح أحمدى نجاد كان قد طبق رؤيته كاملة عندما صار رئيسا للعاصمة طهران، وأثبت مصداقية لكل شعاراته، لذلك عندما أطلق على نفسه فى الانتخابات لقب ،خادم الشعب الإيرانى، صدقه الإيرانيون، وعندما قال إنه سيقوم بكنس الشوارع وجدت كلماته صدى فى

نفوس المواطنين، وصحيح أننا فى بعض بلاد العرب لا نصدق مثل هذه العبارات الجميلة، وقد تعودنا على الوعود الملونة على لسان المسئولين حين يأدون بيانات القسم ويطلقون خطب التنصيب، ولكن فى الحالة الإيرانية، الأمر مختلف تماما، خاصة حين نعرف أن «نجاد» كانت له سوابق عملية قرن فيها الأقوال بالأفعال، وسيرته الذاتية التى انطلق بها بتواضع من بلدته أردان جنوب طهران تقول إنه نزل بالفعل إلى شوارع طهران، وانضم إلى العمال الذين يكنسون الشوارع، لذا فإن شعاره حول «كنس الفساد» وجد طريقه بسرعة إلى قلوب الإيرانيين، إذ أن المجتمع الإيرانى يعانى فجوة واسعة بين الأثرياء جدا والفقراء جدا، لا سيما فى ظل سيطرة طبقة من التجار الكبار المدعومين من فئات سياسية تدعى الليبرالية على المقدرات الاقتصادية، الأمر الذى عرض الطبقة الوسطى الإيرانية إلى مخاطر الحصار الاقتصادى، والتهميش السياسى، ومن هذه الطبقة الوسطى جاء أحمدى نجاد.

جاء من قريته فى ضواحى طهران ليبدأ رحلة طويلة فى مطاردة الفساد والفاسدين مدعوما بخلفية فكرية استمدها من فكر الثورة، وهو صاحب مقولة «نحن لم نقم بالثورة لكى نحصل على الديمقراطية فقط» ، فكان أول قراراته الداخلية هو عزل ٣٠ سفيراً إيرانيا من مناصبهم، واحالتهم للتحقيق بتهمة ارتكاب تجاوزات مالية وإدارية على مدى الـ ١٦ عاماً الأخيرة.

والشاهد هو أن عاصفة الخارج ترافقت مع الحملات الانتخابية فى جولة الإعادة التى قادها أحمدى نجاد سعيا إلى كسب ثقة الناخبين، فقد تنبهت وسائل الإعلام الصهيونية فى واشنطن وبعض عواصم أوروبا الغربية إلى الصقر القادم من ضواحى طهران، والذى بات قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى القصر الجمهورى

متفوقا على منافسه، وبدا واضحا أن برنامجه الانتخابى الراديكالى صار يجتذب قطاعات واسعة فى صفوف الشباب من الجنسين، فضلا عن الجيل القديم، وبدا واضحا أن المرشح الشاب يطمح إلى وضع بلاده فى مصاف الدول الكبرى فى العالم، من خلال امتلاك تكنولوجيا نووية، ومن خلال استنهاض طاقات المجتمع الإيرانى، وهذا أخطر من القنبلة النووية، ففى إيران قدرات بشرية ونفطية وزراعية وصناعية تمكنها من دخول عصر العولمة بقوة، وكان طبيعيا أن تأتى العواصف من الغرب وبخاصة من واشنطن وحليفتها تل أبيب ثم من باريس ولندن وبون تشكك فى نوايا الفدائى القادم إلى سدة الحكم فى طهران، وربما كان أحمدى نجاد هو أكثر الرؤساء فى العالم الثالث تعرضا إلى هجوم لاذع فى وسائل الإعلام الغربية فى هذا العصر، وبخاصة عندما أطلق الرئيس أحمدى نجاد بعد فوزه عدة تصريحات تطالب اليهود بالعودة من حيث أتوا إلى بلادهم، وأن يتركوا فلسطين لأهلها، وكذلك تصريحاته التى تشكك فى الرواية الصهيونية حول الهولوكوست، وما سمى إبادة الشعب اليهودى على يد النازية.

واقع الحال أن الرئيس الإيرانى الذى يحمل فى عموده الفقرى حضارة عمرها ٢٥٠٠ سنة، هو نفسه الملىء بالطموحات الثورية الرامية إلى بناء دولة عصرية، حديثة، يشارك جميع أبناء الوطن فى إقامتها.

فشل عملية مخلب النسر

ومن هنا قال المراقبون المحايدون إن الرئيس الإيرانى يسدد فاتورة وضعية خاصة تتمتع بها بلاده، تفرض بالضرورة على أى قائد أو رئيس إيرانى أن يسددها، وهى وضعية الدولة التى تقع فى منطقة صراع عالمى من أجل الطاقة الموجودة بوفرة فى

دول الخليج والعراق وإيران، وفى بحر قزوين وفى عدد من الجمهوريات الإسلامية السوفييتية السابقة، والتى يزيد من خصوصيتها طموحاتها لإتمام برنامج نووى لإنتاج الطاقة من أجل مشروعات التنمية، كما أن حقها اللحاق بنادى الكبار بامتلاك ناصية سلاح غير تقليدى شأن الدول العظمى التى حجزت لنفسها مكانا فيه منذ وقت مبكر خلال القرن المنصرم، ومنها الكيان الإسرائيلى، الذى يشكل تهديدا للأمن فى الشرق الأوسط.

وفى الوقت الذى استبشر فيه المسلمون والعرب بصعود الزعيم الثورى أحمدى نجاد سواء على صعيد أسلوبه الواثق فى تحدى القوى الإمبريالية والصهيونية أو على صعيد برنامجه الطموح لتحقيق توازن نووى فى المنطقة ينهى احتكار إسرائيل للقدرات النووية، كانت الإدارة الأمريكية التى تُوصف فى الخطاب الثورى الإيرانى بـ «الشيطان الأكبر» تشن حملة أكاذيب ضده، حيث وصفته بأنه كان واحدا من الطلبة الإيرانيين الذين شاركوا فى احتلال مبنى السفارة الأمريكية فى طهران فى منتصف ثمانينيات القرن الماضى فى أعقاب نجاح الثورة الإسلامية والإطاحة بحكم الشاه محمد رضا بهلوى- آخر أباطرة آل ساسان- الذى كان مواليا لواشنطن، وذلك من خلال التنقيب فى ملف احتلال السفارة التى فشلت فى تحرير رهائنها المحتجزين داخلهابعملية «مخلب النسر»، حيث أظهرت صورة لشاب إيرانى يحمل شبهاً بعيداً عن الرئيس أحمدى نجاد كى تبنى فوقها ما شاءت من المزاعم والاستنتاجات، رغم أن المشاركة فى هذه العملية و قتها، وفى ضوء الدور المشبوه الذى كانت تلعبه الإدارة الأمريكية وسفارتها فى إيران وقتذاك لا يعد جريمة ولا اتهاما يجب نفيه من وجهة نظر وطنية إيرانية، بل هو شرف لكل من شارك فى عملية اقتحام سفارة أمريكا التى كانت مقرا للاستخبارات المركزية، كما كانت

السفارة الإسرائيلية وكرا للموساد «جهاز الاستخبارات الإسرائيلية»، وكان أول قرار اتخذه الإمام الخمينى هو تحويل سفارة إسرائيل إلى سفارة للشعب الفلسطينى، وتم إنزال العلم الصهيونى، ورفع بدلا منه العلم الفلسطينى.

لقد أثبتت ماكينة الأكاذيب الأمريكية الصهيونية، وما روجته من مزاعم حول الرئيس أحمدى نجاد أنه الأكثر صدقا واتساقا مع طموحات شعبه فى هذا الزمان، ويذكر أن الزعيم العربى جمال عبدالناصر كان يتضايق إذا مدحته وسائل الإعلام الأمريكية والإسرائيلية والأوروبية، وكان يعتقد أن هناك شيئا خطأ، لأن طبيعة الأمور تفرض على الجهات المعادية أن تنتقده بعنف، وأن تشن ضده حملات دعائية سوداء، لأنه زعيم وطنى، وقائد قومى غير مرغوب فيه فى الغرب، وهذا ما قاله الشاعر العربى أبو الطيب المتنبى فى بيت شعر اختزل أهداف الدعاية الامبريالية حيث يقول :

وإذا اتتْكَ مذمتى من ناقصٍ ... فهى الشهادةُ لى بأنى كَامِلُ

وكان أبسط ما تعرض له الرئيس أحمدى نجاد من هجوم وانتقادات فى صحف وتليفزيونات أمريكا وإسرائيل هو إطلاق صفة «المتشدد» عليه، وعلى منهجه الفكرى، وانهمكت ماكينة الأكاذيب الأمريكية فى تشويه الحقائق بالاعتماد على شهادات من بعض ما يسمى «المعارضة الإيرانية فى الخارج» أو تسريبات شخصيات معارضة مثل هارو باشانى وهو يهودى متعصب، بل ومنحاز للكيان الإسرائيلى، ومع ذلك لم يمسه أذى فى ظل الدولة الإسلامية الإيرانية.

وعلى الرغم من تصريحات أحمدى نجاد الصاروخية ضد الصهاينة وضد إسرائيل فإن هناك ٣٠ ألف يهودى إيرانى يقيمون فى إيران يتمتعون بكافة حقوق المواطنة دون أى مشكلات، وهم يمارسون عباداتهم وصلواتهم بكل حرية ولديهم عدة

صحف، ولهم نائب فى البرلمان الإيرانى، وتحمى حقوقهم أجهزة الدولة الإيرانية، إلا أن بعض اليهود وصلت بهم درجة الوقاحة حد مطالبة الرئيس أحمدى نجاد بالاعتراف بالهولوكوست أو محارق اليهود فى ألمانيا.

ولعل الخوف من قيام دولة حديثة، وقوية وتكنولوجية فى إيران هو السبب الرئيسى فى ذلك الهجوم الصهيونى الأمريكى على الرئيس الإيرانى الثورى إلى حد وصفه بـ «هتلر الجديد» أو ما كتبه ايالون جانور فى صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية حيث وصف الرئيس الإيرانى بأنه مهووس فقد عقله بسبب تعصبه الدينى «!!».

وبطبيعة الحال فإن الكاتب الإسرائيلى تعامى عن حقيقة جوهرية هى أن الكيان الصهيونى نفسه قام على مزاعم دينية، وهو مجتمع عنصرى بامتياز، لكن الحقيقة الجلية هى أن أحمدى نجاد هو واحد من أبرز زعماء العالم، فهو يسير عكس التيار، ويسبح فى الاتجاه المعاكس لواشنطن وتل أبيب، وفى الوقت نفسه يطبق تعاليم الإسلام فى إرهاب العدو من خلال امتلاك أدوات القوة دون اللجوء إلى العدوان أو التحرش بالغير بل منعه وردعه.. فالله تعالى يقول فى محكم آياته ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ **صدق الله العظيم** (٦٠ .سورة الأنفال).

هذا المنهج القرآنى يمثل المرجعية الأساسية لقرار إيران امتلاك التكنولوجيا النووية، وفى امتلاك ترسانة عسكرية متطورة سواء فى سلاح البحر أو الجو أو الصواريخ بعيدة المدى، والتى تشكل عامل ردع ضد العدو الصهيونى، وضد أى تهديد خارجى، وفى بناء مجتمع ديمقراطى حقيقى يعتمد صندوق الاقتراع آلية للتغيير، وبخاصة فى الانتخابات الرئاسية سواء على صعيد نسبة المشاركة الشعبية، أو

شفافية ونزاهة العملية الانتخابية، وبلا شك فإن المجتمع الإيرانى فى عهد أحمدى نجاد أو خاتمى أو غيرهما ليس مجتمع الملائكة.. هناك أخطاء، وهناك مشكلات لكن هناك رغبة فى التغيير، وهناك رغبة فى التصحيح وفى البناء والتقدم، ومن هنا تأتى أهمية أطروحات الرئيس نجاد وشعاراته وبرامجه.

وإذا حاولنا تقديم هذا الرجل والإجابة علي السؤال الأكثر إلحاحا على أغلب المراقبين السياسيين والمهتمين بما يدور فى العالم من متغيرات لقلنا إن المهندس محمود أحمدى نجاد من الشخصيات المبهرة التي أصبح لها ثقل كبير على الساحة السياسية والإدارية فى إيران، حيث سطع نجمه عندما اختاره المجلس الإسلامى المحلى للعاصمة طهران بالإجماع رئيساً للعاصمة، وقد اثبت نجاد بنشاطه الوثاب وحركته الدائبة وفكره الابتكارى وأسلوبه الثوري، ما أهله لكى يرشحه الأصوليون لخوض انتخابات رئاسة الجمهورية فى دورتها التاسعة.

وقد ولد المهندس محمود فى أسرة متدينة بالعاصمة طهران عام ١٣٣٥هـ.ش ١٩٥٦م، وتلقى تعليمه فى المرحلة الأساسية بمدارس مدينة طهران، ثم التحق بكلية الهندسة جامعة العلم والصناعة (بلى تكنيك) بطهران ودرس فى قسم العمارة، وتخرج فيها بتفوق، مما جعله يلتحق بالدراسات العليا بنفس الجامعة حتى حصل على درجة الدكتوراه فى الهندسة المعمارية، وعين مدرسا بالكلية، وقدم العديد من الأبحاث خاصة فى مجال النقل، وهو المجال الذى يهتم به كثيراً.

وعن نشاطه السياسى فقد شارك فى النشاط الثورى فترة دراسته الجامعية، وانضم للجمعية الإسلامية للمهندسين، ولفت نظر زملائه حتى اختاروه عضوا باللجنة المركزية للجمعية، كما انضم إلي حراس الثورة الإسلامية، وشارك ضمن صفوفهم فى الحرب العراقية- الإيرانية، حتى حصل على لقب الفدائى (جانباز)،

وأصبح عضوا فى جمعية فدائيى الثورة (جانبازان)، ثم اختاره الدكتور مصطفى معين وزير الثقافة والتعليم العالى فى حكومة رفسنجانى مستشاراً له، وعينه الرئيس هاشمى رفسنجانى رئيساً لمدينة أردبيل بمحافظة آذربيجان الشرقية حتى انتخابات المجالس المحلية الإسلامية الأخيرة، حيث سيطر الأصوليون على المجالس، واختاره مجلس مدينة طهران رئيساً للعاصمة.

ومنذ وصوله إلى منصب محافظ طهران آواخر التسعينيات، تركزت أبرز أولويات محمود أحمدى نجاد على التصدى للمظاهر الاجتماعية والثقافية التى كانت تشكل فى نظر المحافظين والمتشددين، خروجا- لابد من وضع حد له- عن المبادئ الثورية والأسس الإسلامية الأصولية التى يفترض أن يقوم عليها حكم الجمهورية بناء على تعاليم الإمام الخمينى وأفكاره.

وكان على رأس تلك الأولويات، العودة الى السعى فى فرض الزى الإسلامى الشرعى على النساء الإيرانيات فى الأماكن العامة، والتأكد من الفصل بين الجنسين وضمان عدم الاختلاط بينهما فى وسائل النقل والمصاعد والمكاتب الحكومية، وإغلاق الدور الثقافية والمسرحية والسينمائية وتحويلها إلى أماكن للصلاة والعبادة، ومنع الحفلات الموسيقية الماجنة، ووضع حد للتجمعات الطلابية والأنشطة الرياضية التى تنطوى على حضور مشترك بين الرجال والنساء، والحد من ظاهرة انتشار مقاهى، الإنترنت، وأطباق الالتقاط (الدش) الخاصة بالقنوات التليفزيونية الفضائية، وحظر الحملات الإعلانية التى تروج للبضائع والأنماط الحياتية ذات الطابع الغربى.

وهكذا يتضح أن شعارات الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد، وأولوياته الأساسية، التى مارس صلاحياته كمحافظ لطهران على أساسها، تنطلق من مبدأ واحد شديد

الوضوح والبساطة، وهو أن إيران الجمهورية الإسلامية بدأت تخرج تدريجيا عن الإطار الفكرى والاجتماعى والعقائدى الذى كان مؤسسها الراحل الإمام الخمينى قد حدده لها فى الثورة التى قادها، وأدت إلى قيام تلك الجمهورية، وبالتالى بات من الضرورى العمل قبل فوات الأوان، على وضع حد لذلك المسار الخاطئ الذى يتحمل الإصلاحيون والتحديثيون، المسؤولية الأولى فى نظره وممارسته، بهدف استعادة مبادئ الثورة ومرتكزاتها الإسلامية الأصيلة.

من هنا يصبح فى الامكان القول إن انتخاب أحمدى نجاد رئيسا جديداً للجمهورية الإسلامية كان الترجمة الفعلية لقرار واضح كانت الأوساط المحافظة والمتشددة فى القيادة الإيرانية قد اتخذته منذ سنوات عدة، وهو قرار كان قد قضى آنذاك، ومن منظور تلك الأوساط، باستعادة الجمهورية، وإنقاذها، من التهديد الاستراتيجى الذى شكله عليها، وعلى مبادئها الثورية الأصيلة، وعلى نهجها الخومينى الثابت، تصاعد نفوذ التيارات الإصلاحية، وما كانت تلك التيارات قد تجرأت على التقدم بطرحه علانية خلال فترة رئاسة السيد خاتمى، بدءاً من الدعوة إلى المزيد من التنمية والتطوير والتحديث الديمقراطى والاقتصادى والاجتماعى، على الصعيد الداخلى، ووصولا إلى الاعتدال والانفتاح والتعامل الإيجابى مع المجتمع الدولى ومع الولايات المتحدة والتحالف الغربى بالذات على الصعيد الخارجى.

ويبدو من الواضح أيضاً أن المرجعية الدينية والسياسية الإيرانية العليا، ممثلة بالمرشد السيد على خامنئى، ومعها شبكة المؤسسات والأجهزة العسكرية والأمنية، والإطار العريض من القوى والتيارات الحزبية والعقائدية الموالية لها، والتى تلتقى جميعها تحت المظلة الخمينية التى تجمع بين تلك الاتجاهات المحافظة على

تنوعها واختلافها، قد اعتبرت أن السيد أحمدى نجاد هو الشخص الأفضل والأكثر استعداداً وموثوقية لتولى منصب الرئاسة والمساهمة فى تنفيذ هذه المهمة، خلال المرحلة الحالية بالغة الحساسية والحرج التى تمر بها إيران والمنطقة، والتى تشعر فيها طهران بأنها مهددة ومحاصرة ومعرضة لمختلف أنواع الأخطار والتحديات.

فالتوجهات العقائدية المحافظة والمتشددة فى المجالات الداخلية، ثقافىَ واجتماعىَ وعقائدىّ، شكلت فى إيران منذ قيام حكم الجمهورية الإسلامية، وفى صورة تقليدية وتاريخية، المرتكز الضرورى الذى لابد من تكريسه فى البلاد، كمنطلق نحو انتهاج سياسات خارجية متوازنة تقوم على مبادئ التصدى والمواجهة والدفاع الفعال عن الثورة الإسلامية ومبادئها الجهادية، ضد التهديدات الخارجية التى قد تتعرض لها فى أى وقت من الأوقات.

ماكينة الأكاذيب فى واشنطن وفيينا

يقول رئيس الوزراء البريطانى الأسبق تشرشل وهو واحد من أبرز عباقرة السياسة (إن الحقائق الاستراتيجية تحتاج فى كثير من الأحيان لأن تكون محمية من جانب حرس من الأكاذيب).

وهذا ما فعلته الإدارة الأميركية، فبمجرد الإعلان عن فوز الرئيس أحمدى نجاد انطلقت ماكينة الأكاذيب الأميركية، وأيضا ماكينات أوروبية أخرى فى إنتاج سلسلة أكاذيب ضده، الهدف منها التشويش عليه، والإساءة إلى صورته أمام الرأى العام العالمى، ومن هنا يمكن أن نتوقف عند نموذجين من الحملات الإعلامية.

الأولى حملة فى واشنطن أدارتها مؤسسات صهيونية تتحكم فى وسائل الإعلام والكونجرس ومؤسسات صنع القرار.

والثانية فى النمسا، وليس خافيا الضغوط الصهيونية الرهيبة فى المجتمع النمساوى ضد كل خط إسلامى ملتزم.

الحملة فى واشنطن

وكانت إيران قد اتهمت الولايات المتحدة بشن حملة لتشويه سمعة الرئيس الإيرانى المنتخب مؤخرا محمود أحمدى نجاد ،وقالت وزارة الخارجية الإيرانية إن المزاعم ضد أحمدى نجاد كاذبة ولا تستحق الرد عليها، وذلك رداً على ما قام به البيت الأبيض بعد أسابيع قليلة من إعلان فوز نجاد حيث أعلن عن أنه يحقق فى مزاعم بأن أحمدى نجاد كان من بين الطلبة الثوريين الذين شاركوا فى حصار السفارة الأمريكية فى طهران عام ١٩٧٩ .

وقال حميد رضا آصفى المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية إنه لا يتعين أن تقع الدول الأوروبية فى ما وصفه "بفخ الدعاية الصهيونية." وأضاف أنه يجب على أوروبا أن تفصل بين مصالحها ومصالح الولايات المتحدة.

ونفى مساعدون لأحمدى نجاد تورطه فى عملية احتجاز الرهائن بمقر السفارة الأمريكية فى طهران والتى استمرت ٤٤٤ يوما. ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن مساعدين للرئيس المنتخب قولهم إن المزاعم التى تتحدث عن تورط نجاد فى العملية هى نوع من "الحرب النفسية".

ونفى سعيد هاجرانى أحد المساعدين البارزين للرئيس السابق محمد خاتمى، أن تكون الصورة التى تتداولها وسائل الإعلام الأميركية لشخص شارك فى عملية الرهائن، هى صورة أحمدى نجاد.

وقال هاجرانى فى تصريح لوكالة أسوشيتدبرس إن الشخص الذى يظهر فى الصورة هو أحد المتشددين ويدعى تقى محمد وقد أقدم على الانتحار أثناء وجوده

فى السجن.

وثارت ضجة فى الولايات المتحدة بشأن الرئيس الإيرانى المنتخب بعدما قال ستة من الرهائن السابقين إثر مشاهدتهم صور أحمدى نجاد على التليفزيون إنهم يعتقدون أنه كان من المشاركين الرئيسيين فى عملية احتجاز الرهائن. كما قال أحدهم إنه تعرض للاستجواب على يد أحمدى نجاد شخصيا وأكد البيت الأبيض أنه يأخذ ما قاله الرهائن السابقون على محمل الجد.

وقال الرئيس الأمريكى إن هذه المزاعم تثير "الكثير من الأسئلة"، كما قارنت وسائل إعلام عالمية صورا مختلفة لأحمدى نجاد مع صورة بالأبيض والأسود لأحد خاطفى الرهائن تظهر شخصا ملتحيا وشعره أسود ،لكن هاجرانى قال لوكالة أسوشيتدبرس إن الصورة ليست لأحمدى نجاد وإنها "لشخص يدعى تقى محمدى انشق عن الثورة، وتورط فى تفجيرات وقعت عام ١٩٨١ فى طهران وأدت إلى مقتل رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية فى ذلك الحين وأقدم على الانتحار فى السجن".

وتتسم شهادة هاجرانى بأهميتها نظرا لكونه أحد رموز الإصلاحيين فى معسكر الرئيس خاتمى وهو المعسكر الذى يعارض توجهات أحمدى نجاد المحافظة.

وبدلا من أن تسكت إدارة المحافظين الجدد فى واشنطن وأن تبتلع لسان الأكاذيب راح بوش يروج للشائعات والأكاذيب فى داخل الأوساط الأوروبية وحسب وكالة رويترز فإن الرئيس الأمريكى جورج بوش قال فى ٢٠٠٥/٦/٣٠ إنه يريد إجابات بخصوص ما إذا كان الرئيس الإيرانى المُنتخب محمود أحمدى نجاد كان أحد الزعماء فى أزمة احتجاز الرهائن بالسفارة الأمريكية فى طهران عام ١٩٧٩ كما قال بعض الرهائن السابقين.

وقال عدد من الأمريكيين الذين احتُجزوا رهائن خلال الأزمة إنهم تعرفوا على

رئيس بلدية طهران المحافظ المتشدد الذى انتخب رئيسا لإيران يوم ٢٠٠٥/٦/٢٤ على أنه أحد الزعماء خلال الأزمة، إلا أن شخصيتين بارزتين فى أزمة احتجاز الرهائن بالسفارة نفتا مشاركة أحمدى نجاد.

وقال بوش للصحفيين فى مؤتمر صحفى بشأن قمة مجموعة الثمانى التى انعقدت فى اسكتلندا "ليس لدىّ معلومات." وأضاف "ولكن من الواضح ان ضلوعه يُثير كثيرا من الأسئلة، ونظرا لنشاط الناس فى البحث عن إجابات عن الأسئلة فأنا واثق من العثور على تلك الإجابات."

ووجه بوش تحذيرا إلى أحمدى نجاد من أنه والقادة الأوروبيون سيبعثون "برسالة قوية" إليه تعبر عن قلقهم بشأن طموحات إيران النووية.

وكان قد احتجز ٥٢ أمريكيا لمدة ٤٤٤ يوما خلال الأزمة التى وقعت بين عامى ١٩٧٩ و١٩٨١ ،مما دفع واشنطن إلى قطع علاقاتها مع طهران.

ووصف بوش إيران بأنها جزء من "محور للشر" بسبب مزاعم سعيها لامتلاك أسلحة نووية ورعايتها للإرهاب، وتنفى إيران هذه الاتهامات.

وفى أحاديث مع شبكات التليفزيون الأمريكية قال الكابتن البحرى المتقاعد دونالد شارر، وبيل دوارتى أنهما مقتنعان بأن أحمدى نجاد كان أحد محتجزيهم الإيرانيين.

وقال شارر متحدثا لشبكة (ايه.بى.سى.) :"إنه لم يكن شخصا لطيفا إطلاقا فى ذلك الوقت ،كان يدعونا بالكلاب والخنازير ، إنه متشدد جدا ،إنه شخص لا يمكننا التعامل معه."

وقال دوارتى إنه أيضا "ليس لديه أدنى شك على الإطلاق" فى أن أحمدى نجاد كان أحد محتجزى الرهائن. وأضاف "عندما تتعرض بلادك للإذلال والإحراج فإن

الأشخاص الذين يفعلون ذلك يلتصقون فعلا بالذهن، ولا يمكنك نسيان أشخاص يفعلون أشياء كهذه لك ولأسرتك ولبلادك."

وفى إيران قال عباس عبدى الذى ساعد فى تنظيم الهجوم على السفارة إن "أحمدى نجاد لم يكن ضمن من احتلوا السفارة الأمريكية بعد الثورة."

وقال محسن ميردامادى وهو زعيم آخر لعملية احتجاز الرهائن "أنفى مثل هذه التقارير، أحمدى نجاد لم يكن عضوا فى جماعة الطلاب التى سيطرت على السفارة."

وقال بوش إنه تحدث إلى رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير والمستشار الألمانى جيرهارد شرودر بشأن جهود منع إيران من السعى للحصول على أسلحة نووية وقال إنه سيتحدث أيضا إلى الرئيس الفرنسى جاك شيراك.

وقال بوش "رسالتى تقول إن من المهم جدا فى هذه اللحظة لثلاثى الاتحاد الأوروبى (ألمانيا وفرنسا وبريطانيا) توجيه رسالة قوية للشخص الجديد (فى إيران) بأن العالم متحد فى القول بأنك لا يجب أن تحصل على قدرات تخصيب اليورانيوم الذى يمكن تحويله بعد ذلك إلى سلاح نووى."

وأضاف "بمعنى آخر فإن لدينا رجل جديد سيتولى السلطة وعليه أن يسمع رسالة مركزة."

وتحقيق فى فيينا

وكانت وزارة الداخلية فى النمسا قد أعلنت فى ٢٠٠٥/٧/٥ أن محققين نمساويين فتحوا تحقيقا فيما إذا كان الرئيس الإيرانى المنتخب محمود أحمدى نجاد متورطا فى اغتيال زعيم كردى عام ١٩٨٩ فى فيينا وأكد متحدث باسم الوزارة أن المحققين طلبوا من أجهزة مكافحة الإرهاب بالوزارة التحقيق فى القضية إلا أن المتحدث

رفض الإدلاء بمزيد من التفاصيل ، وقال رودلف جوليا المتحدث باسم الوزارة "تقدم مكتب النائب العام بطلب."

وقال بيتر بيلز المتحدث الأمنى باسم حزب الخضر النمساوى فى مؤتمر صحفى إن لديه معلومات مؤكدة تفيد بضلوع الرئيس الإيرانى المنتخب أحمدى نجاد فى اغتيال الزعيم الكردى الإيرانى المنفى المعارض عبدالرحمن قاسملو واثنين اخرين من السياسيين الأكراد المعارضين فى العاصمة النمساوية عام ١٩٨٩ وأضاف "طلب مكتب النائب العام أمس من قوة مهام مكافحة الإرهاب بدء تحقيق فى المزاعم المتعلقة بمقتل الثلاثة عام ١٩٨٩ ." وعلاوة على أحمدى نجاد قال بيلز إنه أعيد فتح تحقيق فى الآونة الأخيرة يختص بالرئيس الإيرانى الأسبق أكبر هاشمى رفسنجانى. وقال بيلز إن الأمر متروك لمكتب النائب العام كى يقرر ما إذا كان سيطلب استجواب رفسنجانى وأحمدى نجاد.

وقال أحد المساعدين لأحمدى نجاد فى طهران "هذا لا يستحق حتى التعليق عليه، إنه مثل الاتهامات الأخرى وستستجد المزيد من الاتهامات."

وفى مقابلة مع صحيفة دير ستاندارد النمساوية قال بيلز إن اتهامه يستند إلى معلومات تلقاها من مصدر "موثوق به" وهو صحفى إيرانى يعيش فى فرنسا وصفه بيلز "بالشاهد دى"، وأدلى بيلز بهذه المعلومات لوزارة الداخلية ومكتب مكافحة الإرهاب اللذين أحالا القضية إلى مكتب النائب العام لاتخاذ اللازم. وقال بيلز "ليس بوسعى القول بصفة شخصية ما إذا كانت مزاعم الشاهد دى حقيقية لكن يمكننى القول بأنه يمكن الوثوق بها.

"وبطبيعة الحال فقد أغلق الملف نهائيا فى النمسا لأن حبل الكذب قصير وقنابل الدخان سرعان ما يزول أثرها بعدما تأتى رياح الصدق.

الفصل الثاني

الصعود..

بزوغ شمس الثورة الجديدة

هل كانت مفاجأة؟ سؤال تردد ليس داخل إيران وحدها ولكن فى دول عديدة بالعالم.. بعد فوز محمود أحمدى نجاد.. رئيس بلدية طهران - العاصمة الإيرانية - بمنصب رئيس الجمهورية وبعد انتخابات ذهب المرشحان الرئيسيان فيها لجولة ثانية فى سابقة تعد الأولى من نوعها فى إيران ومنذ اندلاع الثورة الإسلامية فيها فى عام ١٩٧٩.

وأثار هذا الانتخاب نوعا من الحذر والإعجاب لدى الدول المجاورة لإيران ..فى ظل ما روجته وسائل إعلام أميركية عن احتمالات العودة لمنطق "تصدير الثورة" الذى شاع فى الثمانينيات.

وقد تغلب عمدة طهران الثورى على ثانى أهم مسئول فى إيران أكبر هاشمى رفسنجانى حتى بعد أن وقف خصوم رفسنجانى إلى جانبه فى محاولة لمنع تصدر أحمدى نجاد الساحة السياسية الوطنية فى ظل تنافس ديمقراطى خصب.

وإذا كان فوز نجاد قد شكل صدمة لجميع الدول، فإنه على العكس تماما لم يكن صدمة لدى المواطنين الإيرانيين بل كان متوقعا، وإن كانت الأصوات متقاربة فى الجولة الأولى للانتخابات .

ويرجع "الفوز المفاجأة" إلى كون نجاد لم يغير خطابه السياسى منذ عرف فى إدارة العاصمة طهران ، كما أنه يبدو قريبا من الجماهير، ويعتبر تمسكه بآرائه السياسية وصرامته المعهودة وعدم استعداده لتقديم تنازلات خاصة فى صراع إيران مع العالم الغربى فيما يتعلق بالقضية النووية الإيرانية ، أحد ابرز العوامل فى اختيار نجاد، أضف إلى ذلك إحساس الناخب الإيرانى بضرورة وجود وجه جديد عنيد - مثل نجاد-ليقود الجبهة الإيرانية فى ظل الضغوط الدولية من أجل أن تتنازل إيران عن مشروعها النووى.

وقد لعب الإعلام الغربى دورا فى انتخاب نجاد، فلم يتخذ موقفاً معتدلاً وإنما اتخذ موقفا استفزازيا للشعب الإيرانى، وجعله يتمسك بشخصية راديكالية ويرفض الشخصيات الإصلاحية التى تسعى للتقارب مع الغرب، فضلا عن أن الإصلاحيين اهتموا بعملية تنظير الإصلاح السياسى ولم يتعمقوا فى مشاكل الجماهير، ولم يقدموا ما يثبت حتى نجاحهم فيما ركزوا اهتمامهم فيه.

وقد استطاع نجاد، ورغم حداثة سنه السياسية أن يجذب ملايين الإيرانيين، عندما طرح نفسه باعتباره نصيراً للفقراء، يرتدى زياً متواضعاً، مستخدما فى الوقت نفسه خطابا سياسيا بسيطا قريبا من فهم العامة الذين وصفوه بـ "رجل الأحلام" الذى سيوزع عليهم جزءا من ثروة الجمهورية الإسلامية النفطية الوفيرة.

وتعتبر الخبرات العسكرية لنجاد أحد أبرز العوامل فى انتخابه، حيث كان أحد قادة جيش الحراس فى الحرب مع العراق، وأيضا شعار "محور العزة والكرامة" الذى رفعه فى حملته الانتخابية.. كل هذا كان له تأثير كبير على انتخابه.

ويعتبر نجاد هو أول رئيس للجمهورية الإسلامية ذو خلفية عسكرية، فقاتل فى حرب الثمانى سنوات ضد العراق، ومارس التدريس فى كلية الموظفين التابعة للحرس الثورى لسنوات عدة وبدأ نجاد فى تكوين قاعدته الشعبية عندما أصبح عمدة للعاصمة طهران فى عام ٢٠٠٣، حيث جلب معه إلى إدارة العمل مجموعات شابة ، واستطاع معالجة الازدحام المرورى فى المدينة التى يعيش بها ٨ ملايين إيرانى، إضافة إلى منحه قروضا من دون فائدة للمتزوجين حديثا، من جهة أخرى أصر هذا المحارب القديم فى حراس الثورة على طرح نفسه باعتباره تلميذاً مخلصاً لأفكار الثورة الإسلامية، فعند الإدلاء بصوته حيا نجاد آية الله الخمينى

والأوفياء له الذين أسسوا الجمهورية الإسلامية، كما حيا شهداء الإسلام والحرية.. واصفا نفسه بأنه "الخادم الصغير والعامل فى تنظيف طرقات الأمة الإيرانية".

حقيقتان هامتان تميزان الرئيس نجاد

الحقيقة الأولى: هى أنه أول رئيس للجمهورية الإسلامية يأتى من عائلة ريفية فقيرة ولا يرتبط برجل دين، وكابن لحداد فإنه يشكل فى نظر الإيرانيين "الابن الأصيل للشعب"، البعيد عن الأرستقراطيات المختلفة للنسب والمال والدين.

والحقيقة الثانية: وهى الأكثر أهمية، أن نجاد إسلامى صريح، بمعنى أنه يصنف نفسه كأصولى وثورى.

والحقيقة التى لا يعلمها الكثيرون عن نجاد هو أنه قطع الرحلة من مقر البلدية إلى القصر الرئاسى فى أقل من عامين، يقول باحث سياسى من طهران عن تلك الحقيقة"لقد جاء من حيث لا يعلم به أحد، ولا علم لأحد بالجهة التى سيقصدها".

الرئيس السادس

لقد حطت الدورة التاسعة لانتخابات رئاسة الجمهورية فى إيران رحالها بنتائج أدهشت الداخل الإيرانى وأذهلت الخارج وجاءت متعاكسة مع منطق الزمن الذى قدر له أن يحكم إيران على مدى الجولات الانتخابية الماضية.

فقد جرت فى١٧ و٢٤ حزيران ،يونيو٢٠٠٥، جولتان لانتخابات الرئاسة تنافس فى الجولة الأولى سبعة مرشحين هم: الرئيس السابق هاشمى رفسنجانى،

والرئيس السابق للشرطة محمد باقر قاليباف، والمدير السابق للإذاعة والتلفزيون على لاريجانى، ورئيس بلدية طهران محمود أحمدى نجاد، والرئيس السابق للبرلمان مهدى كروبى، ومصطفى معين الوزير السابق للتعليم العالى فى حكومة محمد خاتمى، ومحسن مهر على زاده الذى شغل منصب نائب الرئيس لشؤون الرياضة فى حكومة خاتمى، فيما تنافس فى الجولة الثانية رفسنجانى وأحمدى نجاد.

وأفضت الى فوز محمود أحمدى نجاد المفاجئ على رفسنجانى- الذى توقعت استطلاعات الرأى والمراقبون المحليون والأجانب فوزه -حيث حصل نجاد وفق النتائج الرسمية على١٧٢٤٨٧٨٢ صوتا أى نسبة ٦١,٦٩ فى المئة من أصوات المقترعين مقابل حصول رفسنجانى على ١٠٠٤٣٤٨٩ صوتا أى نسبة ٣٥,٩٢ فى المئة من أصوات المقترعين الذين بلغ عددهم ٢٧٩٥٩٢٥٤ مقترعا يشكلون بدورهم نسبة ٥٩,٧ فى المئة من عدد الناخبين البالغ ٤٦,٨ مليون ناخب وناخبة وبهذه النتيجة أيضاً يكون نجاد أول رئيس من غير رجال الدين فى إيران منذ٢٤ عاما.

وقد أثار النجاح المفاجئ لمحمود أحمدى نجاد على منافسه رفسنجانى تساؤلات كثيرة فالبعض رأى فيه انتصاراً للمحافظين، وآخرون رأوه انتصاراً لاتجاه يدعو إلى خدمة الشعب الإيرانى وإلى إعمار إيران.

ولكن هل انتهت الخاتمية بما تمثله من نهج إصلاحى معتدل مع انتهاء ولاية خاتمى الثانية؟ بمعنى هل نجاد هو نقيض خاتمى؟ أم أن الرئيس فى إيران، نظرا لموقعه فى البنية الهرمية لنظام الحكم، ولصلاحياته الرئاسية التى حددها الدستور لن يكون سوى منفذ ومطبق لسياسات عليا تصدر عن القيادة الدينية الإيرانية، وان مثل هذا الوضع سيساعد فى إزالة التوتر بين القيادة ورئاسة

الجمهورية كما كان الحال فى عهد خاتمى الذى كان يسعى للعب دور مقرر فى تلك السياسات.

لذلك فإن مسارعة وزارة الخارجية الإيرانية و على لسان وزير خارجيتها السابق كمال خرازى إلى مخاطبة المجتمع الدولى وطمأنته إلى أن طهران لن تغير فى سياساتها الخارجية تدل على أن القرار الإيرانى لن يأتى من رئاسة الجمهورية ، بل من مكان آخر طالما اتخذ هو القرارات المصيرية، سواء فى العلاقة مع أميركا أو فى الملف النووى أو الملفات الإقليمية الأخرى.

فى حين كان وصول رفسنجانى إلى الرئاسة يفتح الباب واسعاً أمام صراع على الشراكة فى أى قرار، باعتبار الأخير يرى نفسه مساهماً فى الثورة وفى صنع هذه الملفات.

وإذا أردنا أن نحدد المعالم الإدارية والفكرية والإيديولوجية التى استقى منها نجاد نهجه الرئاسى فقد تشكل معظمها طوال فترة التزام نجاد بمبادئ الثورة الإسلامية فى إيران حيث ظهر خلاله تمسكه بالخطوط العريضة التالية:

أولاً: سياسته فى الإدارة :

رغم أن المهندس أحمدى نجاد يعرض نوعا جديداً من الإدارة، إلا أنه يعتبر من المتأثرين بمدرسة الشهيد محمد على رجائى رئيس الجمهورية الأسبق الذى اغتالته منظمة مجاهدى خلق فى عملية تفجير مقر رئاسة الوزراء فى طهران فى ١٩٨١/٨/٣٠م، وهو لا يخفى إعجابه بالشهيد رجائى ويستخدم عبارته المأثورة: "لاتنسبوا مواقف ضعفى للثورة ولا لتوجهى ومدرستى، فما ترون من مشكلات فأنا سببها وليس نظام الجمهورية الإسلامية أو شعب إيران العظيم"، ويؤكد أن الشهيد رجائى كان وسيظل نموذجاً خالداً للإدارة الإسلامية الثورية.

فرغم الظروف التى كانت تعانيها البلاد بسبب الحرب والحصار السياسى والاقتصادى والعسكرى، ونقص الإمكانيات والاحتياطى النقدى والدعم حتى المعنوى، واحتلال جزء من البلاد، كان يقول إن حربنا الحقيقية لم تبدأ بعد، حتى إذا فرغت ذخيرتنا سوف ندافع عن أرضنا وثورتنا بأظافرنا وأسناننا، وهكذا فعل وهكذا وهب وجوده (همشهرى فى ١٥/٢/٢٠٠٥م).

وهو يعتبر أن الثورة أحدثت قفزة كبيرة لمصلحة الإسلام، والاستقلال والحرية والثقة فى النفس وارتفاع الروح المعنوية وزيادة عدد الشباب المتدين وحفظة القرآن، فضلاً عن حركة التعمير الهائلة من منجزات الثورة الإسلامية. (همشهرى فى ١٥/٢/٢٠٠٥م).

كما يؤكد أن الثورة تعمل دائماً لتطوير نظامها وإدارتها، وهو ما أدى إلى اعتقاد الناس فى القيادة الشعبية الدينية باعتبارها رؤية مواجهة للديمقراطية الغربية من منطلق إسلامى خالص، حيث يرى نجاد أن الناس هم من يتولون إدارة البلاد وإقامة العدل، وأن الوجود فى المجتمع الإسلامى رهن بالإحساس بالمسئولية تجاه الآخرين، وهو ما يفتح الساحة ويهيئ الظروف لضمان الوجود الجماهيرى، وأن أحد خصوصيات الإدارة الثورية هى النظرة الوطنية الشاملة والمستقبلية، فهو يؤمن بالقيادة الشعبية الدينية باعتبارها أساس الحكومة الإسلامية التى تلعب الجماهير دوراً أساسىَ فيها ولا يتشكل النظام بدون وجودها، كما يؤمن أن الولاية المحورية هى إرساء جميع القيم الإسلامية ومتطلبات الولاية فى البلاد، كما يؤمن بضرورة توجيه الثورة نحو العالمية التى كانت وستظل الهدف الرئيسى للثورة الإسلامية (همشهرى فى ١٢/٣/٢٠٠٥م).

ويتميز الرئيس الدكتور أحمدى نجاد بالشفافية وطهارة اليد، إذ أنه بمجرد أن

تولى منصبه كرئيس للعاصمة طهران، سارع بتسجيل ممتلكاته وممتلكات زوجته وأولاده فى سجل خاص حسب المادة ١٤٢ من الدستور، مؤكداً أن رصيده العظيم يكمن فى عشق خدمة الشعب العظيم، ومن ثم فهو يركز على مفهوم الإدارة العادلة والإدارة الثورية، وأنه يمكن رفع الضغوط عن المواطنين من خلال تفعيل هذا النوع من الإدارة وتقليل النفقات غير الضرورية، والاستثمار الذى يتيح توفير فرص العمل، وفى هذا الصدد كان ينتقد السياسة الاقتصادية للدولة ويصفها بأنها سياسة مريضة لأنها تركز ٦٠٪ من الدورة الاقتصادية فى المدن الكبيرة مما يحرم سائر المدن ويكون له مردود سلبى على البلاد (همشهرى فى ٢٠٠٥/١/٨م).

ورغم أن زعماء الإصلاحيين مثل سعيد حجاريان ومحمود علوى تبار يتهمون أحمدى نجاد بأنه يمينى متطرف إزاء هجومه المستمر على أصحاب الميول الفكرية الغربية الذين لايرى لهم موقعاً فى نظام الجمهورية الإسلامية، ورغم تأكيده على أن القيادة الشابة هى دائماً عرضة للغزو الثقافى.

إلا أنه فى أقواله وأفعاله قد أثبت أنه ثورى من الطراز الأول، فقد قيل له عند تصديه لإدارة العاصمة طهران أنه سيعمل بينما سيستفيد من عمله الآخرون من السياسيين، فقال «إذا كانت طهران فى حاجة للجهد فأبذل جهدى ولا بأس من أن يستفيد منه السياسيون». ففى رأيه أن الإدارة تكليف شرعى يتطلب التضحية، لا تشريف يستحق المكافأة والأخذ من بيت المال بلا حساب، وأن ممارسة الإدارة ينبغى أن تكون من منظور القيادة الشعبية الدينية، فالبلاد ملك للشعب، فهناك فرق بين أن يكون الشعب بمثابة المشترى لخدمات الحكومة أو أن يكون منافسا لها، وبين أن يكون مالكا لها، فإذا استطاعت الإدارة أن تجعل الجماهير تشعر بذلك فإنها تحصل على طاقة عظيمة منطلقة، وينبغى أن نتجاوب مع رغبات

الجماهير وحياتهم وتطورهم، ولا شك أن الشجاعة وإرادة التطوير سوف تصب فى قالب مصالح الناس، وسوف نتحرك حسب الأولويات (رسالت فى ١٦/١/٢٠٠٥م).

ويرجع أحمدى نجاد مشكلات البلاد إلى دور الإدارة حيث يقسم أركان المجتمع إلى ثلاثة هى: الزعامة والشعب ومؤسسات الإدارة، ويعتقد أن مجموعة الإدارة لها تأثير كبير فى حياة الناس، فالشعب لايتعب ولا يمل؛ لكن المديرين يتعبون، ويرى أحمدى نجاد أن الإدارة الثورية تقوم على قاعدتين وعدد من الخصائص.

وأن القاعدة الأولى، تعود إلى تلقى وتصور أساس الثورة، وإيجاد مجتمع إسلامى نموذجى ومتقدم كمقدمة ومنطلق لحركة إقامة الحكومة العالمية للإسلام.

أما القاعدة الثانية، فتتعلق بجدارة الشعب الإيرانى ولياقته للقيام بهذه الرسالة العظيمة، أما خصائص الإدارة الثورية فأولها: الاعتقاد بشمولية وتكامل الإسلام، ثم التوكل على الله، والتخطيط والتدبير بما تتناسب مع المصادر والظروف، كما أن من خصائص الإدارة الثورية الفدائية تحقيق أمانى الثورة ومصالح الجماهير، فالإدارة مدينة للجماهير وليست دائنة لهم أو لها مطالب عندهم، مؤكداً أن المدير الذى يبتعد عن منظور الثورة ينسج لنفسه فلسفة خاصة تلقى فى مجال إدارته المشكلات والضعف والقصور على عاتق نظام الجمهورية الإسلامية وعلى عائق الشعب (همشهرى فى ١٥/٢/٢٠٠٥م).

ويؤمن أحمدى أن الجزء الرئيسى من التحديات يتعلق بالتقليدية فى أداء المديرين، والجزء الآخر يتعلق بالأخلاقيات السيئة، وينبغى إصلاح العلاقة بين الإدارة والجماهير واكتساب ثقتهم فى الخطط والبرامج (همشهرى فى ١٦/٢/٢٠٠٥م).

فالإدارة فى نظر أحمدى نجاد ينبغى أن تكون قابلة للتطور حتى فى نوع حركتها لأن جميع المتغيرات المؤثرة فى المجتمع دائمة التغير، وإن لم تكن وسائل الإدارة فى التعامل معها مناسبة لهذا التغير لن يكون هنالك مجال للإدارة الفعالة، إن التطور ليس اختياريا وإنما هو فرض واجب، بل نحن مضطرون أن نسبق التطورات العالمية، وأى مقاومة فى هذا المجال سوف تكلفنا الكثير، يجب أن تكون سرعتنا متناسبة مع سرعة التطورات حولنا، يجب أن تكون علمية، وتستفيد من آخر منجزات العالم المعاصر، ومن هنا فإن التعليم العالى فى حاجة إلى مزيد من الاهتمام (بازتاب فى ٢٠٠٥/٣/٨)

ثانيا: مشاريعه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية:

يؤكد أحمدى نجاد على ضرورة الاستفادة من الثروة القومية بالصورة التى تجعل الجماهير يشعرون بوجودها، فالنفط ثروة قومية، وعندما يرتفع ثمنه يجب أن يشعر الناس بذلك فى حياتهم ومعيشتهم ويفرحوا ويحتفلوا، وعندما انتقده الإصلاحيون لإنفاقه ٦٠٠ مليون تومان من ميزانية المجلس المحلى للعاصمة لإقامة المسابقة الرياضية الدولية لنساء الدول الآسيوية الإسلامية، أكد أن هذا العمل ضمن الواجبات المباشرة وغير المباشرة للبلدية، باعتبار أن قانون المجالس الإسلامية المحلية وضع الاهتمام بالشئون الرياضية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمدن على عاتق المجالس المحلية، وأن إقامة هذه المسابقة جاء وفق قرار المجلس المحلى، وقد علق نجاد على ذلك قائلاً ،إنهم يحاولون عزل المرأة المسلمة عن ممارسة حقوقها، وقد أثبتت هذه الدورة الرياضية للعالم أن المرأة المسلمة تستطيع أن تمارس الرياضة مع محافظتها على الأصول الإسلامية، إنهم يريدون أن يضعوا المرأة على مفترق طريقين إما الحرمان أو الابتذال، وفى رأيى أن البلدية والمجلس

المحلى قد نجحا فى مهمتهما فى هذا الصدد، وسيكون لنا فى ساحة الرياضة قفزة، وسنرتقى بفروع الرياضة، حتى تصبح الرياضة للجميع وفى كل مكان، كما سنهتم برياضة البطولات، (همشهرى فى ٢٠٠٥/٢/١٧م).

ويؤكد أحمدى نجاد أن أعداء إيران يسعون لترويج الابتذال بين الشباب، ومن البديهى أن نواجه ذلك بتثبيت الهوية وتأكيد الأمانى السامية، فالهوية متعلقة بالماضى والأمانى متعلقة بالمستقبل وبغيرهما يقع الإنسان فريسة الحيرة والتخبط، إن الشباب هم ثروة البلاد ويجب الحفاظ عليهم والعمل على ترغيب الشباب فى الزواج من خلال منحهم القروض، مؤكدا أن الشباب وهم الغالبية العظمى من أبناء الشعب يجب أن يكونوا موضع اهتمام المسئولين، ويجب أن يحلوا مشكلاتهم ويمسحوا الحزن عن وجوههم، ويمنحوهم الأمل فى المستقبل، وهو بهذا يوقن أن صناعة الثقافة هى أحد الأدوار الأساسية للسلطة التنفيذية لأن الإدارة صانعة الثقافة هى أحد الأدوار الأساسية للسلطة التنفيذية، ويؤكد أنه لا ينبغى أن نسمح بهبوط مستوى الثقافة، وأن صيانة الثقافة بمعنى حماية ورعاية فكر وثقافة البلاد وأصالتها الثقافية، والعودة إلى الأمانى الماضية بمعنى الثقة فى الذات وتفعيلها، قضيتان هامتان ينبغى الاهتمام بهما على الساحة الثقافية (بازتاب فى ٢٠٠٥/٣/٨).

ومن الواضح أن أحمدى نجاد متفوق فى مجال التعمير، له خطط ابتكارية فى حل مشكلة الإسكان، وهو فى هذا الإطار يدعم عملية تمليك الأراضى وبناء المساكن المقاومة للزلازل، وله مشروع ابتكارى حول إنشاء المساكن الآمنة فى طهران يمكنه تعميمه فى جميع أنحاء إيران، ويقوم على دراسات عميقة وجادة، رجع خلالها إلى الدراسات العالمية فى هذا المجال، وقد أقام منها بالفعل ٦٠

نموذجا تقاوم الزلازل حتى الدرجة السابعة بمقياس ريختر، وتتمتع بمزايا ثلاث هى: قلة التكلفة، وسرعة الإنشاء، والتجانس مع النمط المعمارى السائد، فضلا عن سهولة صيانتها، وقدرتها على استيعاب التخزين، وهى أفضل بكثير من المساكن المقاومة للزلازل، ويتزامن مع اهتمامه بمشكلة الإسكان اهتمامه بمشكلة المواصلات ونجاحه فى حلها فى العاصمة التى تعتبر أكثر المدن ازدحاماً (همشهرى فى ٢٠٠٥/٣/١٢م).

ثالثاً: البرنامج الانتخابى للرئيس نجاد:

كان من بين أبرز ملامح حملة نجاد شعار مكافحة الفساد فهو معروف بتواضعه وبساطة عيشه، وعرف نفسه فى موقعه على الإنترنت بتعبير «ماردوميار» أى «صديق الشعب».

وتردد أن نجاد لم ينفق أى أموال على حملته الانتخابية كما أنه يصغر رفسنجانى بجيل كامل، فبين الاثنين٢٢ عاما. وتتوفر فيه صفات الرئيس التى حددها مرشد الجمهورية آية الله على خامنئى خلال دعوته الناخبين إلى انتخاب مرشح شاب (لأن السلطة الإجرائية تتطلب شباباً وقوة وحماساً) معادياً للولايات المتحدة، ويكون بإمكانه أن يواجه جميع التحديات، ولذلك أيدته الطبقات العاملة وفقراء الريف والعاطلون عن العمل الذين قد تغريهم تعهداته بتوزيع دخل البلاد الكبير من النفط، لنيل أصواتهم.

كما نفى أثناء حملته الانتخابية الشائعات بأنه سيفرض الفصل بين الجنسين فى الأماكن العامة وإجبار النساء على ارتداء ملابس معينة، حيث أشار إلى أن «مشكلات البلاد الحقيقية فى البطالة والإسكان ، وليست فى الملابس»، وتعهد بمعالجة الفقر والدفاع عن القيم الإسلامية.

وتدل تصريحات أحمدى نجاد على انتمائه إلى المعسكر المحافظ على تقاليد الثورة الإسلامية الذى لم يوافق يوما على الليبرالية المكتسبة مع الرئيس المنتهية ولايته محمد خاتمى، وقد نجح هذا المعسكر فى استعادة معاقل الإصلاحيين تدريجيًا.

ومن أقوال نجاد فى ذلك الخصوص: «لم نقم بالثورة لنحصل على الديمقراطية، علينا اختيار حكومة شجاعة ومخلصة لحزب الله، ثقافتنا السياسية باتت خارجة عن السيطرة خلال السنوات الأخيرة، هناك شبكات منظمة ينتشر فيها الانحطاط».

ويرى أحمدى نجاد أن الحرية فى إيران «تذهب إلى أبعد مما يمكن تصوره» ولكن لابد من أن تكون محددة بـ «إطار» معين، ويعتبر أن إعادة النظر فى سيطرة المجالس غير المنتخبة أو صلاحيات المرشد أمرا محظورا.

وعن السجناء السياسيين الموجودين فى السجن نتيجة تطاولهم على هذا الموضوع، لا يقر أحمدى نجاد بوجود سجناء سياسيين فى إيران ويشدد على ضرورة التقيد بالقانون، ويعتقد أن الشعب ينتظر من الأصوليين أن يخدموه.

وكلمة «أصولى» بالنسبة إليه تعنى: التمسك بالقيم الإسلامية والثورية، وقدم نجاد نفسه للناخبين على أنه نصير الشعب، متوعداً الأثرياء، وقد ركز نجاد حملته بأن توجه إلى الطبقات الشعبية الفقيرة، منتقداً أصحاب الثروات، ومؤكداً وقوفه إلى جانب الشعب ومطالبه العادلة، وقد لقى خطابه صدى لدى هذه الأوساط، وهكذا توجه الناخبون إلى صناديق الاقتراع للاختيار بين مرشح يحظى أساسا بدعم الطبقات الوسطى والعليا وشريحة البيروقراطية، وجميعهم أرعبتهم التغييرات المحتملة التى يمكن أن يأتى بها نجاد، المرشح الذى يحظى

أساسا بدعم الطبقات الشعبية، وفقراء الأرياف، والعاطلين عن العمل، إضافة إلى القيادة الدينية والمحافظة.

وأوضح نجاد خلال الساعات الأخيرة قبل الجولة الثانية لانتخابات الرئاسة مواقفه من عدد من المسائل المهمة مثل العلاقات مع الغرب والملف النووى قائلاً: «يقول المحللون: إن أية دولة مهما بلغت قوتها لا يمكنها أن تهاجم إيران لأنها ستكون عملية انتحارية، وبالتالى لا يفترض بنا أن نخضع للتهديدات الأوروبية، فوارداتنا تمثل ٣٠ مليار دولار، إنها وسيلة ضغط ضخمة فى المفاوضات حول البرنامج النووى، ويمكننا بهذه الطريقة أن نفرض شروطنا، وإذا رفضوها يمكننا أن نتوقف عن شراء منتجات منهم».

وعن المشهد الإسلامى ضمن الأطر الدولية يرى أحمدى نجاد أن العالم الإسلامى حالياً، هو الأكثر فقراً بين القوى الدولية، وأن هيكلية الأمم المتحدة أحادية الجانب، ومتراصة ضد العالم الإسلامى، ويطالب بانضمام العالم الإسلامى إلى مجلس الأمن الدولى وبإلغاء حق النقض الذى تتمتع به الدول الخمس الكبرى فى المجلس.

كذلك يدعو إلى إقامة علاقات أوثق مع الدول المجاورة لإيران، وإلى تخفيف إجراءات التنقل فيما بينها، وكان أحمدى نجاد الأقل استعداداً بين المرشحين الذين تنافسوا على الرئاسة لاستئناف الحوار مع الغرب، ويقول: إنه يعارض إقامة علاقات بين إيران والولايات المتحدة فى ظل الظروف القائمة.

وينفى أحمدى نجاد وجود أية رغبة لدى بلاده للتزود بالسلاح النووى، ويقول: «لا نحتاج إلى ذلك فهذا لا يتلاءم مع ثقافتنا ولا مع معتقداتنا الإسلامية».

الثورة النجادية

لقد شهدت إيران فى الواقع ثلاث علامات فارقة فى طريقها نحو إنشاء الدولة الحديثة، حيث كانت فتوى تحريم التبغ (الدخان) (١٨٩١م) هى العلامة الفارقة فى تاريخ إيران حيث كانت الأساس إلى قيام الثورة الدستورية (١٩٠٦م)، التى تركت حالة من التفاعل لدى علماء الدين والمفكرين والأدباء وأُنشئت نتيجة لها الجمعيات السرية وصدرت الصحف التى كانت تهيئ الأذهان إلى قيام الثورة الإسلامية بقيادة آية الله العظمى الإمام الخمينى فى١١ فبراير(شباط) ١٩٧٩ من بهمن١٣٥٧هـ: ش، وأخيراً جاءت الثورة النجادية لتفتح أفاقاً جديدة لمستقبل الجمهورية الإسلامية فى ايران مليئة بالتساؤلات الصعبة والشائكة، لما وجده الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد من صراعات محتوماً عليه مواجهتها ومواقف يعمل على اتخاذها دون رجعة.

وبالعودة إلى الثورات الثلاث السابقة التى ولدت من رحمها الثورة النجادية، نجد أنه كان هناك دائماً رابط بين الثورات المتعددة، فعلى الرغم من أن هناك فاصلاً زمنياً ما بين فتوى تحريم التبغ والثورة الخمينية يقترب من٨٨ عاماً إلا أن كلتا الثورتين تشترك فى سمة أساسية واحدة وهى أن رجال الدين كان لهم الدور الأكبر والبارز فى كلتا الثورتين، فإذا كانت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخمينى قد استوعبت التاريخ لإدراكها أن ثورة علماء الدين ضد ناصر الدين شاه ذلك الملك القاجارى القوى الذى حكم إيران قرابة نصف قرن من الزمان (١٢٦٥- ١٣١٤هـ / ١٨٤٨-١٨٩٦م) والذى أسهب فى إعطاء الامتيازات للأجانب وكان أكثرها خطورة وضرراً بالإيرانيين احتكار التبغ الإيرانى لأحد المستثمرين الإنجليز الميجور تالبوت (١٣٠٨هـ-١٨٩٠م) وهو الأمر الذى فجر غضب واعتراض الإيرانيين ضده، فقامت ثورة علماء الدين الأولى ضد ناصر الدين شاه وقد استعانت فيها برجل فكر

وسياسة هو السيد جمال الدين الأفغانى واسمه لدى الإيرانيين(جمال الدين آسد آبادى)، وترجع أهمية هذه الثورة لما ترتبط به من أهمية قصوى فى تاريخ الإيرانيين، خصوصاً إذا علمنا أن خمس سكان إيران فى ذلك الوقت كانوا يعملون إما فى شراء أو بيع أو زراعة التبغ، وهو الأمر الذى تعهد مباشرة بتولى الشركة الإنجليزية احتكار التبغ داخلياً والمصدر إلى الخارج، ولم يكن سبب المقاومة هو الغدر المادى فحسب، ولكن كان الغضب فى الأساس من تسلط الشركة على شؤون إيران، حيث عملت الشركة منذ البداية على خطوات مشبوهة فكونت لنفسها محكمة خاصة بها وجيشاً وحراساً مما أربك المدن الإيرانية وجعلها فى حالة اضطراب شديد.

وكانت بداية الثورة عندما تجمعت المرجعيات الدينية على رفضها القاطع لهذا الامتياز، حيث عارض آية الله ميرزا الشيرازى وميرزا أشتيانى مجتهد هذا الامتياز تماماً وأمرا الناس بالإضراب وعدم التعامل مع الشركة الإنجليزية، وهكذا بدأ فتيل الثورة فى كافة المحافظات الإيرانية فى شيراز وأصفهان وخراسان، وانتظرت ايران فتوى آيات الله ميرازى الشيرازى المرجع الشيعى الأعلى الذى أصدر بدوره فتوى تحريم التبغ فى اليوم الأول من جمادى الأولى ١٣٠٩هـ-١٨٩١م، والتى جاء نصها كالآتى:

بسم الله الرحمن الرحيم: «اليوم استعمال تنباكو وتوتون باى نحو كان در حكم محاربة با إمام زمان صلوات الله وسلامه عليه»، وعقب انتشار حكم التحريم ترك استعمال التبغ والدخان فى أنحاء الدولة بصورة كاملة، وقد كانت هذه الفتوى إيذاناً لقيام الثورة الدستورية فى١٣٢٤هـ-١٩٠٦م، ومن بعدها حركة مصدق القومية فى أوائل العقد السادس من القرن الماضى.

وإذا كانت أسباب قيام الثورة الدستورية فى مطلع القرن العشرين راجعة فى الأساس إلى تغلغل النفوذ البريطانى والروسى فى البلاد، فإن من أسباب قيام

حركة مصدق تصاعد النفوذ الأميركى فى إيران، وكانت تلك الحركة تهدف لتحقيق ديمقراطية دستورية، ونجحت الحركة بالفعل فى زعزعة استقرار نظام الشاه (رضا شاه-١٩٤١م إلى١٩٧٩م) الذى فر إلى خارج البلاد، إلا أنه عاد مرة أخرى إلى البلاد بمساعدة الولايات المتحدة الأميركية ليبدأ حقبة ديكتاتورية جديدة دامت حتى قيام الثورة التى قادها علماء الدين فى عام ١٩٧٩.

وعلى الرغم من كل مايقال عن الثورة الإسلامية فى إيران من إنها ثورة لعلماء الدين فى الأساس إلا أن الواقع يثبت أنها ثورة شعبية بمعنى الكلمة، ففى أواخر السبعينيات، كان هناك إجماع بين أفراد الشعب الإيرانى على اختلاف طبقاته وفئاته وتوجهاته من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار على حتمية الخلاص من النظام البهلوى، وعلى الرغم من الدور المهم الذى لعبته الأجنحة العلمانية المعارضة فى إسقاط نظام الشاه والنظام الملكى كله، إلا أن الغلبة كانت لرجال الدين الشيعة الذين التفت حولهم الجماهير العريضة من الإيرانيين وتجار البازار، والحقيقة أن هذه الثورة لم تكن مفاجئة بالنسبة لمن يعرفون تاريخ إيران الحديث، فقد كانت امتداداً للحركة الدستورية التى بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر.

وأخيراً جاءت الثورة النجادية لتفجر مجدداً الطاقات الثورية المتدفقة للشعب الإيرانى المتعطش لتثبيت دوره الثورى الإسلامى بشكل دائم وذلك دون التراجع ولو قدم عن أهدافه الاستراتيجية الطموح لجعل إيران دولة قادرة على الوقوف ضد الطوفان الأميركى الكاسح للمنطقة وموقفه الرافض لأى خضوع أو التراجع عن موقفه المتمسك ببرنامجه النووى ورفضه القاطع للاعتراف بالكيان الصهيونى، ومطالبته بشطب اسم الكيان الصهيونى من خارطة العالم، فهل تحقق الثورة النجادية نجاحاً مثلما حققت الثورة الخومينية؟

الفصل الثالث

طموحات الوطن

وهموم المواطن

ما أصعب البدايات وأروعها.. تسلم الرئيس أحمدى نجاد ملفات معقدة عندما ولج إلى القصر الجمهورى، حيث كانت هناك عواصف راقدة وأخرى متحركة، وملفات عالقة وأخرى ساخنة وفاعلة، فكيف تصرف فيها؟، وكيف تعامل مع التحديات الداخلية والخارجية؟

كثيرة هى التفاصيل، وفى ثنايا التفاصيل يكمن الشيطان حسب الحكمة البريطانية القديمة، والشيطان يصبح راهباً خلال فترة مرضه حسب المثل الفرنسى، ولا شك أن الشيطان الأميركى مرهق فى العراق، مثخن بالجراح وأعداد القتلى، لكنه مع ذلك يحاول أن يحاصر المشروع النووى الإيرانى، ويحاول أن يحاصر المشروع الوطنى التنموى الإيرانى، ويحاول أو يجر خلفه عددا من الدول فى تظاهرة غربية لتجريد إيران من حقها فى امتلاك تكنولوجيا نووية، فالسياسة الأميركية- مثلما قال الشاعر أدونيس- هى تسويق للحرائق، وهى ترويج للتوتر، وهى برنامج إعلانى يومى قبل نشرة الأخبار وبعدها عن تصدير الأزمات، إذ ليس من حل وسط لأميركا- هكذا يقول أمير الظلام ريتشارد بيرل- إما النصر أو الإبادة، وهذا التسويق الدامى للعمل الديبلوماسى الأميركى كان فاتحة الاستقبال للرئيس الإيرانى أحمدى نجاد، الذى وجد نفسه فى قلب العاصفة منذ الطلة الأولى على العالم من موقعه كرئيس لدولة عظمى- إقليميا- تسعى لاستعادة مجد قديم أو رسم مجد جديد.

كانت العاصفة (فى عصر خاتمى) مسترخية على أريكة تشرب وتضحك، وتدخن فتعانق زوارها وتؤجل البرنامج النووى بعد آخر عاماً كانت العاصفة مرحة فرحة بما تبقى من هواء وضيوف لكنها تحركت فجأة مع قرار الرئيس نجاد لمواصلة البرنامج النووى، وبدء مرحلة التخصيب هنا ظهرت رؤوس واختفت

رؤوس، ظهر البرادعى وخافير سولانا، واختفى بوش وبلير، ثم فى مرحلة أخرى سوف يطل بوش وبلير ويختفى البرادعى وسولانا، تقلبات فى الوجوه وارتباطات فى السياسات والإجراءات، وقلق فى واشنطن وأخواتها من مغبة الصدام مع الثائر الإيرانى القادم من بطن حضارة عمرها خمسة آلاف عام، وقت كانت واشنطن تغرق فى بحر الظلمات، وها هى عاصمة الولايات المتحدة الأميركية تغرق فى المستنقع الأميركى، ويعترف أحد أبرز قادتها الفكريين (فرانسيس فوكوياما) بأنه (إذا كان العراق قد علمنا شيئاً، فهو أنه ليست هناك طرق مختصرة لبلوغ الأهداف).

وليست واشنطن وأخواتها هى فقط الملف الساخن الذى واجه الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد، ففى الداخل مشكلات قاسية، قد حاول البعض أن يحول الحاضر إلى سجن للمستقبل فى طهران، وباسم الليبرالية والانفتاح على الآخر سعى هؤلاء - وبإصرار- على أن يكون لون اللبن أسود، وأن يخلطوا الأوراق والألوان والأزمات حتى دعا بعضهم إلى تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيونى، وإذا كانت هناك جرائم عديدة تتم باسم الحرية حسب صرخة الفرنسية جان دارك، فإن الديمقراطية وسياسة النوافذ المفتوحة فى العقدين السابقين على تولى أحمدى نجاد قد أسفرت عن مشكلات للمرأة والشباب والقوى الصاعدة فى المجتمع، هناك بطالة وفقر وفساد وثراء فاحش وتلاعب فى ساحات العدالة والقضاء حتى ظن البعض أن فى إيران تموت الاتهامات واقفة، فكانت تصريحاته الأولى قوية ضد الفساد داعية إلى إرساء العدالة فى كل قطاعات الدولة وإعادة هيبة القضاء، وكنس الفاسدين أياً كانت مواقعهم فى جهاز الدولة أو تأثيرهم فى الحركة الاقتصادية، فى نفس الوقت الذى سعى فيه الرئيس نجاد إلى توسيع

رقعة الحريات المدنية والصحفية انطلاقاً من أن تقوية الجبهة الداخلية يعد عنصراً مهما فى التحديات الخارجية أو عملاً بما قاله المفكر العربى ابن خلدون (حصن قلعتك من الداخل يخشاك العدو).

ومنذ انتخابه المفاجئ، حرص أحمدى نجاد فى خطبه على التحدث عما تمثله الأمة الإيرانية من،طيبة، و،احترام للقيم العائلية،.

لكن فوزه بغالبية ٦١,٦٩ فى المائة على أكبر هاشمى رفسنجانى لم يكن فى أى حال بهدف إعادة العلاقات المقطوعة مع الولايات المتحدة أو الدفاع عن حقوق الإنسان.

فتصرفاته البسيطة وسمعته الطيبة كمسلم وخطابه الشعبى أكسبته تعاطفا كبيرا فى الأوساط الشعبية التى تعانى من البطالة والتضخم والواثقة من أنه سيهتم بشئونها اليومية أكثر من اهتمامه بحرية الصحافة.

وكما كان الأمر فى بلدية طهران التى تسلم رئاستها فى عام٢٠٠٣، جعل أحمدى نجاد الذى يؤكد بأنه ،فخور بأن يكون الخادم البسيط ومنظف شوارع الأمة الإيرانية،، من المشاكل اليومية لمواطنيه أولوية عمله وسيكون بإمكانه الاعتماد على الثروة النفطية.

وتتوقع الشركة الوطنية للنفط أن تجنى إيران من عائدات النفط٤٠,٥ مليار دولار، أى فائضاً بقيمة٢٤,٤ مليار دولار قياسا لما يتوقع فى الميزانية لعام٢٠٠٦.

وبعد أن أثار قلق عالم الاقتصاد بوعده بـ ،قطع أيدى المافيا النفطية وإعادة توزيع الثروات، حرص أحمدى نجاد فيما بعد على طمأنته من خلال إعلان عزمه على تشجيع الاستثمارات وأنشطة البورصة.

ونعرض بالتفصيل فى هذا الفصل أبرز التحديات الداخلية والخارجية التى

واجهت الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد خلال العام الأول من فترته الرئاسية، وذلك من خلال القسمين التاليين:

القسم الأول: التحديات الداخلية
هموم الوطن

كان أمام الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد مجموعة من التحديات الداخلية والخارجية، وفى مواجهة هذه التحديات تنوعت برامجه وسياساته الداخلية والخارجية تباعا لما تواجهه إيران اليوم من تحديات، وعلى هذا فقد شهد العام ٢٠٠٥- ٢٠٠٦ فصولاً من المواجهات الداخلية التى فرضت على الرئيس الإيرانى أن يضع أطرا عامة وخاصة للخروج سالما من هذه المواجهات، وعلى ذلك فقد اتبع نجاد برنامجا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا حاول من خلاله أن تكون سياسة الحكومة مبنية على العدل والسلم والعيش المشترك وتطوير العلاقات العادلة، مشيرا إلى أن الاعتدال سيكون السياسة الرئيسية للحكومة التى تمثل ٧٠ مليون شخص، حيث لن يكون هناك مكان للتطرف، وهذه الحكومة ستكون حكومة صداقة وتسامح وعدل وصدق فى خدمة الشعب، مهما كانت الآراء، إنها حكومة دينية ديموقراطية ستكون فى خدمة الشعب، ويجب أن يبلغ بلدنا قمم التنمية، وقد شدد نجاد على أن مكافحة الفساد البيروقراطى فى كل القطاعات بما فيه النفط، تأتى ضمن استراتيجية محددة لحكومته، وفى كل المجالات بما فيها النفط فقد أعطى الأولوية للمستثمرين المحليين.

وشدد أحمدى نجاد على أن الدرس الكبير الذى يمكن استلهامه من

الانتخابات الرئاسية الأخيرة هو أن العناصر الكفوءة والمخلصة ستواصل سيرها على هذا النهج مهما كانت النتائج، حيث أن الهدف الأسمى للجميع هو إسداء الخدمة لأبناء الشعب الإيرانى النبيل فقط، مؤكدا أنه يمد يده إلى جميع المخلصين طالبا العون والمساعدة للذين يرغبون فى خدمة أبناء هذا الشعب الأبى، الذى قدم الغالى والنفيس للحصول على الحرية والاستقلال والانعتاق من التبعية للأجانب، وأوضح أحمدى نجاد أنه سيستفيد من تجارب زملائه المرشحين فى برامجه الإدارية المستقبلية معربا عن أمله فى أن ينجح لخدمة الناس مؤكدا أنه سيستفيد من العناصر السليمة المخلصة دون الأخذ بعين الاعتبار ميولهم السياسية والحزبية.

وحرص نجاد- الذى وصف نفسه بـ (كناس شوارع الأمة الإيرانية)- على طمأنة أوساط رجال الأعمال الذين أبدوا قلقهم من وصوله إلى السلطة بقوله: سنعمل على تطوير الاستثمارات الوطنية والأجنبية فى إيران، وهناك العديد من المعوقات البيروقراطية التى عرضت الاستثمارات فى إيران للخطر، وإن إيران تسير على طريق التقدم والتنمية، معتمدة على نفسها، وليست فى حاجة للولايات المتحدة للسير على هذا الطريق.

وفى السياسة الخارجية، فقد أعطى الأولوية للعدالة والسلام والتعايش وتوسيع العلاقات الثنائية النزيهة، وقال: "إننى على استعداد للعمل مع أى بلد لا يكن عداء لإيران"، وأكد على مواصلة المفاوضات النووية مع الاتحاد الأوروبى، منبهاً إلى ضرورة أن تكون الثقة متبادلة إلى أن إيران بحاجة إلى هذه التكنولوجيا للحصول على الطاقة وللأغراض الطبية والعلمية، مشدداً على حق إيران فى تطوير التكنولوجيا النووية لأهداف سلمية.

وأعرب الرئيس الإيرانى عن رغبته فى تطوير العلاقات مع الدول العربية والإسلامية، حيث أن تقدما كبيرا قد تحقق أصلا وأن تقدما آخر سوف يتم إحرازه، "سوف نشارك فى تطوير العلاقات مع الدول الإسلامية ودول المنطقة"، و"إن تطوير العلاقات مع دول الخليج هو أولوية سياستنا الخارجية"، و"الخليج هو خليج السلام والعدالة"، و"سأمد يدى للجميع وسأسعى لتوسيع العلاقات مع الجميع باستثناء إسرائيل".

هل يكون ما ذكره نجاد كافيا لقيادة دولة فى حجم إيران، أم أن إيران مقبلة على متغيرات وتحولات كبيرة ربما تلعب فيها الولايات المتحدة الدور الأبرز انطلاقا من دعوتها إلى تعزيز الديموقراطية فى إيران ومحاربة إحدى زوايا محور الشر؟!!، وبالتالى الاستفادة من الغطاء الذى وفرته لها عودة المحافظين إلى السلطة فى اتجاه ممارسة مزيد من الضغوط للحصول على مزيد من التنازلات، أو لتسويغ أى عمل عسكرى بحجة محاربة التطرف الدينى المتجدد فى إيران، أسئلة ستسعى إيران الواقفة على مفترق الطرق، إلى الإجابة عنها سريعا تفاديا لما هو أعظم، أو لمحاولة الحفاظ على السلطة والنظام فى مقابل ثمن لا يعرف أحد حجمه أو نوعه حتى الآن.

ولتحقيق هذا البرنامج وإنجاحه علينا أولا أن نتعرف على علاقة السلطة التى تربط المرشد والرئيس فمن المعروف أن صلاحية المرشد والرئيس تتوزع كالتالى:

• صلاحيات المرشد:

١- إقرار السياسات العامة للدولة، بعد استشارة مجلس تشخيص مصلحة النظام لتحديد الأهم والمهم، وللمرشد القرار النهائى.

٢- مراقبة تنفيذ السياسات العامة للدولة.

٣- إصدار مرسوم الانتخابات العامة

٤- يحتفظ بحق إصدار القرارات المهمة للقوات المسلحة.

٥- إعلان الحرب والسلام، والتعبئة العامة للقوات المسلحة.

٦- تعيين وإقالة الشخصيات التالية: فقهاء مجلس الأوصياء، رئيس التليفزيون، رئيس أركان الجيش، وقائد قوات الثورة الإسلامية، جميع قادة أسلحة الجيش المختلفة.

٧- فض النزاعات بين أجنحة القوات المسلحة بالاستعانة بمجلس تشخيص مصلحة النظام.

٨- حل المشاكل التى تحل بالطرق العادية، بالاستعانة بمجلس تشخيص مصلحة النظام.

٩- المصادقة على مرسوم الانتخابات الرئاسية، وعلى استكمال مرشحى الرئاسة للصفات المذكورة فى الدستور، والتى يجب المصادقة عليها من مجلس الأوصياء قبل بدء الانتخابات.

١٠- إقالة رئيس الدولة من منصبه تحقيقاً للمصلحة العامة بعد أن يدينه القضاء فى مخالفة قانونية أو بعد أن يحجب مجلس الشورى الثقة عن الرئيس فى ضوء ما ورد فى المادة (٨٩) من الدستور.

١١- إسقاط أو تخفيف الأحكام القضائية على المدانين وفق ما تسمح به الشريعة الإسلامية وبتزكية من رئيس الهيئة القضائية.

وللمرشد أن يعطى بعض صلاحياته لشخص آخر.

- **صلاحيات الرئيس:**

١- اختيار وزراء حكومته وتقديمهم إلى مجلس الشورى لإجراء تصويت الثقة على تعيينهم غير أن الرئيس ليس فى حاجة إلى الحصول على ثقة مجلس الشورى ليشكل الحكومة، كما له حق إقالة الوزراء دون الرجوع إلى المجلس.

٢- المصادقة على القوانين وتطبيقاتها بعد المصادقة عليها من مجلس الشورى.

٣- المصادقة على الاتفاقيات والمعاهدات والعقود الخارجية، بعد المصادقة عليها من مجلس الشورى.

٤- اعتماد أوراق السفراء الأجانب لدى إيران والمصادقة على تعيين السفراء الإيرانيين.

٥- إدارة ميزانية الدولة، وتنفيذ خطط التنمية بعد مصادقة مجلس الشورى.

٦- رئاسة اجتماعات مجلس الأمن القومى.

٧- يتولى الرئيس أو نائبه رئاسة اجتماعات مجلس الوزراء.

٨- تعيين وكيل لمدة أقصاها ثلاثة أشهر لأية وزارة لايوجد فيها وزير.

٩- للرئيس - فى ظروف خاصة- أن يعين ممثلاً عنه بسلطات محددة من خارج مجلس الوزراء على أن تعتبر قرارات الممثل فى قوة قرارات الرئيس وأعضاء مجلس الوزراء.

١٠- منح أوسمة الدولة.

ومن خلال هذه العلاقة نستطيع أن نوضح أين يقف نجاد من النظام السياسى الإيرانى؟

حيث تعتبر الدوائر الغربية وبخاصة الأميركية أن النظام السياسى الإيرانى معقد ويصعب على غير الإيرانيين فهمه، لكن الواقع هو أنه نظام سلس يسمح

بتعدد مصادر التفكير والإبداع والرؤية فالنظام الإيرانى يجمع بين السلطة الدينية الإسلامية وعناصر تنتمى إلى الديموقراطيات الحديثة تحت قيادة قائد أعلى للقيادة.

والتجربة السياسية الإيرانية تجربة فريدة فى العالم الإسلامى كله، وفى ظل تلك التجربة الفريدة تظل نقطة الخلاف الرئيسية بين الإصلاحيين والمحافظين هى الوجهة التى يجب أن يتطور نحوها هذا النظام حيث يتشكل كالآتى:

- المجلس الأعلى للأمن القومى: يساهم هذا المجلس فى وضع سياسة الدولة فى مجالات الدفاع والأمن ويعاون فى تنفيذها، والمجلس يرأسه رئيس الدولة ويضم أعضاء يمثلون كافة الوزارات والهيئات المعنية.

- **القوات المسلحة:** تضم القوات النظامية والحرس الثورى اللذين ترأسهما قيادة مشتركة، وكل قيادات الجيش والحرس الثورى يعينون من قبل المرشد الأعلى ولا يحاسبون إلا من قبله، وقد تأسس الحرس الثورى عقب قيام الثورة بغرض حماية قادتها ومؤسساتها ومحاربة معارضيها، وبعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية عام ثمانين قوى الحرس الثورى مركزه وطور قدراته الحربية أرضا وجوا وبحرا حتى أصبح جيشا كامل التجهيز ويتمتع بتأثير قوى فى البلاد، ويتمتع الحرس الثورى بحضور قوى فى المخابرات وقوات الشرطة، ويحكم ميليشيات من المتطوعين لها فروع فى كل مؤسسة وكل مدينة.

- **مجلس تشخيص مصلحة النظام**: مجلس للمستشارين يرأسه الرئيس السابق هاشمى رفسنجانى، والمجلس مسؤول عن وضع السياسة بعيدة المدى، ويعمل كهيئة استشارية لرئيس البلاد، والمجلس معنى بالفصل فى النزاعات التشريعية التى تنشأ بين البرلمان ومجلس صيانة الدستور.

- **رئيس القضاء:** لم يكن القضاء الإيرانى أبدا بمنأى عن التأثير السياسى، فحتى بدايات القرن العشرين كان رجال الدين يديرون القضاء، ثم صار النظام وبالتالى القضاء علمانيا حتى قامت الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ وعقب الثورة صار المرشد الأعلى للثورة هو الذى يعين ويحاسب رئيس القضاء. ويتمتع القضاء بحق تعيين ستة من أعضاء مجلس صيانة الدستور، حتى وفاة آية الله الخمينى عام ١٩٨٩، كان القضاء تحت سيطرة القوى اليسارية الراديكالية، لكن السنوات العشر الماضية شهدت تحول هذه السيطرة إلى معسكر المحافظين تحت قيادة رئيس القضاء السابق محمد يازدى الذى ابتكر ما يعرف بالمحاكم العامة، وهى محاكم يكون القاضى فيها هو ممثل الادعاء.

- **مجلس الخبراء:** يتكون المجلس من ٨٦ من رجال الدين الذين يملكون حق تنصيب المرشد الأعلى كما يملكون حق عزله، ويعد المجلس بمثابة جهة إشرافية على المرشد الأعلى للثورة.

- **المرشد الأعلى:** أرسى آية الله الخمينى دور المرشد الأعلى للثورة الإيرانية ووضعه على قمة هرم النظام السياسى الإيرانى، وهو القائد أو المنظر الفكرى والموجه الفلسفى للنظام، ويتسم بكونه مرجعية دينية وفكرية فى آن، ويتسم بأنه شخصية كارزمية تحظى باحترام المؤسسات السيادية فى البلاد.

- **مجلس صيانة الدستور:** هو الهيئة الأكثر تأثيرا فى إيران، ويسيطر عليه حاليا المحافظون ويتكون المجلس من ستة علماء دين يعينهم المرشد الأعلى، وستة قضاة يرشحهم القضاء ويوافق عليهم البرلمان، ويجب أن ينال البرلمان موافقة المجلس على أى تشريع، وتكون مهمة المجلس هى التأكد من اتساق التشريع مع الإسلام ودستور الدولة، ويتمتع مجلس صيانة الدستور بسلطة

الاعتراض على المرشحين فى الانتخابات البرلمانية والمجالس المحلية، والمرشحين لرئاسة الجمهورية أو رئاسة لجنة الخبراء.

- **الناخبون:** كان النساء والأطفال فى طليعة الذين أتوا بالرئيس نجاد إلى الحكم، فحتى هؤلاء الذين لم يبلغوا السادسة عشرة ولم يحق لهم الانتخاب بعد حثوا آباءهم على انتخاب شخصيات بعينها فى الانتخابات الأخيرة التى جرت فى إيران عام ٢٠٠٥.

وفى إيران حوالى ٨ ملايين طفل ولدوا بعد الثورة الإسلامية التى كان شعارها الحرية والاستقلال وإقامة جمهورية إسلامية، وحتى الآن لا تزال التنمية هى المطلب الأساسى لهذا الجيل الجديد، إلى جانب مطالب أخرى كالعدالة والرفاهية وسيادة القانون.

- **الرئيس:** ينتخب الرئيس فى إيران لفترة رئاسية تبلغ أربعة أعوام ويمكن أن تجدد مرة واحدة، ورئيس إيران يرأس الجانب التنفيذى فى البلاد ووظيفته هى ضمان تطبيق الدستور، وهى الوظيفة التى يشدد عليها الرئيس أحمدى نجاد كثيرا.

وواقع الأمر فى إيران أن دور رئيس البلاد متناغم مع رجال الدين والمحافظين فى هيكل السلطة فى إيران، بالإضافة إلى سلطة المرشد الأعلى الذى يسيطر على القوات المسلحة.

- **مجلس الوزراء:** رئيس البلاد هو الذى يختار الوزراء الإيرانيين لكنهم يجب أن ينالوا موافقة البرلمان الذى يملك أيضا الحق فى عزلهم.

وهنا أيضا يتمتع المرشد الأعلى بسلطات واسعة فى مجالات الدفاع والأمن والسياسة الخارجية، كما يرجع الوزراء إليه فى كثير من قراراتهم، ويخضع الوزراء

المسؤولون عن الشؤون الثقافية والاجتماعية لرقابة لصيقة من جانب القوى المحافظة التى لا تسمح بأى تصرف ترى فيه خروجاً عن النهج الإسلامى القويم، ومجلس الوزراء الإيرانى يرأسه رئيس الجمهورية أو نائبه، الذى يكون مسؤولا عن شؤون مجلس الوزراء ويؤدى مهام رئيس الحكومة.

- **مجلس الشورى الإسلامى:** ينتخب أعضاء البرلمان الإيرانى أو مجلس الشورى الإسلامى بالانتخاب الشعبى المباشر الذى يجرى مرة كل أربع سنوات. ويسيطر على البرلمان الحالى أغلبية من المحافظين، لكن الأقليات ممثلة فيه أيضا وتتمتع بحرية كاملة فى إبداء رأيها.

وأول مجلس شورى إيرانى بعد الثورة الإسلامية تم انتخابه عام ١٩٨٠. وكان عدد أعضائه مائتين وسبعة وثلاثين عضوا، وقد زاد هذا العدد إلى مائتين وثلاثة وتسعين، ويمثل مجلس الشورى السلطة التشريعية المعنية بسن القوانين ومراقبة السلطة التنفيذية.

مجتمع متجانس كالسجاد العجمى

تعتبر إيران قوة يحسب لها ألف حساب نظرا لحجمها وعدد سكانها وموقعها الجغرافى الاستراتيجى وثرواتها الطبيعية وامتدادتها الدينية والمذهبية وتحالفاتها داخل المنطقة وخارجها، ومصالح الدول الكبرى فى أسواقها الناشئة. وعلى رغم التأكيد بأن من حق كل دولة الحصول على الأسلحة القادرة على درء الأخطار المحدقة بها، وعلى رغم شجب ازدواجية المعايير فى غض الطرف عن إسرائيل فى حشد ترسانتها النووية، فإن بعض دول الغرب تتساءل عن مبررات

إيران فى التصعيد والتحدى ثم فى الإصرار على إنتاج أسلحة نووية على رغم عوامل القوة التى أشرت إليها. وثمة قلق من الصراع المتجدد ونتائجه على مصيرهم وإمكانات تعرضهم للأخطار أو للتلوث الإشعاعى، أو حتى لتهديد نووى حقيقى فى حال انطلاق شرارة المواجهة العسكرية.

وللعلم فإن عدد سكان إيران ٧٠ مليون نسمة يسكن ٨ ملايين منهم فى العاصمة طهران. وهى دولة متعددة الأعراق والأجناس والأقوام والأديان واللغات وهى تشبه فى تكوينها السجادة العجمية الشهيرة إذ أنها تتكون من ألوان وأشكال عدة ولكن يغلب عليها لون سائد هو العنصر الفارسى الذى يشكل نحو ٦٠ فى المئة من مجموع سكان إيران الذين يتوزعون على قوميات وأعراق اخرى مثل الأكراد (١٠ ملايين) والأذريين (١٢ مليونا) وعاصمتهم مدينة تبريز إضافة إلى ملايين العرب فى ولاية (عربستان) التى أصبح اسمها خوزستان وعاصمتهم مدينة المحمرة التى أصبح اسمها خورمشهر، وهناك أقليات أخرى مثل التركمان والبلوش والزردشت والأرمن والمسيحيين الأرثوذكس وحتى اليهود، وهناك الآن فئات المهاجرين الإيرانيين فى دول العالم ومنهم المعارضون المنتمون لـ (مجاهدى خلق) وأنصار الشاه الراحل وغيرهم ممن سيشكلون خطرا حقيقيا على الثورة فى حال وقوع حرب أو اضطرابات.

وعلى رغم تعدد هذه الأقوام فإن المذهب الرسمى للدولة هو المذهب الشيعى الاثنى عشرى (الجعفرى) الذى تدين به الأكثرية، وعلى رغم تعدد اللغات فإن اللغة الرسمية الوحيدة المعترف بها هى اللغة الفارسية، ومازالت إيران تتمسك بتقاليد فارسية وبثوابت ترفض التخلى عنها.

أما عن الثروات فهى كثيرة من بينها الثروة النفطية حيث يقدر احتياطى

البترول فيها بنحو ٩٠ بليون برميل أى ما يعادل ١٠ فى المئة من احتياطى العالم وهى تصدر نحو ٣,٦ مليون برميل يوميا، وهذا طبعا عدا الثروات الزراعية والمائية والغاز والسجاد.

بلد العلماء والمهندسين

لقد واجه الرئيس الإيرانى الجديد - الذى تسلم الرئاسة عمليا فى أغسطس ٢٠٠٥ - تحديات داخلية عدة أهمها: التنمية الاقتصادية وحل مشكلات البطالة والتضخم، وتحديث البنى التحتية خصوصا مايتعلق بجذب الاستثمارات الأجنبية لتطوير المنشآت النفطية.

وبحسب الأرقام الرسمية، يحتاج حوالى ستة ملايين إيرانى إلى رفع مستوى معيشتهم والرقم يزيد عن ذلك كثيرا حسب تقارير غير رسمية ، كذلك فإن قضية التنمية الإدارية ومحاربة البيروقراطية ومكافحة الفساد، إضافة إلى الحريات العامة، أمور طرحت بقوة خلال الحملة الانتخابية وتنتظر إجراءات من الرئيس نجاد الذى قدم أنموذجا واقعيا على التحام القائد بالمواطنين عندما انضم إلى آلاف الشباب لكنس شوارع طهران عندما كان رئيسا لبلديتها حيث نزل إلى الشارع بنفسه فحصل على حب واحترام المواطنين خاصة فى أوساط الفئات الشعبية وأبناء الريف ويعتقد محللون سياسيون أن الرئيس أحمدى نجاد جمع بين منهجين فى آن أولهما العودة بإيران إلى سنوات الثورة الإسلامية الأولى بكل قيمها ومفرداتها التى شهدت تجاذبا داخليا وعزلة دولية مستمرة، ثانيا فى نهج دولة الإصلاحات الذى وضع أسسه الرئيس السابق محمد خاتمى، بكل مايعنى

ذلك من إكمال خطوات تحرير الاقتصاد ، وانفتاح على العالم الخارجى وجذب الاستثمارات ، إذ يقدر الخبراء حاجة إيران لاعادة بناء اقتصاد قوى إلى نحو مئة مليار دولار فى غضون أربع سنوات.

وعن التحديات الداخلية التى ألقت بظلالها على فترة رئاسة نجاد نعدد منها الآتى:

التحديات الاقتصادية

منذ تولى الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد مقدرات السلطة فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية كانت هناك حزمة من التحديات الاقتصادية الكبرى المفروضة عليه، وخصوصا وأن برنامجه الاقتصادى يرتبط فى المقام الأول بمراعاة الطبقة الكادحة والمتوسطة فى إيران، وذلك من خلال تبنيه لسلسلة من الأهداف التنموية الطموحة الباحثة عن رفع الأعباء عن كاهل الشباب الإيرانى الباحث عن العمل، ولم تبتعد أهداف نجاد كثيرا عن واقع الاقتصاد الإيرانى، بل إنه قد أسسها على أرضية صلبة من الواقع الذى يعتبر الاقتصاد الإيرانى واحداً من أكبر اقتصادات المنطقة، وهو بالتحديد ثالث أكبر هذه الاقتصادات بعد تركيا والسعودية وفقاً لما ذكره الباحث أحمد السيد النجار فى كتابه مصر وإيران وتركيا الواقع الاقتصادى والعلاقات الأوروبية إذا تم احتساب الناتج القومى الإجمالى بالدولار وفقا لتحويل قيمة هذا الناتج بالعملة المحلية إلى الدولار طبقا لسعر الصرف السائد، حيث بلغ الناتج القومى الإجمالى الإيرانى المحسوب بهذه الطريقة، نحو ١٠٤,٦ مليار دولار عام ٢٠٠٠، مقارنة بنحو ٢٠١,٥ مليار دولار لتركيا، ونحو ١٣٩,٤ مليار دولار للسعودية، ونحو ٩٥,٢ مليار دولار لمصر فى العام نفسه. ويعتبر الاقتصاد الإيرانى ثانى أكبر اقتصادات المنطقة بعد تركيا إذا تم

احتساب الناتج القومى الإجمالى وفقا لتعادل القوى الشرائية مع الدولار، حيث بلغ الناتج القومى الإجمالى الإيرانى المحسوب بهذه الطريقة نحو ٣٧٨ مليار دولار عام ٢٠٠٠، مقارنة بنحو ٤٥٩ مليار دولار لتركيا، ونحو ٢٥٤ مليار دولار لمصر، ونحو ٢٢٣ مليار دولار للسعودية فى العام نفسه.

لكن هذا الاقتصاد الضخم يواجه العديد من المعضلات مثل؛ جمود هيكله واعتماده على إنتاج وتصدير السلع الأولية، وبالتحديد النفط والغاز، وضعف إنتاجية العمل فى قطاعاته غير النفطية، شأنه فى ذلك شأن العديد من الاقتصادات النامية، ويضاف إلى ذلك ما يعانيه هذا الاقتصاد الكبير بسبب حالة الاحتقان السياسى التى تعانى منها إيران فى ظل تعدد وتصادم الاتجاهات فى النخبة الثقافية بالمعنى الواسع للكلمة، وهو تعدد وتصادم يدار بطريقة تجعله مصدرا للتوتر السياسى الذى يؤثر بشكل مباشر وشديد الفعالية على الاقتصاد الإيرانى.

ومن أهم القطاعات التى يهتم بها نجاد فى برنامجه الاقتصادى نجد أنه يولى قطاع الصناعة اهتماما غير عادى لتطويره وتنويعه، نظرا لقدرة هذا القطاع على النمو الذاتى ولقدرته على تشغيل أكبر قدر ممكن من الشباب الإيرانى الذى يمثل ٥٠٪ من مجموع الشعب الإيرانى، وينطلق نجاد فى تبنيه لهذا القطاع لما يعلمه من قدرة هذا القطاع على تحقيق نهضة نوعية، فوفقا لبيانات البنك الدولى، بلغت حصة الناتج الصناعى من الناتج المحلى الإجمالى الإيرانى نحو ٣٧٪ عام ٢٠٠٠، مقارنة بنحو ٣٣٪ فى مصر ونحو ٢٥٪ فى تركيا، لكن المؤشر الأهم هو حصة الصناعة التحويلية من الناتج ومدى تطور وتنوع هذه الصناعة وقدرتها على المنافسة مع الصناعات المناظرة للبلدان الأخرى، ورغم إنه

لا تتوفر بيانات حديثة عن الصناعة التحويلية الإيرانية، إلا أن البيانات المتاحة عن عام ١٩٩٤ تشير إلى أن حصة الصناعة التحويلية الإيرانية من الناتج المحلى الإجمالى الإيرانى قد بلغت ١٤٪ فى العام المذكور. وهذا الأمر ناتج عن هيمنة الصناعات الاستخراجية الأولية وتحديدا استخراج النفط والحديد، على هيكل الصناعة الإيرانية، ونظرا لتذبذب سعر النفط وعائدات إيران منه، فإن السنوات التى ترتفع فيها أسعار النفط الذى هو عماد الصناعة الاستخراجية تتراجع لصالح زيادة حصة الصناعة التحويلية، لكن فى كل الأحوال هناك هيمنة للصناعات الاستخراجية تشهد زيادة فى حصة تلك الصناعة على حساب الصناعة التحويلية وعندما يحدث العكس أى تنخفض أسعار النفط فإن قيمة وحصة الناتج من الاستخراجية والأولية عموما على هيكل الصناعة فى إيران.

وبالنسبة لقطاع التعدين الإيرانى الذى يشكل النسبة الأكبر من قطاع الصناعة الإيرانية، فإنه يتركز فى استخراج النفط الخام الذى اكتشف مبكرا فى إيران فى عام ١٩٠٨ وتنتج إيران نحو ٣,٥ مليون برميل من النفط يوميا، وقد بلغ حجم الاحتياطات النفطية الإيرانية المؤكدة، نحو ٩٩,٥ مليار برميل توازى نحو ٩,٤٪ من إجمالى الاحتياطات العالمية، ونحو ١٣,٣٪ من الاحتياطات المؤكدة فى منطقة الشرق الأوسط، وإذ افترضنا استمرار إيران فى إنتاج النفط بمستوى إنتاجها الحالى، فإن العمر الافتراضى لاحتياطاتها النفطية سوف يبلغ نحو ٧٢ عاما، وهى ستكون بالتالى واحدة من الدول القليلة التى ستظل تمد العالم بالنفط فيما بعد الربع الأول من القرن الحالى.

كما تعتبر إيران من كبار منتجى الغاز الطبيعى فى العالم، حيث بلغ إنتاجها منه نحو ٦٠,٢ مليار متر مكعب فى نهاية عام ٢٠٠٠، بما يوازى نحو ٢,٥٪ من

الإنتاج العالمى منه، وهذه الحصة مرشحة للتزايد بسرعة نظرا لضخامة الاحتياطيات الإيرانية من الغاز الطبيعى والتى بلغت نحو ٢٣ تريليون متر مكعب فى نهاية عام ٢٠٠٠، وهى توازى نحو ١٥,٣٪ من الاحتياطى العالمى من الغاز، ونحو ٤٣,٨ ٪ من احتياطى الغاز فى الشرق الأوسط، وتعتمد إيران على نحو متزايد، على الغاز الطبيعى فى سد حاجاتها من الطاقة، حيث يشكل الغاز الطبيعى فى الوقت الراهن نحو ٤٠٪ من الطاقة المستهلكة فى إيران، وهذا يعنى أن الطاقة النظيفة التى يمثلها الغاز الطبيعى، تشكل نسبة مهمة من استهلاك الطاقة فى إيران فى الوقت الراهن، وفى ظل الاتجاه لرفع نسبة الغاز من الطاقة المستهلكة فى إيران، فإنه يمكن أن نتوقع تحسن الوضع البيئى من هذه الزاوية فى إيران نظرا لأنه يعد طاقة نظيفة تحترق بشكل كامل دون أن تخلف عناصر ملوثة للبيئة.

وإضافة إلى النفط والغاز، تنتج إيران نحو ٦ ملايين طن من الحديد الخام، ونحو ٩ ملايين طن من الجبس الخام، كما تنتج النحاس والزنك والرصاص والمنجنيز، أما قطاع الصناعة التحويلية، فإنه يتركز حول تكرير النفط وإنتاج البتروكيماويات، وفضلا عن الصناعات النفطية، تنتج إيران نحو ١٧,٥ مليون طن من الأسمنت، ونحو ١٢ مليار سيجارة، ونحو ١,٦ مليون طن من السكر المكرر، ونحو ٤٣٣ ألف جهاز تلفزيون، كما تقوم بتجميع نحو ٩٢ ألف سيارة، كما تنتج نحو ٢٩ مليار متر مربع من السجاد، فضلا عن صناعة الأحذية والملابس وأجهزة التدفئة.

وإضافة إلى الصناعة التحويلية والصناعة الاستخراجية، يعتبر قطاع البناء وإمدادات المياه والصرف، قطاعا مهما فى الاقتصاد الإيرانى الكبير.

وإمعانا فى تحقيق الطفرة الاقتصادية التى يطمح إليها الرئيس نجاد، فهو يضمن برنامجه الاقتصادى ملامح أساسية لتفعيل زاوية القدرات العلمية التى من الممكن أن تحقق تلك الطفرة، ومن هذا المنطلق فقد اعتبر نجاد أن التطور التقنى للاقتصاد الإيرانى هو الحلقة الحاسمة فى تحديه الاقتصادى، وقد يكون هذا التطور التقنى مبنيا على قواعد علمية داخلية وهى فى حالة إيران تشير الأرقام إلى أن عدد العلماء والمهندسين الذين يعملون فى مجال البحث والتطوير قد بلغ ٥٦٠ شخصا لكل مليون من سكان إيران وذلك فى متوسط الفترة من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٧، مقارنة بنحو ٤٥٩ شخصا لكل مليون فى مصر ونحو ٢٩١ شخص لكل مليون نسمة فى تركيا فى الفترة ذاتها. وكما هو واضح فإن إيران تتفوق فى هذا المؤشر الكمى على كل من مصر وتركيا، لكن فعالية هذا المؤشر الكمى تتحدد بناء على ديناميكية مؤسسات البحث العلمى وتوزيع ميزانيتها بين الأبحاث وبين الإنفاق الإدارى بمختلف جوانبه، وإن كان من الضرورى الإشارة إلى أن الدول الثلاث تقل بشكل هائل، فى هذا المؤشر عن الدول الصناعية المتقدمة أو الدول الصناعية الجديدة، فقد بلغ عدد العلماء والمهندسين العاملين فى البحث والتطوير فى كل من الولايات المتحدة واليابان وكوريا الجنوبية على الترتيب، نحو ٣٦٧٦، ٤٩٠٩، ٢١٩٣ شخصا لكل مليون من السكان فى الفترة من عام العاملين فى البحث والتطوير فقد بلغ نحو ١٦٦ شخصا من كل مليون من السكان فى إيران، مقارنة بنحو ٣٤١ شخصا لكل مليون من السكان فى مصر، ونحو ٣١٨ شخصا لكل مليون من السكان فى كوريا الجنوبية، ونحو ٨٢٧ شخصا من كل مليون من السكان فى اليابان، وفى هذا الصدد تتفوق مصر على إيران وحتى على كوريا الجنوبية، ويقل الجميع كثيرا عن اليابان، فى حين لا تتوافر

بيانات عن تركيا فى هذا الشأن، وفيما يتعلق بنسبة دارسى العلوم والهندسة من الطلبة فى المرحلة ما بعد الثانوية، فإنها بلغت نحو ٣٩٪ فى إيران، مقارنة بنحو ١٢٪ فى مصر، ونحو ٤٥٪ فى تركيا، علما بأن المتوسط العالمى لنسبة دارسى العلوم والهندسة من طلاب ما بعد المرحلة الثانوية هو ٣٥٪، أى ان النسبة فى إيران أفضل قليلا من المتوسط العالمى، فى حين مصر تعانى من وضع سيئ للغاية فى هذا الصدد.

أما بالنسبة لعدد المقالات العلمية والتقنية التى نشرها علماء إيران، فإنها بلغت ٣٣٢ مقالا فى عام ١٩٩٧، مقارنة بـ ١١٠٨ مقالات نشرها علماء مصر، و٢١١٦ مقالا نشرها علماء تركيا فى العام نفسه.

أما الإنفاق على البحث والتطوير العلميين كنسبة من الدخل القومى، فإنه بلغ ٠,٤٨٪ فى إيران خلال الفترة من عام ١٩٨٧ حتى عام ١٩٩٧، مقارنة بنحو ٠,٢٢٪ فى مصر، ونحو ٠,٤٥٪ فى تركيا، علما بأن متوسط إنفاق كل دول العالم فى هذا الصدد بلغ نحو ٢,١٨٪ فى الفترة ذاتها، كما بلغت نسبة إنفاق كل من الولايات المتحدة واليابان وكوريا الجنوبية والدولة الصهيونية على البحث والتطوير العلميين، نحو ٢,٦٣٪، ٢,٨٪، ٢,٣٥٪ من الدخل القومى فى كل دولة فى الفترة من عام ١٩٨٧ حتى عام ١٩٩٧ وكما هو واضح فإن إيران تعتبر أفضل من مصر وتركيا فى مجال الإنفاق على البحث والتطوير العلميين، لكن الدول الثلاث تعتبر من الدول محدودة الإنفاق فى هذا الصدد، وهو ما يعكس احتلال التطوير العلمى والتكنولوجى لمرتبة متأخرة فى جدول الأولويات الاقتصادية لإيران وتركيا ومصر، رغم أن التطور التكنولوجى هو الحلقة الحاسمة فى تقدم الاقتصاد وفى تعزيز قدرته على المنافسة فى إنتاج السلع والخدمات فى الوقت

الراهن، وهو أمر حيوى للغاية مع تزايد انفتاح الأسواق الدولية، كما أن الإنفاق على البحث والتطوير العلميين والإنجازات التى يحققها أى بلد فى هذا الصدد، تحدد مكانته وقدرته على تبادل الإنجازات العلمية والتكنولوجية الأحدث مع البلدان الأخرى التى تحقق إنجازات فى هذا الصدد.

أما العوائد الإيرانية عن حقوق الملكية الفكرية وتراخيص الإنتاج فإنها كانت صفرا فى عام ١٩٩٩، مقارنة بنحو ٤٧ مليون دولار لمصر فى العام نفسه، فى حين لا توجد بيانات عن تركيا فى هذا الصدد، وهذا يعنى ضمناً ان البحث والتطوير العلميين فى إيران؛ إما أنهما موجهان للداخل فقط، أو أن جانبا مهما منهما يتركز فى المجالات العسكرية، وهو أمر طبيعى لبلد خاض حروبا ويواجه تهديدات أمريكية وإسرائيلية.

القطاع العام ينافس القطاع الخاص

هناك صورة انطباعية عن الاقتصاد الإيرانى فى عهد الجمهورية الإسلامية، مفادها أن الدولة تسيطر على الاقتصاد، وهى صورة مبنية على أساس سيطرة الدولة على قطاع النفط والغاز والصناعات الاستخراجية عموما، لكن الواقع يشير إلى أن هذا الانطباع غير صائب كما يتضح من بيانات البنك الدولى، التى تشير إلى أن الاستهلاك الخاص فى إيران بلغ ٦٤٪ من الناتج المحلى الإجمالى، مقابل استهلاك عام بلغ ١٤٪ من هذا الناتج، والباقى عبارة عن ادخار، وذلك فى عام ١٩٩٩ وبالمقابل تشير بيانات البنك الدولى إلى أن دولا رأسمالية عتيدة يتسم نظامها الاقتصادى بأعلى درجات التحرر، تتجاوز إيران فى حصة الاستهلاك العام كحصة من الناتج المحلى الإجمالى، فقد بلغ الاستهلاك العام فى فرنسا

وألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة على التوالى، نحو ٢٤٪، ١٩٪، ١٨٪، ١٤٪، فى عام ١٩٩٩ وبالتالى فإن السياسات الاقتصادية التى تتبعها الحكومة الإيرانية قد تكون أكثر تحررا فى الواقع عن الصورة الانطباعية عنها.

اعتبر الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد أن الأسعار التاريخية للنفط التى استمرت فى الصعود، وتجاوزت الـ ٧٥ دولاراً فى نيويورك، هى جيدة جدا، أملا فى أن تصل إلى مستوياتها الحقيقية، ومعلنا عن اعتماد إيران على الإنتاج المحلى من البنزين ابتداء من (سبتمبر) ٢٠٠٦ .

وأعلن الرئيس الإيرانى أن على طهران الاعتماد على الإنتاج المحلى من البنزين بدلا عن الاستيراد، ومما سيضطرها لفرض نظام تقنين الاستهلاك لذلك، قال يمكننا الاستيراد فى الأشهر الستة الأولى؛ وهذا يعنى أنه علينا أن نستهلك فى الستة أشهر الثانية من الإنتاج المحلى فقط.

وقد أعلنت الولايات المتحدة أنها تعارض بشكل مطلق مشروع خط أنابيب الغاز الطبيعى الذى يربط بين إيران وباكستان والهند، رغم اعتبار خبير فى بنك التنمية الأسيوى ذلك المشروع مفيدا من الناحية الاقتصادية وذكرت أنباء أن إيران على وشك إبرام اتفاق مع جارتيها الهند وباكستان، لإنشاء خط الأنابيب بطول ٢٦٠٠ كلم، وبتكلفة تزيد عن ٧ مليارات دولار، وقال ستيف مان المسئول فى وزارة الخارجية الأميركية فى منتدى فى واشنطن، إن الحكومة الأميركية تدعم العديد من خطوط النفط والغاز فى بحر قزوين، إلا أنها لا تزال تعارض بشدة خط الأنابيب الذى تشارك فيه إيران وتتهم الولايات المتحدة إيران بمحاولة إنتاج قنبلة نووية ودعم الإرهاب.

وجاءت تصريحات مان، المفاوض الخاص للنزاعات فى أوروبا وآسيا، فى مكتب

الشئون الأوروبية فى وزارة الخارجية الأميركية، عقب تأكيد دان ميليسون الخبير فى بنك التنمية الأسيوى، أمام المنتدى، أن خط الأنابيب الذى يربط بين إيران وباكستان والهند ومشروعا آخر بين تركمانستان وأفغانستان وباكستان مشروعان يتمتعان بجدوى اقتصادية.

وقال ميليسون خبير الطاقة البارز فى البنك، فى الندوة التى نظمتها جامعة جون هوبكنز (أن تقييمه يستند إلى حقائق اقتصادية بحتة والطلب على الطاقة فى الدولتين الجارتين اللدودتين الهند وباكستان).

وقال إن الغاز الذى يمر عبر الأنابيب هو أفضل اقتصاديا من الغاز الطبيعى المسيل، مشيرا إلى أن مشروع خط الأنابيب بين تركمانستان وأفغانستان وباكستان وخط أنابيب بين إيران وباكستان والهند هما أكثر قدرة على الاستمرار، وأكثر تنافسية من خطوط الغاز الطبيعى المسيل.

إلا أن مان قال إن أى نجاح لمشروع تركمانستان وأفغانستان وباكستان يعتمد على السوق والإمدادات على المدى الطويل، ومشاركة (الشركات الكبيرة) فى القطاع الخاص.

وكانت إيران، التى تمتلك ثانى أكبر احتياطى عالمى من الغاز الطبيعى بعد الهند وباكستان، أعلنت عن أملها فى التوصل إلى اتفاق بشأن المشروع فى (يونيو) ٢٠٠٦، رغم المعارضة الأميركية، وهى تنوى إجراء المزيد من المحادثات فى (فبراير) ٢٠٠٧ فى طهران.

وكان وزير النفط الإيرانى بالوكالة كاظم وزيرى همانة، قد أعلن أن إيران ستتخلى عن الصيغة التى تعتمدها مع المشروعات الأجنبية والمتمثلة فى السماح لها باستغلال حقول النفط أو الغاز على أن تسدد ما يتوجب عليها لإحقاق جزء

من الإنتاج.

وقال همانة ولكن سيكون لدينا شركاء أجانب فى عقودنا وسنرحب بالاستثمارات الأجنبية.

وقد وضع الدستور الإيرانى المعتمد فى ١٩٧٩ قطاعى النفط والغاز تحت رقابة الدولة ومنع التخلى عنها للشركات الأجنبية كلياً أو جزئياً.

والعقود الموقعة وفقا لصيغة الشراء والتسديد المؤخر أبرمت بين الشركات الأجنبية والشركة الوطنية الإيرانية للنفط لمدة محددة مقابل تعويضات بنسبة ثابتة تسدد من جزء من الإنتاج بهدف استغلال حقول جديدة وتمويل استثمارات التنمية.

وتشكو الشركات الأجنبية باستمرار من هذه الصيغة التى تحصر أنشطتها فى مجال تنمية مشاريع النفط والغاز.

وبحسب المحللين، فإن إيران التى تملك ثانى احتياط عالمى من النفط والغاز ستجذب الاستثمارات الأجنبية بهدف قدرتها الإنتاجية من ٤,٢ ملايين برميل فى اليوم إلى ٥,٤ ملايين برميل فى اليوم عام ٢٠١٠ لكى لا نفقد حصصها فى السوق.

عودة النساء إلى ملاعب الرياضة

يشهد المجتمع الإيرانى العديد من التحديات والمشكلات الاجتماعية التى لا تلبث أن تمثل بؤرة لتهديد ثوابت وأسس الثورة الإسلامية فى إيران والمجتمع الإيرانى لا يعتبر منفرداً فى هذا المشهد حيث أنه يشترك مع العشرات من

المجتمعات الشرقية والإسلامية فى نفس التحديات والمشكلات، وتتمحور هذه التحديات والمشكلات تحديدا فى عدد من المفردات العولمية التى أضحت تمثل هما وعبئا ثقيلا على المحددات والثوابت الإسلامية، فاعتبرت (مثلاً) مشكلة حجاب المرأة فى هذه المجتمعات مشكلة وتحدياً يفرض نفسه على تلك المجتمعات حيث تفرغ الغرب لإملاء آرائه المتحررة عليها، لذا فقد كانت الجمهورية الإسلامية الإيرانية من أكثر المجتمعات التى واجهت مثل تلك الحملات الغربية وذلك رغم عدم تأثر مجتمعها كثيرا بهذه الحملات، خصوصا وأن الجمهورية الإسلامية قد وضعت شروطا وأسسا خاصة بها فى هذا المجال، حيث أمسى مظهر السيدات الإيرانيات لا يزال متمسكا بالحجاب الإسلامى (المتنوع ما بين التشادور الأسود والحجاب الملون العصرى) وقد بات الزى الإسلامى منذ الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، آلة قياس التحوّلات السياسية فى إيران، وهى تحوّلات شهدت فى المدة الأخيرة تدرّجاً دراماتيكيّ نحو مزيد من التشدّد، بعد ثمانى سنوات من عهد الإصلاحيين، كانت عرفت نوعاً من الانفراج.

ولطالما شكل الالتزام بقواعد الزى النسائى قضية خلافية فى إيران منذ الثورة، وفشلت حتى الآن كل الخطط التى وضعتها الحكومة، لإجبار النساء على الالتزام بقواعد الزى التزاماً كاملا، وفاجأ الرئيس محمود أحمدى نجاد الإيرانيات بتحقيق مطلب مهم لهن، بعد ثلاثة أيام فقط على تسيير دوريات «الإرشاد الأخلاقى» المختلطة فى شوارع طهران لمواجهة ظاهرة «الحجاب السيء» وفرض الالتزام بالزى الإسلامى «باروميتر» التحولات السياسية منذ الثورة عام ١٩٧٩، وطلب من المعنيين بالشؤون الرياضية وضع أطر تسمح للنساء بحضور مباريات كرة القدم وسواها من الرياضات، مبدّدا المخاوف لدى المحافظين من

عودة «التحرر» الذى شهده عهد الإصلاحيين.

وقال: «الإيرانيات محترمات، لا حاجة إلى اجراءات قمعية لنشر ثقافة الحجاب»، وانتقد المحافظين الذين يعتبرون «تصرف فئة صغيرة من النساء والرجال الذين لا يحترمون كلياً القيم الدينية، يعرض للخطر أسس العائلة فى إيران».

وحرمت النساء من دخول الملاعب الرياضية فى إيران بعد الثورة الإسلامية فى ١٩٧٩، وأذن لهن بمناسبات نادرة فيما بعد حضور أحداث رياضية وطنية محددة، بناء على دعوة خاصة، ولا تحظّر إيران رسمياً على النساء حضور مباريات كرة القدم، على رغم أنّ السلطات المحلّية اعتادت ممارسة مثل هذا الحظر، متعللة أنه إجراء يرمى إلى تأمين الحماية والسلامة للنساء فقط.

لكن أحمدى نجاد عاد وقرر السماح للنساء بالدخول إلى الملاعب الرياضية، وقال: «يجب تنظيم المسألة، بحيث تخصّص للنساء أفضل المقاعد لمشاهدة المباريات المهمّة والوطنية مع الاحترام الواجب لهن».

وبصرف النظر عن الأسباب المعلنة وغير المعلنة التى رافقت صدور القرار يبقى أن انتزاع هذا الاعتراف الرسمى بهذا الحق للنساء فى عهد الرئيس المحافظ يعد انتصارا كبيرا للحركة النسائية الإيرانية، بعد محاولات عدة لكسر هذا الحاجز المنيع، منذ أن عمدت إحدى الفتيات- التى بقى اسمها مجهولا-إلى قص شعرها وارتداء ثياب الشبان ودخول ملعب ازادى (تعنى الحرية باللغة الفارسية)، فى طهران ومشاهدة المباراة الرياضية إلى جانب الشباب وبرفقة صديقها وصولا إلى تظاهرة نظمتها فتيات إيرانيات فى أواخر عهد خاتمى مطالبات بالدخول إلى ملعب أزادى لحضور مباراة بين إيران وكوستاريكا، وبعد حملات من الضرب

والشتم من قبل الشرطة تمكن من دخول الملعب وحضور المباراة فى شوطها الثانى.

وبالإضافة إلى موقف الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد من المرأة هناك العديد من المواقف المهمة التى تشكل أهمية خاصة فى مستقبل الجمهورية الإسلامية، فنجد أن موقفه من البطالة شديد الاستنارة فقد سعى منذ توليه منصب رئيس بلدية طهران لإيجاد عدد من الحلول المبتكرة لتجاوز هذه المشكلة المنتشرة فى اغلب دول العالم الثالث، وقد نجح بالفعل فى اتباع مسلك عملى للغاية لتحويل القدرات البشرية الشابة المعطلة إلى قدرات فاعلة وإيجابية داخل المجتمع، وذلك من خلال تدشينه لعدد غير قليل من المشروعات الاقتصادية والتعاونية والإسكانية التى ساهمت فى إدخال مئات الآلاف من الشباب فى سوق العمل الإيرانى وهو ما ألقى بظلاله الإيجابية على تطور القدرات البشرية الإيرانية، وذلك رغم اعترافه بأنه لم يحقق بعد ما يطمح إلى تحقيقه فى هذا الشأن، لذا فقد وضع خطة متوسطة وطويلة الأجل لتشغيل بضعة ملايين من الشباب الإيرانى الذى يمثل خمسين فى المائة من الشعب الإيرانى.

عصابة المنفيين فى الخارج

فى ظل الزخم الكبير الذى تشهده سماء السياسة الإيرانية من تحديات منها ما هو داخلى فى الأساس، ومنها ما هو خارجى نجد أن العوامل التى تشكل التحديات السياسية الداخلية تمثل المعول الرئيسى لنفاذ التحديات الخارجية داخل الجسد الإيرانى وخصوصا وأن تجربة المواجهات ما بين ما هو خارجى

(إسرائيل وأمريكا) والدول التى أخضعت للاحتلال (فلسطين- لبنان- أفغانستان- العراق) كان الفيصل واللاعب الرئيسى فى حسم هذه المواجهات هو ما يسمى بالتنظيمات المعارضة فى الخارج، لذا فإنه من المتوقع أن تكون الجمهورية الإسلامية فى إيران على موعد مع محاولة تنفيذ هذا السيناريو المشبوه وخصوصا وأن الجبهة الإيرانية (فى الداخل والخارج) تضم سهاما معارضة، من الممكن ان تلبس نفس زى كرازى فى أفغانستان والجلبى فى العراق.

ومن المؤكد أن الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد على وعى وعلم كاملين بما يدور حوله من مؤامرات من فصائل المعارضة الإيرانية المشبوهة فى الخارج التى تحاول أن تسخن الجبهة الإيرانية لمزيد من المواجهات المحمومة التى تحاول أن تهدم النظام الإسلامى من الجمهورية الإيرانية بكافة السبل والوسائل المؤامراتية منها والعسكرية أيضا، وعند هذه النقطة، فلم يبالغ آية الله العظمى على خامنئى عندما اتهم فى خطبة له وسائل الإعلام الصهيونية سواء فى تل ابيب أو واشنطن بالتحريض ضد إيران، وترويج الأكاذيب، لكن هناك عنصراً مهمّاً ساهم فى إشعال النار بين واشنطن وطهران، بل وتأليب جهات أوروبية وروسية ضد القيادة الإيرانية، هم من يسميهم الغرب بـ (المنفيين الإيرانيين فى الخارج) أو (المعارضة الخارجية) وهم بعض انصار رضا بهلوى ابن شاه ايران الراحل، آخر الملوك الذين حكموا طهران قبل الثورة، وكذلك بعض الليبراليين الذين استفادوا من تواجدهم فى الغرب من أجل ترويج دعايات كاذبة ليس ضد النظام الثورى فى إيران فحسب، وإنما ضد الشعب الإيرانى، وتدليلاً على ذلك نستعين هنا بما كتبه جهاد الخازن فى مقالة لصحيفة (الحياة) اللندنية، الذى استشهد فيه بتحقيق مهم نشرته مجلة «نيويوركر» الأميركية كشف فيه عن أموال دفعتها الإدارة

الأميركية لتمويل نشاطات المعارضة الإيرانية، وأن الأخيرة قدمت معلومات كاذبة عن النشاط النووى الإيرانى، وأن الإدارة الأميركية كررت خطأها السابق عندما اعتمدت على معلومات المعارضة العراقية ثم اتضح أنها معلومات كاذبة، أدت الى توريط واشنطن فى حرب دامية بالعراق.

وتقول مجلة (نيويوركر) عن هذا الموضوع: عندما ساءت الحرب فى فيتنام جمع ليندون جونسون من أطلق عليهم لقب «الحكماء» من شيوخ السياسة الأميركية لنصحه، وهو أعلن بعد خمسة أيام من اجتماعه معهم الحد من الغارات على فيتنام الشمالية،كما أعلن أنه لن يرشح نفسه للرئاسة مرة أخرى.

المجلة قالت إن جورج بوش جمع فريقاً لنصحه، ومن دون الدخول فى الأسماء والمقارنة، فرأى المجلة ورأيى الشخصى أن «حكماء» بوش ليسوا حكماء بالمرة، وحتماً ليسوا من مستوى الحكماء الذين جمعهم جونسون.

ثم إن الرئيس بوش يستوحى من مصدر أعلى كثيراً، فهو قبل ذلك بأسبوع فى كاليفورنيا قال حرفياً: «أعتمد فى كثيرمن قرارات سياستى الخارجية على أشياء أعتقد أنها صحيحة (قال أعتقد ولم يقل أجزم)، أحدها، أؤمن بوجود إله واحد جبار، والثانى أن إحدى أعظم هدايا الله رغبة كل إنسان فى قلبه- بغض النظر عن كيف شكله أو أين يعيش- أن يكون حراً».

وعلّقت «نيويوركر» ساخرة أنه إذا لم يدخل الله تعالى البيت الأبيض وينصح الرئيس شخصياً، فالمأزق فى العراق سيستمر!!.

شخصياً أخشى أن نواجه مأزقاً أكبر كثيراً فى إيران لأن عصابة الشر فى الإدارة الأميركية وحولها تنفذ أهداف إسرائيل، ضد مصالح الولايات المتحدة وكل مصلحة أخرى.

وأعود إلى «نيويوركر» وعدد٦ آذار (مارس)٢٠٠٦، فقد احتفظت به بعد أن قرأت تحقيقاً ممتازاً كتبته كونى بروك تحت عنوان «المنفيون: تعامل المبدعين الإيرانيين مع التهديد النووى».

التحقيق يتحدث عن المطالب بعرش إيران رضا بهلوى، ومناصر له هو شهريار أهى، وهذا ذكّرنى بأحمد الجلبى، فهما يلتقيان، حتى عبر معهد مساتشوستسى للتكنولوجيا، إلا أننى أختار من١٤ صفحة مملوءة بالتفاصيل ترجمة حوالى عمود واحد.

كتبت كونى بروك: لو أن غزو العراق كان بالسهولة التى توقعتها الإدارة لكانت إيران التالية، فالواقع أن بعض أنصار الإدارة الذين أرادوا نشر الديموقراطية فى الشرق الأوسط الكبير أصروا على أن يكون البدء بإيران لا العراق، وكان بين هؤلاء مايكل ليدين (أحد أسوأ المحافظين الجدد وأكثرهم عنصرية ضد العرب والمسلمين) الباحث المقيم فى معهد اميركان انتربرايز الذى لعب دوراً فى فضيحة إيران/كونترا، بعد أن جمع تاجر السلاح الإيرانى منوشهر غوربانيفار مع مسؤولين أميركيين، يتكهن منذ سنوات بأن إيران على حافة ثورة شعبية تحتاج إلى مساعدة خارجية لتحقيقها.

وهو بلغ فريقاً من المبدعين الإيرانيين فى لوس انجليس أخيراً «عندى اتصالات فى إيران مع ناس يقاومون النظام، إنهم بحاجة إلى تمويل، اعطونى٢٠ مليون دولار وستكون عندكم ثورة».

وهو أبلغنى (أى أبلغ الكاتبة) أن فى سنة ٢٠٠١ و٢٠٠٢ عندما دعا إلى مهاجمة إيران وجد تأييداً فى البنتاجون ومكتب نائب الرئيس ديك تشينى (العصابةCABAL إياها).

وأبلغنى ريتشارد هاس، مدير تخطيط السياسة فى وزارة الخارجية بين ٢٠٠١ و٢٠٠٣ ورئيس مجلس العلاقات الخارجية الآن، «ان عدداً من المسؤولين الإسرائيليين كانوا مهتمين كثيراً بإيران، وهم قلقون من التركيز على العراق، على رغم حذرهم حتى لا يبدوا وكأنهم ينتقدون سياسة بوش».

غير أن ليدين قال إن وجهة النظر الغالبة فى الإدارة كانت تقول إن الطريق إلى طهران يمر ببغداد، وبعد سقوط صدام حسين كان حديث المسؤولين فى مجلس الأمن القومى أننا الآن نستطيع أن نواجه إيران.

وبلغنى جيمس دوبنز، المبعوث الخاص لإدارة بوش إلى أفغانستان، أن التخطيط عشية الحرب على العراق قضى بإبقاء قوات أميركية فى العراق، ليس لتهدئة البلاد، وانما لاستخدامها ضد ايران.

أما جارى سيك، الذى كان مسؤولاً فى البيت الأبيض عن إيران خلال ثورتها، وهو الآن أستاذ فى جامعة كولومبيا، فقال إن «أحمد الجلبى» إيران قد يكون رضا بهلوى، أو حسين خمينى أو محسن سازيجارا الذى يرعاه باتريك كلوسون من معهد واشنطن المؤيد لإسرائيل والمتحالف مع اللوبى اليهودى ايباك (أو وكر الجواسيس كما أسميه أنا).

اسأل: إذا كانت إيران بعد العراق، فمن بعد إيران؟

أقول إلى كل دول الشرق الأوسط إن كل عصابة اسرائيل فى الإدارة لم تستسلم بعد هزيمتها فى العراق، بل هى تحاول إقحام الولايات المتحدة فى حرب مع إيران وكل بلدان المنطقة خدمة لإسرائيل، فولاؤهم لها وحدها على حساب كل بلد آخر ومصلحة.

وفى نفس الوقت الذى تقوم فيه فصائل المعارضة الإيرانية المشبوهة فى الخارج

بإعداد العدة لتكرار السيناريو الأفغانى والعراقى فى إيران نجد أن فى الداخل الإيرانى هناك اتجاهات مؤيدة من جانب واتجاهات أخرى معارضة من الجانب الآخر، ففى الوقت الذى نجد فيه أحمدى جنتى رئيس مجلس صيانة الدستور ،وهى أعلى هيئة رقابية فى الجمهورية الإسلامية ومؤلفة من رجال الدين، يشيد بإرسال الرئيس نجاد فى الثامن من أيار/ مايو ٢٠٠٦ رسالة إلى نظيره الأمريكى بوش تضمنت انتقادات شديدة للسياسات التى تتبعها إدارته وتشكيكاً بالتزامه بالقيم المسيحية، وقال جنتى: «سواء رد الأمريكيون على الرسالة أم تجاهلوها فهم المتضررون، والواضح أن موقفهم ضعيف وسلبى فى الحالتين. (الحياة ١٣ مايو ٢٠٠٦).

معارضة مشروعة ومطلوبة من خاتمى إلى رفسنجانى

وبطبيعة الحال هناك فرق بين معارضة شرعية داخل البلاد، تحاول أن تطرح رؤيتها للتنمية والتقدم أو ما يسمى الإصلاحيون وفرق سياسية أخرى كانت فى الحكم مثل خاتمى أو فى المعارضة مثل رفسنجانى لكنها معارضة شريفة، ونزيهة تطرح برنامجاً وطنياً فى داخل النسق العام، بعكس المعارضة فى الخارج التى ترتبط بدوائر مشبوهة سواء فى الاستخبارات المركزية الأميركية CIA أو وزارتى الخارجية والدفاع وفى أوساط المحافظين الجدد، وهى فئات إيرانية لا تبحث عن مصلحة البلد وإنما تسعى لتحقيق أهداف شخصية لا تختلف كثيراً عن شخصيات عراقية ساهمت فى امتلاك وغزو بلادها بدعوى الحرب ضد الإرهاب أو

الديكتاتورية الصدامية.

وهكذا نجد أن الرئيس الإيرانى الإصلاحى السابق محمد خاتمى ينتقد محذرا مما أسماه «الراديكالية المنظمة» فى البلاد، وقال خلال لقائه طلابا فى جامعة طهران: «الراديكالية أكثر تنظيما فى إيران حاليا، وتحاول جماعة محددة فرض عقائد معينة، مما يجعل حتى بعض الأصوليين المعروفين غير راضين عن الوضع».

وقال خاتمى إنه رغم أن الأصولية أيديولوجية تمسك بمبادئها إلا أن الأصوليين يجب أن يتقبلوا النقد ويستعدوا للانتقال إلى إطار أفضل فى حال إذا دعت الحاجة، وزاد: «يمكن أن تؤثر بعض الشعارات السطحية والعنيفة فى الشباب من بلادنا وحتى فى أجزاء من العالم الإسلامى، لكن أولئك الذين يصدرون هذه الشعارات يجب ألا يبالغوا فى تقدير أنفسهم».

وجاءت هذه الانتقادات من خاتمى دون أن يذكر اسم أحمدى نجاد مباشرة (الحياة ٨ أيار/ مايو ٢٠٠٦).

كما أن هناك جهات سياسية إيرانية إصلاحية قد انتقدت بصراحة سياسة الرئيس محمود أحمدى نجاد، ربما كان أهمهما الرئيس الإيرانى الأسبق هاشمى رفسنجانى، الذى حذر من عزل إيران، وهو ما حذر منه رئيس البرلمان السابق رجل الدين الإصلاحى مهدى كروبى منتقدا التصريحات «غير الحكيمة» للرئيس نجاد، مؤكدا ضرورة العمل بكل الوسائل على تفادى إحالة ملف إيران النووى إلى مجلس الأمن، وقال كروبى: «يجب أن تكون لدينا دبلوماسية قوية، وأن نتفادى التصريحات غير الحكيمة التى تعقد الوضع وأن نعزز التعاون ونخلق الثقة».

وأيضا دعت جبهة المشاركة أبرز الأحزاب الإصلاحية الإيرانية والتى يتزعمها

محمد رضا خاتمى شقيق الرئيس الإيرانى السابق محمد خاتمى إلى الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية وتعليق نشاطات تخصيب اليورانيوم للخروج من الأزمة (الحياة ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٦).

وطالب إبراهيم يزدى رئيس حركة «الحرية» المعارضة المحظورة، طهران بالتخلى عن تخصيب اليورانيوم لتجنب تفاقم تورطها فى أزمة نووية، وأكد أنه يجب ألا تعتمد على استخدام الصين أو روسيا لحق النقض «الفيتو» ضد أى قرار يمكن أن يتخذ ضدها فى مجلس الأمن، إذ أنهما لن يخاطرا بالروابط التجارية مع الولايات المتحدة.

ورأى يزدى أن الرئيس نجاد ليس فى وضع يسمح له بوعظ الرئيس الأمريكى جورج بوش فى الخطاب الذى أرسله إليه، وأشار فيه إلى أن الإسلام دين جيد للعالم، وسأله: هل تتصرف بدورك استنادا إلى أحكام القرآن الكريم ؟(الحياة ١٢ مايو ٢٠٠٦).

القسم الثانى: التحديات الخارجية
طموحات الوطن

وصل الرئيس محمود أحمدى نجاد إلى الحكم فى إيران من بوابة الاختيار الشعبى، وإيران من الدول القلائل فى منطقة الشرق الأوسط بصفة خاصة التى تمارس العملية الانتخابية بشفافية عالية. وقد لعب هذا الأسلوب فى الاختيار دوراً مهماً فى طريقة إدارة الرؤساء الإيرانيين للسياسات الداخلية والخارجية، وإن لم يكن هذا التأثير واضحاً فى مرحلة رئاسة محمد خاتمى بسبب المسافة الواسعة التى فصلته عن النخبة المتحكمة فى مفاصل الحكم فى إيران، فانشغل

بالصراع بين الإصلاحيين والمحافظين عن تلبية مطالب الشعب وتحقيق طموحاته، الأمر الذى ميز العلاقة بين خاتمى وناخبيه مع نهاية فترة رئاسته الثانية بالإحباط من جانبه وخيبة الأمل من جانب المواطنين الإيرانيين، وكان لهذه النهاية غير السعيدة لرئاسة خاتمى دورها فى اختيار الناخبين الإيرانيين لأحمدى نجاد رئيساً من بين عدة مرشحين آخرين، حيث تجاوزت دلالة اختيار أحمدى نجاد مجرد غضب الإيرانيين من التيار الإصلاحى لعدم قدرته على تحقيق وعوده، وكان اختيار الناخبين لهذا المحافظ عمدة طهران المتغلغل بين الجماهير والذى حقق إنجازات فى نطاق البنية التحتية والمشكلات اليومية لسكان طهران، وهكذا يرى فريق من المراقبين أن المعنى فى هذا الاختيار أن الإيرانيين اختاروا الأقرب لهم ولمتطلباتهم البسيطة اليومية، ليس الأكثر أيديولوجية وليس الأكثر تشدداً سياسياً أو اقتصادياً، مع تأكيد رفض التقليديين من الساسة والاقتصاديين أصحاب الخبرات غير المُنجَزة على الصعيد المعيشى للمواطن الإيرانى.

من هنا يمكن القول إن أحمدى نجاد بحكم تركيبته الشخصية فى المقام الأول، ثم بحكم الظروف التى صاحبت اختياره من جانب الناخبين الإيرانيين، ينطلق فى مواقفه الداخلية والخارجية من أرضية قوية تعكس ارتباطه بالشارع الإيرانى، وتعبر عن تمثيله للطبقة المتوسطة من الإيرانيين، أكثر من تعبيره عن رجال الحوزات والأيديولوجيين، أو الطبقة الحاكمة والنخبويين، فضلاً بالطبع عن الليبراليين والرأسماليين، ما يعنى (فيما له مغزى مهم) أنه يعبر عن الإيرانيين غير المصنفين، ويمثل أولئك الذين لا ممثل لهم فى خريطة الأحزاب والتنظيمات الإيرانية.

على طريق مرشد الثورة آية الله على خامنئى

ومن ضمن العوامل المؤثرة أيضا فى فترة رئاسة نجاد أن هناك حالة من التوافق الشخصى بين أحمدى نجاد ومرشد الثورة على خامنئى، وهو ما دفع البعض للقول إن أحمدى نجاد أقرب إلى نموذج مصغر من خامنئى، أو كأن خامنئى يرى شبابه فى أحمدى نجاد. والمهم هنا هو انعكاس هذا التقارب الشخصى على السلوك السياسى لأحمدى نجاد، فمن ناحية يقترب هذا السلوك كثيراً من نمط سلوك ومواقف المرشد، ما يجعله بالضرورة يحظى بتأييد واستحسان ودعم خامنئى داخلياً وخارجياً، ولا شك أن لهذا التوافق أثر كبير ليس فقط فى سياسات ومواقف أحمدى نجاد، لكن أيضاً فى ردود فعل الأطراف الأخرى الداخلية والخارجية على تلك السياسات والمواقف، بمعنى أن إدراك العلاقة القوية التى تجمع بينهما يفرض بناء ردود الأفعال والتعامل مع رئاسة أحمدى نجاد فى ضوء هذه العلاقة.

وقد كان لحصاد رئاسة خاتمى انعكاسا إيجابيا على توجهات وسياسة الرئيس الجديد، فهكذا كان الحال مع الرئيس محمد خاتمى عندما خلف هاشمى رفسنجانى حيث كان الإيرانيون فى أمس الحاجة إلى رئيس يفتح أمامهم باب الطموحات والتطلعات ويخرجهم من حالة الانضغاط -المعنوى قبل الفعلى- التى غلبت على فترتى رئاسة رفسنجانى الليبرالى داخلياً وخارجياً، فقد كان التقييم العام لفترة رئاسة خاتمى غير إيجابى لا داخلياً ولا خارجياً، ما جعل وصول أحمدى نجاد ثم سياساته أقرب إلى رد فعل على فترة خاتمى، من خلال السير فى اتجاه معاكس للخاتمية.

وقد وصل أحمدى نجاد إلى سدة الرئاسة الإيرانية فى ظروف مختلفة كلية

عن تلك التى أحاطت بفترات رئاسة محمد خاتمى وهاشمى رفسنجانى، ويذكرنا هذا مرة أخرى بالتشابه بين أحمدى نجاد وخامنئى، فقد كان خامنئى رئيساً للجمهورية قبل وفاة الإمام الخمينى، وكان قد تولى الرئاسة فى فترة صعبة من عمر الثورة الإسلامية الإيرانية، واجهت طهران خلالها حرباً مع العراق، وحصاراً دولياً اقتصادياً بقيادة الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية. وجاء أحمدى نجاد إلى الرئاسة فى ظروف مشابهة، حيث تواجه طهران بيئة ضاغطة إقليمياً ودولياً، بدءاً بالوجود العسكرى الأمريكى المطوق للأراضى الإيرانية (فى أفغانستان والعراق)، مروراً بالتغيرات الجديدة فى الوضع السورى/اللبنانى بما يستتبعه من أعباء حالية وتهديدات مستقبلية لحزب الله، انتهاء بالملف النووى الذى بدأ التصعيد فيه مع أواخر رئاسة خاتمى. وهنا ينبغى لفت الانتباه إلى أن الملف النووى هو أكثر هذه الملفات خطورة وتداخلاً بين الإقليمى والدولى، فمن ناحية لإسرائيل دور مهم وأساسى فى التصعيد والتحريض ضد الخيار النووى الإيرانى، ومن ناحية ثانية يمثل الملف النووى الإيرانى واحداً من عدة ملفات وقضايا معلقة بين طهران وواشنطن، وكلها ملفات إقليمية.. سواء العراق أو حزب الله أو العلاقة بين إيران والفصائل الفلسطينية، فضلاً بالطبع عن أمن الخليج. ويرتبط بهذا الملف الأخير موقف دول مجلس التعاون الخليجى من البرنامج النووى الإيرانى، حيث يمثل هذا الموقف عامل ضغط إضافى على طهران، لتكتمل بذلك وتتداخل عناصر البيئة الضاغطة على رئاسة أحمدى نجاد إقليمياً ودولياً.

أما عن أهم الملفات والتحديات التى فرضت نفسها بقوة على مستوى السياسة الخارجية الإيرانية طوال فترة رئاسة نجاد، نجد أن الملف النووى قد مثَّل

التحدى الأول الذى كان ينتظر الرئيس الإيرانى، وكما يرتبط هذا الملف بمجمل صيرورة العلاقة بين إيران وكل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، فإن له أيضاً خصوصياته وأهميته بالنسبة للأمن القومى الإيرانى وإدراك طهران لمصالحها العليا وبالتالى للاستراتيجية الضرورية فى هذا المجال، لذا وجد أحمدى نجاد لزاماً عليه إيلاء اهتمام عاجل وأولوية قصوى لهذا الملف الذى كان وصل إلى مفترق طرق عشية انتخابات الرئاسة الإيرانية وتم تعليق الموقف بشأنه لحين الانتهاء من الاستحقاق الرئاسى الإيرانى، ورغم أن فريق التفاوض الإيرانى السابق برئاسة حسن روحانى قد أدار عملية المفاوضات مع الترويكا الأوروبية بمهارة واقتدار خلال الأشهر الأخيرة من رئاسة خاتمى، وحصل بالفعل من الأوروبيين على حلول جيدة قابلة للتطبيق والقبول إيرانيّاً، إلا أن تغير الرئيس فى إيران أغرى الأوروبيين ومن ورائهم الولايات المتحدة الأمريكية بتمديد التفاوض ومحاولة تحقيق مكاسب أكبر عبر طرح حلول أخرى خلاف التى تم التوصل إليها بالفعل قبل انتهاء رئاسة خاتمى.

وسواء كان هذا التراجع حقيقياً من أجل تعظيم المكاسب، أو تراجعاً ظاهرياً لجس نبض الرئيس الجديد واستكشاف مواقفه وقدراته على التعامل فى مثل هذه المواقف، كانت الخيارات المتاحة أمام أحمدى نجاد للتعامل مع المناورات الأوروبية والأمريكية محدودة، فإما مرونة تفضى إلى تنازلات ولو جزئية عما يعتبره الإيرانيون حقاً لهم، أو تمسك بهذا الحق يعنى المخاطرة من أجله، وهو فضل خيار الحزم وإعلاء المصلحة الإيرانية على الرغبة فى التوصل لاتفاق أو تسوية، تتنازل فيها إيران عن حقها فى امتلاك تكنولوجيا نووية خصوصاً أن شرائح كبيرة من الإيرانيين سواء العامة أو النخبة أو الساسة الرسميين يعتبرون

الملف النووى محكاً لقدرة الثورة على مواجهة محاولات الابتزاز الخارجية (الأمريكية تحديداً) بل إن نسبة غير قليلة من هذه الشرائح تنظر للملف النووى باعتباره مسألة كرامة وطنية أكثر منها حسابات استراتيجية. من هنا بنى أحمدى نجاد فوق الخطوة الاستباقية التى اتخذتها طهران قبل توليه الرئاسة بأيام وهى استئناف عمليات تحويل اليورانيوم وفى ضوء خلفية أحمدى نجاد وتركيبته الشخصية، وطريقه إلى مقعد الرئيس، كان منطقياً أن يميل إلى الخيارات الحازمة لكن هذه الخيارات الراديكالية ربما كانت ستتغير ما لم تكن مدعومة بمصادر قوة وأوراق ضغط تملكها طهران. فدون هذه الأوراق والعناصر التى توفر دعماً مادياً ومعنوياً لإيران، لربما تغيرت حسابات السياسة الإيرانية فى الملف النووى، أو على الأقل لما تردد الغرب كثيراً فى الرد بحزم وبقوة (عسكرية ليست فقط سياسية) على تصعيدات أحمدى نجاد وتصريحاته المتحدية.

وقد كان الملف العراقى والخليجى من أهم القضايا الخارجية التى تصدى لها الرئيس أحمدى نجاد خلال السنة الماضية بالذات حساسية الملف النووى، ومع ذلك فثمة قاسم مشترك بينها جميعاً ألا وهو الدور الأمريكى فيها، فالولايات المتحدة الأمريكية تلعب الدور الأكبر فى معظم إن لم يكن كل الملفات والقضايا الخارجية التى تتعامل معها إيران، بدءاً من الملف العراقى بما فيه من جوانب متعددة مثل الاحتلال والوضع الأمنى، والمستقبل السياسى، والعلاقة بين الفئات والمذاهب والأعراق، وبعد ذلك هناك موضوع مهم وإن بدا مؤجلاً حتى الآن، هو الأمن فى الخليج، وهو مرشح للتفعيل والطرح فى السنوات القليلة القادمة، وهو مرتبط نسبياً بمستقبل الملف النووى الإيرانى إضافة إلى مستقبل الاحتلال الأمريكى للعراق، فعندما يصل هذان الملفان إلى نقطة حسم نهائية لابد وأن

تفرض مسألة أمن الخليج ذاتها على الطاولة، حيث تثبيت وضع نهائى للخيار النووى الإيرانى لابد وأن يثير التساؤل حول مستقبل التوازن الاستراتيجى الإقليمى فى الخليج، وهو ما بدأت إرهاصاته بالفعل بإشارات خليجية حول إخلاء منطقة الخليج من أسلحة الدمار الشامل والنظر بقلق وتوجس من القدرات النووية الإيرانية.

فالدور الإيرانى فى العراق وموقف طهران من الاحتلال الأمريكى لبغداد انعكس بالفعل على موقف واشنطن من الملف النووى فأصبح أقل حدة عما كان عليه قبل الاحتلال أو بالأدق قبل أن تبدى إيران مرونة وتجاوباً مع مطالب ومتطلبات واشنطن العراقية، والعكس صحيح حيث تزامن تكبد واشنطن خسائر فادحة فى العراق واضطرارها إلى إعلان رغبتها فى الخروج، مع تصعيد كبير فى الملف النووى، فى المقابل بعد أن كان العراق مسرحاً لرد طهران على مظاهر التشدد الأمريكى أو التهديدات التى تصدر من واشنطن على فترات بشأن إحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن، رفعت إيران من مستوى رد فعلها استجابة لرفع درجة التهديد الأمريكى، فأصبح الرد الإيرانى يشمل التهديد برفع أسعار النفط، وتوجيه ضربات مباشرة للقوات الأمريكية فى العراق.

فى المجمل، جسدت قضايا ومقتضيات العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية كل التحديات الخارجية التى واجهها الرئيس الإيرانى فى العام الأول من رئاسته، فكيف يمكن وصف أو تقييم تعامله مع هذه التحديات، فى ضوء العوامل المؤثرة على رئاسته، ومعطيات السنة التى مضت منها؟

بصفة عامة، بدا ظاهر السياسة الخارجية الإيرانية فى تلك السنة الماضية أكثر ثورية وأقل براجماتية عما كانت عليه فى عهد خاتمى، وبذلك يكون أحمدى

نجاد قد صدق ناخبيه عندما أكد لهم أنه سيكون صوت المستضعفين وسيقف بقوة أمام قوى الاستكبار العالمى، لذا شن أحمدى نجاد حملة عنيفة على إسرائيل واليهود والولايات المتحدة والغرب، وذلك فى أكثر من مناسبة دولية، حيث هاجم إقامة دولة إسرائيل فى فلسطين، واعتبر المحرقة اليهودية خرافة وادعاء يهودياً، وانتقد بعنف ازدواجية المعايير الأمريكية والغربية. إجمالاً، فتح أحمدى نجاد النار على السياسات الأمريكية والغربية بصفة عامة وتجاه المنطقة وقضاياها بصفة خاصة.

بيد أن المدقق فى هذا التطور يلحظ أنه يتركز أساساً فى مستوى الخطاب، ورغم التسليم بأن الخطاب الرسمى يعد أحد مؤشرات التوجهات الخارجية للدولة كما هو أحد أدواتها أيضاً، إلا أن السلوك الفعلى للسياسة الإيرانية منذ تولى أحمدى نجاد لا يعكس بدقة ذلك الخطاب الثورى، الذى اعتبر أداة موازية لأدوات أخرى تستخدمها السياسة الخارجية الإيرانية، ليست الأداة الوحيدة التى يقاس عليها، وليست أيضاً تعبيراً حصرياً أو دقيقاً عن مضمون تلك السياسة.

وتنبغى الإشارة هنا إلى أن الملف النووى الإيرانى وصل إلى مرحلة من التعقيد والتصعيد تتجاوز حدود وخصوصية الرئيس الإيرانى، بمعنى أنه حتى لو كان الرئيس السابق محمد خاتمى هو الذى يشغل مقعد الرئاسة حالياً، لما اختلف السلوك الإيرانى الخارجى خلال السنة الماضية خصوصاً فى الملف النووى، ولانحصر الاختلاف فى الخطاب واللغة المستخدمة، والدليل على ذلك أن الخطوة المفصلية التى دشنت مرحلة التصعيد (ويشهد هذا الملف تداعياتها حتى الآن)، تمت فى عهد خاتمى وقبل خروجه من الرئاسة بأيام قليلة، حين استبقت طهران موعد تسلمها اقتراحات أوروبية لتسوية الأزمة، وبادرت إلى استئناف

تحويل اليورانيوم. ولم يعترض خاتمى على تلك الخطوة التصعيدية التى ربما لا تتوافق مع آرائه الشخصية أو أفكاره، ثم عادت طهران وقبلت التفاوض مع الأوروبيين بعد ذلك بأيام، كذلك بادرت إيران فى ١٠ يناير ٢٠٠٦ إلى فض أختام الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن منشأة ناتانز النووية واستئناف أنشطة البحث والتطوير، ثم عادت أيضاً إلى الدعوة لاستئناف التفاوض، وكما حدث التطور بوجهيه أو بمرحلتيه التصعيدية والتهدئية فى فترة رئاسة خاتمى، شهد العام الأول من رئاسة أحمدى نجاد كلا الوجهين، ليس فى الملف النووى فحسب، بل أيضاً فى مختلف الملفات والقضايا الخارجية سواء التى انبرى لها أحمدى نجاد طوعاً مثل مهاجمة إسرائيل واليهود، أو التى فرضت عليه مثل تطورات الملف النووى وتفجيرات الأهواز والأوضاع فى العراق.

الفصل الرابع

أحمدى نجاد

والعرب

لا يبقى فى الوادى -بعد السيل- إلا حجارته، عبارة وردت فى إحدى روايات الكاتب الجزائرى محمد ديب تلخص إلى حد بعيد طبيعة العلاقات الإيرانية- العربية، فقد عبرت هذه العلاقة بمراحل شد وجذب، ومرت بعواصف وسيول جارفة، لكن بقت حقيقة هامة هى أن هذه العلاقات عريقة؛ وتستند إلى أسس قوية للغاية، أهمها الإسلام الذى يوحد الأقطار، وكذلك الجغرافيا التى ربطتها منذ آلاف السنين، وهو ما صنع تاريخاً مشتركاً، لذا سوف يمر كارتر وريجان وبوش الأب والابن وغيرهم من قادة أميركا على هذه البلاد العربية وإيران وسوف تمرق حاملات الطائرات وتقصف الرمد المتدرج على المنطقة، لكن ذلك كله سوف ينتهى وسوف ترحل القوات الأجنبية وتظل فى المنطقة حقيقة أساسية هى إن شعب إيران والشعب العربى يجمعهما الإسلام.

تعود جذور العلاقات العربية- الإيرانية إلى ما قبل الإسلام، حيث كانت هناك علاقات عامة مباشرة بين إيران ووادى الرافدين ومنطقة الخليج، وفى الفترة الساسانية توسع الفرس إلى العراق، كما امتدت الهيمنة الساسانية فى فترات إلى غرب الخليج وبعض سواحل عمان، حيث كانت هناك علاقات خاصة تربط الأكاسرة الساسانيون بملوك الجلندى فى عمان، وبالمقابل فإن ضغط البدو على وادى الرافدين بالهجرة والغزو لم ينقطع، ومن هنا جاء قيام مملكة الحيرة وبينما كان المناذرة يشرعون بصلات بالقبائل العربية فى الجزيرة فإن الفرس أرادوا بهم أن يكونوا سدا أمام هذه القبائل.

وفى الثلث الأخير للقرن السادس الميلادى مد الفرس هيمنتهم إلى اليمن إثر استنجاد أحد أعيان اليمن سيف بن ذى يزن بهم لطرد الأحباش منها.

كان الإيرانيون القدماء يزورون الكعبة ويطوفون حولها ويعظمونها احتراما

للنبى إبراهيم «عليه السلام»، ويعد ساسان بن بابك أول ملك من الأكاسرة الساسانيين كان يترنم بكلمات قرب بئر إسماعيل، وذلك عندما توجه لحج البيت العتيق، ويعتقد المسعودى فى مروج الذهب أن بئر زمزم جاء من كلمة زمزم، أى الترنم بالفارسية.

وفى مجال الأدب كانت هناك علاقات أدبية تاريخية متينة بين الجانبين التاريخيين العرب والإيرانيين، كما أن هناك الكثير من الأمثال والكلمات المأثورة فى الأدب العربى هى نتاج لفكر وزراء إيرانيين كبار مثل بوزرجمهر وزير كسرى أنو شروان، حيث تم تدوين معظمهما فيما بعد فى كتاب: جمهرة رسائل العرب، أو فى كتابات الجاحظ، ولعل الثقافات الحضارية كانت أوسع فالخط المسمارى ثم الآرامى مع الكثير من المصطلحات الحضارية انتقلت إلى الفهلوية أى الفارسية القديمة قبل الإسلام.

وعند دخول الإسلام إلى إيران تعمقت العلاقات التاريخية بينها وبين العرب بصورة أكبر وأوضح، وخاصة العلاقات الأدبية والثقافية فى الفترة الأموية حيث شهدت عملية ترجمة واسعة بتعريب الدواوين المالية فى الولايات الشرقية- الإيرانية- وهى عملية أنجزت خلال نصف قرن فأغنت العربية ومكنتها أن تصبح لغة إدارة لا لغة ثقافة وحسب.

فى هذه الفترة وضعت أسس العلوم الإسلامية وعلوم العربية كما شهدت اختلاطا واسعا فى المراكز العربية كالبصرة والكوفة بما فى ذلك مصاهرات واسعة بين العرب والفرس.

وكان العصر العباسى الأول عصر التعاون الواسع بين العرب والفرس إلا أن هذا التعاون لم يستمر، واستمرت العلاقات العربية الإيرانية حتى خطت

صفحات لامعة فى الثقافة والأدب، فضلا عن العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية.. ويمكن القول إنه لا يوجد أدبان فى العالم بينهما علاقة تواصل وثيقة كما هو الحال بين الأدب العربى والأدب الفارسى، فتأثير الأدب العربى على الأدب الفارسى كتأثير الأدب اليونانى على الأدب اللاتينى، وهذا التأثير والترابط ينشأ من العلاقات الوثيقة والقديمة جداً بين اللغتين العربية والفارسية قبل الإسلام وبعده.

فاللغة الفارسية تطورت كثيرا بعد دخول الإسلام إلى إيران، فقد كانت اللغة السائدة هى اللغة الآرامية، وقد كانت صعبة جدا فى القراءة فكلمة مثل: لحم، كانت تكتب سرى، وتنطق: لحما.. فهذه الازدواجية بين القراءة والكتابة خلقت مشاكل جمة قبل دخول الإسلام إيران ومعه الحرف العربى، الذى استفادت منه الفارسية كثيرا بخاصة فى مجال الشعر، إذ يصعب علينا العثور على قصيدة واحدة فى تلك الحقبة، ولكن بعد اندماج الفارسية القديمة بالعربية، وانبثاق اللغة الفارسية الجديدة ترى العديد من الشعراء العظام يتألقون فى سماء الأدب الفارسى منهم الرودكى وسعدى الشيرازى وعمر الخيام وحافظ الشيرازى والرومى والفردوسى.. والسبب هو السهولة فى قراءة الخط العربى واندماج اللغتين العربية والفارسية الذى وصل لدرجة أن ستين فى المائة من المفردات الفارسية الآن هى عربية الأصل.

كما اقتبس الشعراء الفرس الأوزان نفسها، التى كانت سائدة فى الشعر العربى، والتى طورها خليل بن أحمد الفراهيدى، وأول من قام بترجمة معانى القرآن إلى لغة أخرى غير العربية كان سلمان الفارسى حيث نقل معانى بعض الآيات القرآنية إلى الفارسية، وقام علماء الفرس على تطوير الصرف والنحو

العربيين، وعملوا على صياغة قواعده، وأهملوا لغتهم الفارسية.

وهكذا استمر الترابط بين العرب وإيران على مر التاريخ عبر الثقافة والأدب والسياسة والاقتصاد، وهو على عكس ما هو سائداً فى العصر الحديث، حيث صارت علاقات ثقافية غير متكافئة بين العرب والإيرانيين، بسبب الإهمال العربى الرسمى، وغير الرسمى، فبينما نجد المراكز الثقافية الإيرانية منتشرة فى الدول العربية المختلفة لتعليم اللغة الفارسية والتعريف بالثقافة الإيرانية لا نجد فى إيران مراكز ثقافية عربية لتقوم بالدور نفسه بالنسبة للثقافة العربية، على الرغم من وجود نحو ٧ إلى ١٠ ملايين شخص يقرأون العربية فى إيران بمن فيهم العرب فماذا قدم العرب لهؤلاء؟

العلاقات العربية - الإيرانية
الأمن أساس التعاون والثقة
لإبعاد القوى الخارجية

منذ وصول الرئيس أحمدى نجاد إلى الحكم فى إيران ،٢٠٠٥،، والتوجهات السياسية الخارجية الإيرانية قائمة على مبدأ نزع فتيل التوتر وتطوير العلاقات مع كل دول العالم وفى مقدمتها الدول الإسلامية، وعلى الأخص الدول العربية المجاورة، وتعطى الزيارات المتبادلة لكبار المسئولين الإيرانيين والعرب، وبخاصة زيارة الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد لعدد من العواصم العربية ،دمشق والكويت، قدراً كبيراً من التفاؤل بإمكان حدوث تطورات إيجابية فى العلاقات الإيرانية-

العربية، ويعد تنامى العلاقات الإيرانية مع دول مجلس التعاون الخليجى، وبالخصوص مع المملكة العربية السعودية، والعلاقات الخاصة جداً مع سوريا، والالتزامات الايرانية نحو لبنان والقضية الفلسطينية، تعد كلها بواعث مهمة لمثل هذا التفاؤل.

غير أنها لاتزال هناك بعض الاختلافات حول طبيعة تلك التطورات الإيجابية المحتملة، حيث أن هناك ثلاث حقائق تحكم العلاقات الايرانية- العربية هى:

١- إن واقع السياسة العربية لا يسمح بالحديث عن علاقة عربية واحدة ومتماسكة مع دول الجوار، بل يفرض وجود مجموعة علاقات وسياسات عربية متنوعة مع هذه الدول.

٢- إن إيران لا تتعامل مع العرب كمجموعة أو ككتل، بل تفضل أن تتعامل مع كل دول عربية على حدة، لأن ذلك قد يتيح لها قدراً من التفوق أحيانا وقدرا من الندية أحيانا أخرى.

٣- ترفض إيران وبشدة أى محاولة لتعريب أى خلاف أو نزاع يحدث بينها وبين أى دولة عربية.

ومن خلال هذه الحقائق الثلاث، التى تتحكم فى العلاقات الإيرانية- العربية، يمكننا أن نقسم التفاعلات الإيرانية- العربية ،فى الوقت الراهن، إلى أربعة محاور هى: محور العلاقات الإيرانية الخليجية، ومحور الصراع العربى- الإسرائيلى، ومحور العلاقات الثنائية مع سوريا، وأخيرا موقف إيران من القضية العراقية.

أولاً: محور العلاقات الإيرانية الخليجية

مرت تلك العلاقات بمراحل عدة خلال السنوات العشرين الماضية، فمن مرحلة

تصدير الثورة بالعنف، إلى مرحلة تصدير الثورة بالنموذج، إلى مرحلة معارضة الوجود الأجنبى، إلى مرحلة الاقتناع بأن «الأمن أساس التعاون»، وأخيراً إلى مرحلة الاقتناع بأن «التعاون أساس الأمن»، وفى المرحلة الراهنة تكونت لدى إيران قناعة بأن كفالة أمنها واستقرارها لا تتم إلا بتعميق علاقاتها مع دول مجلس التعاون الخليجى، وانحصرت هذه المحاولات المتبادلة لإعادة بناء الثقة وترسيخها بين إيران ودول مجلس التعاون الخليجى فى الإطار النظرى دون إطار عملى حقيقى، يقود إلى تأسيس هياكل ومؤسسات تعاون جماعى خليجية، بما فيها مؤسسات الأمن الجماعى والتكامل الاقتصادى، ويعود السبب فى ذلك إلى أن القضايا الخلافية المعقدة لا تزال معلقة مثل قضية الجزر مع الإمارات وقضية الوجود الأميركى فى الخليج وفى العراق وعلاقته بمستقبل الأمن الإقليمى.

ويذهب أغلب المحللين إلى أن إيران تمثل فى شكل خارطتها شكل القطة، التى رأسها عند تركيا وسوريا وظهرها عند أفغانستان، أما بطنها الرخوة فعند الخليج، لذا فإن منطقة الخليج تمثل لها أهمية استراتيجية قصوى. «حسب الباحث د. مصطفى اللباد المتخصص فى الشؤون الإيرانية»

العلاقات الإيرانية- السعودية:

يمكن استثناء العلاقات الإيرانية- السعودية جزئيا من هذا التصور حيث بدأ البلدان مرحلة جديدة من العلاقات الثنائية بالتوقيع على الاتفاقية الأمنية المشتركة فى طهران ١٦، أبريل- ٢٠٠١، مع الحفاظ على استمرار اجتماعات اللجنة المشتركة الإيرانية- السعودية.

وقد ظهرت العلاقات الإيرانية- السعودية كرافعة متميزة للعلاقات الخارجية

لإيران، حيث أن السعودية، فى غياب العراق، تشكل مع إيران أهم الأثقال فى منطقة الخليج، ولم تفلح الدعايات المضادة لذلك التقارب فى تسميم الأجواء بين البلدين، بإتهام إيران بالوقوف وراء التفجيرات التى شهدتها الرياض فى الأعوام الأخيرة، كما لجأت إيران فى علاقاتها مع السعودية إلى منهج محاصرة الخلافات والتناقضات على المستوى الإعلامى المتطرفين فى الجانبين، فى المقابل فقد لجأت السعودية لعدم وضع الأوراق الإقليمية كلها فى السلة الأميركية، والمراهنة على القيام بدور مستقل نسبيا فى منطقة الخليج، وبالتالى الحفاظ على علاقة طيبة مع إيران ذات الثقل فى المنطقة للاتفاق على ترتيبات الحد الأدنى فى النواحى الأمنية بالخليج.

ومن ناحيتها، فقد استهدفت إيران بتلك العلاقة تحديد السعودية كمحور ارتكاز لعلاقاتها العابرة لحدود الإقليم بهدف الانفتاح على التحالفات الدولية السعودية، وهكذا كانت الدوافع الذاتية للبلدين هى مولد الحركة الذاتية للعلاقات الإيرانية- السعودية، دون أن يعنى ذلك تطابقا فى وجهات نظر البلدين فى قضايا الإقليم.

العلاقات الإيرانية- الإماراتية ومشكلة الجزر:

لا تزال قضية الجزر .أبوموسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى.، تمثل إشكالية كبيرة فى الطموح إلى مزيد من إجراءات بناء الثقة بين إيران ودول الخليج وبالذات مع الإمارات، ومع ذلك فإن العلاقات غير مقطوعة بين إيران والإمارات، فهناك سفير لإيران فى الإمارات، وسفير للإمارات فى إيران، والوفود الاقتصادية والسياسية والبرلمانية الإماراتية تتوجه إلى إيران، وبالعكس، كما أن الإمارات

تستورد سنويا من إيران ما يفوق المليار دولار وتعد الإمارات بذلك أكبر شريك تجارى لإيران فى المنطقة العربية.

ويأتى ذلك فى الوقت الذى تقوم فيه إيران بإجراء المحادثات المباشرة مع الإمارات فى شأن الخلاف على قضية الجزر الثلاث، ولا يزال الإيرانيون يعتبرون قضية الجزر بأنها ،سوء تفاهم، حول اتفاقية العام ١٩٧١ الخاصة بجزيرة أبوموسى وحدها دون أى تعرض لجزيرتى طنب الكبرى والصغرى، وعلى ذلك فهم لا يعتبرونها قضية احتلال، بالتالى يرفضون التحكيم الدولى أو أى تدخل إقليمى.

وعلى هذا الشكل الغامض غير المحدد الأبعاد والنتائج لا يزال ملف قضية الجزر الإماراتية الثلاث شائكا وغير محدد المعالم، فإيران تراهن بأن يؤدى مزيد من التقارب مع دول المجلس وبالذات مع السعودية إلى حلها دبلوماسياً أملاً فى تجاوزها كعقبة فى طريق تطوير العلاقات، كما أن دول المجلس مازالت تراهن على أن يؤدى مزيد من علاقات الاعتماد المتبادل والتعاون إلى إقناع إيران بحل هذه القضية مع الإمارات.

العلاقات الإيرانية- الكويتية:

شهد الجانب التعاونى بين الكويت وإيران تقدماً ملحوظاً فى المجالات المختلفة، ويكفى أن الكويت كانت القبلة الخليجية الأولى التى اتجه إليها الرئيس أحمدى نجاد فى أولى جولاته الخليجية، ففى المجال الاقتصادى قدمت إيران عرضا لتصدير مياه صالحة للشرب إلى الكويت بمعدل ٢٠٠ مليون غالون يوميا من نهر كارون، شمال غرب إيران عبر خط أنابيب بحرى بين البلدين بطول

٣٠٠ كم، وفى المجال الأمنى، وقعت الدولتان مذكرة تفاهم أمنية لمكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة والمخدرات.

ولعل من أبرز المشكلات التى نشبت بين البلدين، كانت حول النزاع بشأن حقل درة البحرى، فهذا الحقل محل نزاع لم يتم حسمه بين الكويت والسعودية وإيران، ورغم ذلك فقد قامت إيران بتكليف شركة فرنسية- أميركية بتنفيذ أعمال الحفر فى الحقل لحسابها، وقامت بالتنقيب فيه من جانب واحد دون التشاور مع الكويت والسعودية.

وقد عالجت كل من إيران والكويت والسعودية هذه المشكلة بهدوء شديد واختار أطراف المشكلة طريق التفاوض لحل المشكلة مع إعلان الرغبة فى التوصل إلى اتفاق لحل الخلاف نهائيا مع استمرار روح الصداقة وحسن الجوار.

تبقى العلاقات الإيرانية بكل من قطر والبحرين وسلطنة عمان، فمن الواضح أن هذه العلاقات تشهد بشكل دائم ومستمر تقدما هائلا، فعلى مستوى العلاقات الإيرانية- القطرية، فقد كانت زيارة أمير قطر لطهران فى ظل الأزمة التى تخيم على الملف النووى الإيرانى مؤشرا على قوة هذه العلاقة، أما على مستوى العلاقات الثنائية فقد تم توقيع اتفاقيات فى الجوانب الثقافية والتربوية والإعلامية والقضائية والصحية وقضايا منع الازدواج الضريبى وتسليم المجرمين، كما استمرت الزيارات المتبادلة لكبار المسئولين فى البلدين، وهناك مشروع بين البلدين يتعلق بنقل مياه صالحة للشرب من نهر كارون الإيرانى إلى قطر «عبر خط أنابيب ضخم يبلغ طوله ١٨٠٠ كم»، فيما يعرف بمشروع «الأنبوب الأخضر» ويمثل هذا المشروع بديلا لنظيره التركى مشروع «مياه السلام».

أما عن العلاقات الإيرانية- البحرينية، التى وصلت فى بعض الأوقات إلى حد

قطع العلاقات بين البلدين، وذلك قبل مجىء الرئيس السابق محمد خاتمى، فقد شهدت العلاقات بينهما تقدماً ملحوظا، فهناك لجنة اقتصادية مشتركة بين البلدين، والجانبان دائما ما يتباحثان لتطوير العلاقات البينية فى المجالات الثقافية والأكاديمية، كما استؤنف الخط الملاحى بين البلدين بعد أن ظل مغلقا لمدة خمس سنوات.

وشهدت العلاقات الإيرانية- العمانية أهم تطور نوعى فى علاقات إيران بدول مجلس التعاون من حيث التعاون العسكرى بين البلدين؛ وهناك إشارات أصدرها الجانب الإيرانى عن إبرام «اتفاقية دفاعية» بين البلدين.

وعن التفاعل الإيرانى مع الاحتلال الأميركى للعراق، فالمواقف الإيرانية ترتبط ارتباطا قويا بالمصالح الإيرانية فى الخليج، وتأثير هذا الوجود الأميركى فى الخليج على تلك المصالح الإيرانية، فمثل هذا الوجود العسكرى الأميركى فى تلك المنطقة يمثل اختراقا للعلاقات الإقليمية فى الخليج، وهو ما يمثل خطرا على الأمن القومى والمصالح والإهداف القومية الإيرانية، ولا تملك إيران فى هذه المرحلة سوى إظهار أعلى قدر من الجدية فى التصدى لأى نوايا عدوانية أميركية ضدها، انتظاراً لما تسفر عنه الأيام المقبلة لإيران من عدوها وجارها الحالى، أميركا!!

ثانياً: محور الصراع العربى- الإسرائيلى

تعاملت إيران منذ اندلاع الثورة الإسلامية مع الصراع العربى- الإسرائيلى من منطلق أنه صراع دينى بين الأمتين الإسلامية واليهودية أكثر مما هو صراع سياسى، وقد ظلت القضية الفلسطينية أقل القضايا الخارجية الإيرانية تأثراً بغلبة منطق الدولة على كثير من القرارات الخارجية، وأكثرها ثباتاً فى معالم

الرؤية الإيرانية تجاهها والمنهج الأسلم لحلها، حيث استمرت إيران فى عدم الثقة فى النهج السلمى وقدرة الاتفاقات المبرمة على حسم الصراع لصالح الفلسطينيين أصحاب الحق، مع تفضيل أسلوب المواجهة العسكرية، ومن هذا المنطلق، فيمكننا تقسيم التعامل الإيرانى مع الصراع العربى- الإسرائيلى فى ثلاث قضايا، وهى:

أ- الموقف من الانتفاضة: يبلوره تأكيد القائد المرشد السيد على خامنئى أن الحل النهائى لمشكلة الفلسطينيين يكمن فى الجهاد الكامل ضد النظام الصهيونى الذى لابد من إزالته بالمقاومة المسلحة وحدها مع إعلان إيرانى بأنها تقدم الدعم السياسى والمعنوى لحركات المقاومة الفلسطينية كالجهاد وحماس من أجل تحقيق هذا الهدف، أيضا فإن موقف الرئيس أحمدى نجاد لا يختلف فى الجوهر أو الشكل، وهو هنا يكتسب طرحا ثوريا مقاوما لإنهاء القضية، وهكذا فإن الموقف الإيرانى من القضية الفلسطينية يتلخص فى ثلاث دعامات رئيسة هى: إرسال المساعدات، حيث إنها أول من أعلنت عن إرسالها معونات لحكومة حماس بعد حصارها اقتصاديا وقدرت هذه المعونات بخمسين مليون دولار بهدف دعم حركة حماس وحكومتها والمساهمة فى حل أزمات المواطنين الفلسطينيين والدعوة إلى الجهاد ضد المحتل الإسرائيلى، والتأكيد على عدم جدوى أى اتفاقيات تسوية مع الطرف الإسرائيلى.

ب- العلاقة مع السلطة الفلسطينية: بعد أن كانت السلطة الفلسطينية توجه الاتهامات إلى إيران بأنها تشجع المنظمات الفلسطينية الإسلامية المقاومة .حماس والجهاد، على خرق الهدنة التى كانت قد طالبت بها السلطة من المنظمات- الأمر الذى وضع السلطة فى موقف حرج- أعلنت الحكومة الإيرانية

فى عهد الرئيس السابق خاتمى وعلى لسان المتحدث الرسمى للخارجية الإيرانية فى تصريح هو الأول من نوعه منذ قيام الثورة الإسلامية أنها لن تعرقل حلا للصراع الفلسطينى- الإسرائيلى يقوم على أساس دولتين إذا كان هذا هو ما يريده الطرفان، ويعد ذلك خروجا على ثوابت السياسة الخارجية الإيرانية حيث كانت طهران تنتقد منظمة التحرير الفلسطينية بشدة منذ العام ١٩٨٨ عندما قبلت المنظمة رسميا فكرة إقامة دولة فلسطينية فوق الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى حرب يونيو- حزيران- ١٩٦٧، وكانت إيران لا تعترف بحق إسرائيل فى الوجود ويعكس هذا الموقف مدى تعارض الأيديولوجية الإسلامية مع المصالح القومية بخاصة فى ظل المستجدات الحادثة على الساحة الدولية التى تنذر بتهديد الأمن القومى الإيرانى نفسه، وبالتالى فإن هذا الموقف يعبر وبوضوح عن أولوية المصلحة الإيرانية القومية على الانغماس الإيرانى فى القضية الفلسطينية ولكن أثبتت الأيام أن القضية الفلسطينية لا تزال تستحوذ على قلب النظام الإسلامى فى إيران وذلك بمجىء الرئيس نجاد.

نجاد وفلسطين

ولأن القضية الفلسطينية كانت ولاتزال هى القضية التى تحوذ على الاهتمام الأكبر من قبل الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد وخصوصا وأنه أحد ورثة فكر ومنهج الإمام الخمينى، فقد شغلت فلسطين الاهتمام الأكبر لإيران ليس منذ مجيء نجاد فحسب بل كان لهذا الاهتمام بعداً تاريخياً حيث كانت أولى العلامات الفارقة فى العلاقة الإيرانية بفلسطين، كانت انعقاد المؤتمر الإسلامى العام فى

بيت المقدس أواخر سنة ١٩٣١م الذى شارك فيه السيد الطباطبائى والسيد حسين آل الكاشف الذى أم المصلين من أعضاء المؤتمر مرتين متتاليتين، فيما تجلت العلامة الثانية فى الاستجابة لتحدى نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م عندما خرجت التظاهرات العارمة فى طهران للتنديد بهذا الاغتصاب، وقاد آية الله الكاشانى الحركة الشعبية التى طالبت بالتصدى للصهيونية، وذلك قبل أن يدعم مصدق فى حركة تأميم النفط.. أما اختبار الموقع الخاص لقضية فلسطين فقد جرى فى العام ١٩٦٠م حين اعترف الشاه بإسرائيل وسمح لها بتمثيل سياسى وتجارى، حيث عم الغضب قطاعات واسعة من الأمة الإيرانية التى رفضت التعاون مع هذا الكيان المصطنع الغاصب، وردت عليه بالتجاوب القوى مع الثورة الفلسطينية التى انطلقت فى أواسط الستينيات ووفق العديد من الدارسين، فإن نتائج حرب العام ١٩٦٧م، ومن ثم معاهدات الصلح مع إسرائيل، كانتا من أهم العوامل التى أدت إلى ظهور حركة الإحياء الإسلامى التى وضعت قضية تحرير فلسطين والمقدسات فيها من الاحتلال الإسرائيلى فى صلب أهدافها.

وفور انتصار الثورة الإسلامية فى إيران العام ١٩٧٩م، قام وفد من منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة طهران، وتسلم مفاتيح مبنى سفارة إسرائيل مدشنا بذلك مرحلة جديدة من العلاقات الإيرانية- الفلسطينية عنوانها تغلغل قضية فلسطين وواجب تحريرها فى صلب الخطاب الإيرانى الجديد الذى عبر عنه الإمام الخمينى بالقول: «ذكّروا الناس دائما بخطر إسرائيل وعملائها، وكذلك ذكّروهم فى مجالس عزائكم بالمصائب التى حلت بالإسلام والمراكز الفقهية والدينية وبأنصار الشريعة السمحاء»، كما أعلن بعد انتصار الثورة بأشهر، وبالضبط فى ١٩٧٩/٨/٧ أن تكون آخر جمعة من شهر رمضان المبارك يوم القدس،

ودعا المسلمين كافة أن يعلنوا، فى هذا اليوم، تأييدهم للحقوق القانونية للشعب الفلسطينى المسلم.. أما يوم ١٩٧٩/٣/٢٦، أى بعد حوالى شهر ونصف من الثورة، فقد شهد إصدار الإمام الخمينى لبيان أعلن فيه استنكاره لاتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، فيما قامت الحكومة الإيرانية بقطع علاقاتها بالحكومة المصرية على إيقاع التظاهرات العارمة التى شهدتها المدن الإيرانية، رغم أن إيران كان لها ديون على مصر مقدارها مليارى دولار فى ذلك الوقت.

ومع أن سنوات الحرب الإيرانية- العراقية التى استنزفت البلدين، وشكلت ربحاً صافياً لإسرائيل، عكست فتوراً، وصل إلى حد القطيعة، فى علاقات القيادة الإيرانية مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية التى مالت مواقفها لجهة النظام العراقى السابق، غير أن الفترة التى تلت ذلك شهدت بروز موقف إيرانى داعم للانتفاضة الفلسطينية الأولى التى اندلعت أواخر العام ١٩٨٧م، قبل أن تميل السياسة الإيرانية بدورها، إلى البراجماتية، خلال ولاية الرئيس هاشمى رفسنجانى، انطلاقا من واقع التحولات العالمية وضرورات التكيف معها، والسعى إلى تركيز الاهتمام على إعادة البناء الاقتصادى، ومنع الأزمات الإقليمية واحتوائها، واعتبار أن منطقتى الخليج وآسيا الوسطى تمثلان المجال الرئيسى لحركة السياسة الخارجية الإيرانية، وكانت ترجمة ذلك، على صعيد العلاقة بالقضية الفلسطينية، من خلال تأكيد تيار الرئيس رفسنجانى إمكان قيام حكم فلسطينى إلى جانب الحكم الإسرائيلى كخطوة نحو تحقيق الهدف النهائى، وقد وجدت هذه السياسة الرسمية صدى لها لدى تيار الإصلاحيين الذى أعلن تفهمه لاتفاق أوسلو وللعوامل التى دفعت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى قبوله، مع المطالبة بتحسين شروط التسوية، وذلك فى مقابل تيار المحافظين الذى

رفض هذه التسوية، واعتبرها «خيانة عظمى للإسلام والعرب والفلسطينيين» وفق ما جاء على لسان مرشد الثورة آية الله السيد على خامنئى.

ويبدو أن التجاذب فى المواقف بين ما بات يعرف بـ «الإصلاحيين» وبين «المحافظين»، ساهم فى اندفاع الأخيرين إلى تقديم الدعم إلى بعض التنظيمات الفلسطينية، وبالأخص حركة الجهاد الإسلامى، وبدرجة أقل حركة حماس؛ وبالتضاد مع الصراع الذى كان يعتمل فى قلب الدولة والمجتمع الإيرانيين ما بين التيارين المشار إليهما آنفا حول المسائل السياسية والاقتصادية المختلفة وقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان وسواها، ساهمت الفوضى الدولية التى بدأت تتكرس منذ انهيار الاتحاد السوفيتى وتداعيات حرب الخليج الثانية، فى ظل ميل متصاعد نحو التطرف واستخدام العنف من جهة، رجراجة وتنويعات إثنية وقومية وثقافية لم تستطع التعامل مع الصحوة الدينية والقومية التى تزخر بها منطقة الشرق الأوسط من جهة ثانية، فى أن تبدو إيران وكأنها الراعية الإقليمية الأساسية للمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلى، سواء فى لبنان أو فلسطين، قبل أن يأتى الانتصار الكبير الذى حققه «حزب الله» بطرده القوات الإسرائيلية من لبنان فى مايو ٢٠٠٠ ويكرس إيران كلاعب إقليمى رئيسى فى قضايا الصراع العربى- الإسرائيلى.

لكن هذا الدور الذى لم يترجم خارج إطار دعم قوى المقاومة كان يتعرض فى الواقع، إلى اختبار قاس بدأ مع انتخاب السيد محمد خاتمى رئيسا لإيران لولايتين متتاليتين، حيث بدأ الانقسام السياسى الداخلى ما بين تيارى الإصلاحيين والمحافظين يتصاعد اكثر فأكثر، فى ظل متغيرات دولية حادة، وميل إيرانى رئاسى واضح إلى التركيز على القضايا الداخلية تحت وطأة الحاجة إلى

النمو الاقتصادى ومحاربة الفساد والتصدى لمظاهر السلوك الاستهلاكى الذى تنتجه وصفات الليبرالية الجديدة وآليات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية، فيما جاءت التطورات العاصفة التى شهدها العالم، إثر تفجيرات نيويورك وواشنطن فى ١١ أيلول- سبتمبر- ٢٠٠١، وما تلاها من حروب أميركية وبريطانية ضد نظامى طالبان وصدام حسين فى أفغانستان والعراق لتضع إيران أمام خيارات صعبة، وبخاصة بعد أن أفصحت الإدارة الأميركية عن أهدافها فى إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط تحت شعار محاربة الإرهاب ومحاربة الدول الداعمة له التى تسميها ،الدول المارقة، من خلال اعتماد أسلوب الحرب الاستباقية باتت إيران، المصنفة ضمن دول محور الشر والمتهمة بدعم الإرهاب والسعى إلى انتاج أسلحة نووية، فى مقدمة الدول المستهدفة من قبل الولايات المتحدة التى تعلن جهاراً أنها بصدد عزل إيران توطئة لإسقاط النظام من الداخل، ولكن دون أن تستبعد اللجوء إلى القوة العسكرية كخيار أخير.

وقد جاء الرئيس أحمدى نجاد ليعيد الأمور لنصابها الطبيعى فبعد التراجع الواضح فى المساندة الإيرانية لمنظمات المقاومة الفلسطينية، وانقطاع الدعم عن العديد من هذه المنظمات، وتبدل الخطاب الإيرانى المتعلق بمشاريع التسوية الفلسطينية- الإسرائيلية التى انتكست فى كامب ديفيد وأفضت إلى اندلاع انتفاضة الأقصى فى أواخر سبتمبر ٢٠٠٠، والحرص على البقاء على مسافة من هذه القضية التى تشكل أحد العناوين الإقليمية والدولية الكبرى المطلوب التعامل معها فى إطار الصراع الشرس الذى تشهده المنطقة والعالم تحت ظلال معركة القطبية الأحادية وتكريس إسرائيل كزعيمة إقليمية، إلا أن حدة الهجوم الأميركى- الإسرائيلى على إيران بقيت على حالها، لا بل تصاعدت أكثر فى

أعقاب مسرحية السفينة «كارين إيه» التى ألقت سلطات الاحتلال الصهيونى القبض عليها وهى تحمل أسلحة للفلسطينيين، حيث تم اتهام إيران فى الوقوف خلفها، ومواصلة دعمها لـ «الإرهاب الفلسطينى» الذى تمثله، بالإضافة إلى منظمات المقاومة، السلطة الفلسطينية.

فقد تجاوز نجاد كل هذه المستجدات والتحديات ليظهر أمام العالم فى شخصية الداعم الأول للقضية الفلسطينية على وجه الأرض، وهو الأمر الذى أعلنه صراحة فى مؤتمر القدس الذى عقد فى طهران بعد توليه السلطة بأقل من ستة أسابيع عندما طالب بمحو الكيان الصهيونى (إسرائيل) من خارطة العالم، وما تبع ذلك من تأكيد على تصريحه هذا وعدم اعتذاره عنه بل إنه وقف ليردد نفس التصريح مرات عديدة ويؤكد دعمه لحكومة حماس ولحرب التحرير الفلسطينية ضد الكيان الصهيونى إضافة لدعمه المادى غير المحدود لحكومة حماس المحاصرة اقتصاديا وسياسيا بناء على أمر إمبريالى أمريكى.

ويبدو وفق الحراك الذى تشهده الساحة الإيرانية على إيقاع التصعيد الأميركى والدولى حيال مسألة المفاعلات النووية (التى يؤكد الساسة الإيرانيون أنها معدة للاستخدامات المدنية)، وقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، والموقف من العراق وفلسطين، أن الانسحاب التدريجى من التأثير فى اللوحة الفلسطنية وقضايا الصراع مع إسرائيل مرشح للتواصل فى المدى المنظور، دون استبعاد إمكانية حصول مسائل كبرى تعيد بعثرة الأوراق وقلب الطاولة فى وجه كل اللاعبين.

العلاقة مع حزب الله

أكدت إيران مراراً على لسان رئيس الجمهورية ووزير الخارجية أنها ليست لها سلطة على حزب الله، وأنه حزب لبنانى خالص نابع من الإرادة اللبنانية؛ لكنها أكدت فى الوقت نفسه أنها مستمرة فى دعمه بأشكال الدعم نفسها، التى اعتادت عليها قبل انسحاب القوات الإسرائيلية من الجنوب اللبنانى، كما رفضت إيران التضحية بحزب الله أو ممارسة أى ضغوط عليه مقابل نيل الرضا الأمريكى، وعندما قام وزير الخارجية الإيرانى منوشهر متقى بزيارة لبنان والتقى فيها بالقيادات اللبنانية كما التقى بالسيد حسن نصر الله أمين عام الحزب وأكد فى لقائه هذا على استمرار الدعم الإيرانى للحزب، وأشار إلى أن رؤية إيران للحزب ترتكز على ضرورة وجود حزب الله لإزالة الاحتلال، ومتى استمر هذا الاحتلال وكانت للبنان أراضىِ محتلة، فإن من حق لبنان ممارسة حقه فى المقاومة، كما أن نشاط حزب الله والجماعات الفلسطينية هو فى اطار الدفاع المشروع، وأن كل انتصار فى السنوات الأخيرة يعد فخراً لجميع المسلمين والعرب.

ثالثاً: محور التحالف مع سوريا

مثلت تلك العلاقة مؤشراً مهماً على ذكاء الرئيس الراحل حافظ الأسد وإدراكه للثقل الإيرانى فى معادلات التوازن الشرق أوسطية؛ وعلى الرغبة الإيرانية الواضحة فى تحجيم جارتها الغربية العراق وعلى تنويع علاقاتها الإقليمية.. وفى عام انتصار الثورة الإيرانية ١٩٧٩، كانت العلاقات السورية-العراقية قد بلغت أقصى انحداراتها إلى جانب تأثر علاقاتها للعلاقات مع مصر، لم تجد سوريا سوى إيران للتحالف معها لموازنة الحضور الصهيونى المتزايد فى

المنطقة، على الجانب الآخر ومع بدء الغزو العراقى لإيران فى خريف العام ١٩٨٠ زاد ثقل سوريا فى العيون الإيرانية من الناحية الاستراتيجية وذلك لوضع العراق بين فكى الكماشة، ومن الناحية الأيديولوجية الإعلامية كانت العلاقة مع سوريا، من المنظور الإيرانى مهمة للحيلولة دون تحول الحرب العراقية- الإيرانية إلى حرب عربية- إيرانية، أو حرب سنية- شيعية، كما كانت الحملات العراقية الإعلامية تردد وقتذاك.

صارت سوريا قناة ممتازة للتحاور غير المباشر بين دول الخليج العربية وإيران، كما مثلت العلاقات مع إيران بديلا معقولا لغياب الشريك التاريخى لسوريا وهو مصر ولغياب الجار اللدود العراق، وذلك فى بدايات الثمانينيات، أما فى نهاية الثمانينيات، فكانت صورة التحالف الإيرانى- السورى واضحة، سوريا هى الحليف العربى الأوحد لإيران، وإيران هى الطرف الأقوى بالتحالف خليجياً وسورياً ولبنانياً، وأدخل وصول حجة الإسلام هاشمى رفسنجانى إلى منصب الرئاسة فى إيران وانتهاجه سياسات براجماتية تجاه دول الخليج تعديلاً مهماً على دور سوريا فى الوساطة مع دول الخليج، وعجل بالمقابل عودة العلاقات السورية مع مصر معززة بذلك السياسات الانفتاحية لرفسنجانى تجاه دول الخليج العربية، ومن بعده خاتمى، الذى اتسمت سياساته بالتوازن والمصالحة مع كل الدول العربية تقريبا ما عدا العراق بالطبع، أما الرئيس الحالى أحمدى نجاد فقد وثق هذه العلاقات بصورة أكبر بعد توقيعه على معاهدة تكوين جبهة ثنائية إيرانية سورية لمقاومة ومجابهة الإمبريالية والتهديدات الأميركية على المنطقة.

مستقبل العلاقات الإيرانية - السورية

فى ظل العلاقات الإيرانية - السورية المتميزة والممتدة على مدار أكثر من ربع

قرن بشكل وسمها بالخصوصية والتفرد، وبرغم الاختلاف الأيديولوجى المتمثل فى علمانية النظام السورى وإسلامية النظام الإيرانى، إلا أن مواجهة البلدين لنوعية واحدة من التحديات والمخاطر تفرض قدراً كبيراً من التنسيق المشترك والوقوف فى خندق واحد لمواجهة الخصوم وتحقيق المصلحة، ولعل الفترة التى أعقبت الغزو الأمريكى للعراق قد أصبحت نقطة فاصلة يجب التوقف عندها لاختبار نوع واتجاه العلاقة بين البلدين، ومدى قدرتهما معا على التعامل مع مستجدات فى منطقة يجرى تمهيد أرضها لاستقبال الآلة الأمريكية دون عراقيل.

أ- طبيعة الضغوط الأمريكية

تعتبر كل من إيران و سوريا دولتين مارقتين من وجهة النظر الأمريكية وذلك تحت ذرائع شتى منها السعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وزعزعة الاستقرار داخل العراق، وتصدير العنف، وتسهيل عبور المقاتلين الأجانب من وإلى العراق تلك الملفات المفتوحة من قبل واشنطن استتبعها عدد من الضغوط على إيران وسوريا حيث تركزت الضغوط الأمريكية على دمشق فى مطالب عدة أبرزها وقف دعمها للمقاومة فى لبنان وسحب قواتها العسكرية من لبنان وتصفية حزب الله وإغلاق مكاتب المنظمات الفلسطينية فى دمشق، ووقف تدفق رجال المقاومة إلى العراق.

أما الضغوط الأمريكية على طهران فتتركز بشكل خاص على الملف النووى، حيث تطالب واشنطن طهران بوقف العمل فى برنامجها النووى التى تزعم الأولى أنه يهدف لإنتاج أسلحة دمار شامل وهو ما تنفيه إيران وتؤكد أنه مخصص للأغراض السلمية فقط، لكن واشنطن لا تبدو مقتنعة بالتفسيرات

الإيرانية فى هذا الصدد، وقد بدأت الإدارة الأمريكية فى مطلع عام ٢٠٠٥ تلمح إلى شن عمل عسكرى ضد إيران ويتضح هذا من عدد من التصريحات التى أدلى بها المسئولون الأمريكيون وفى مقدمتهم الرئيس الأمريكى جورج بوش وتشير فى مضمونها إلى احتمال حدوث مواجهة عسكرية مع إيران، ففى تصريح له فى بداية العام قال بوش إنه لا يستبعد احتمال القيام بعمل عسكرى ضد إيران وإن جميع الخيارات مفتوحة أمام صانع القرار السياسى الأمريكى.

وقد سعت الولايات المتحدة فى الشهور الأخيرة إلى إحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن فى محاولة لاستصدار قرار إدانة لإيران، كما نعتها الرئيس بوش فى خطابه السنوى عن حالة الاتحاد بالدولة الرئيسية الداعمة للإرهاب فى العالم وكرر اتهامه لها بأنها الدولة الساعية لامتلاك سلاح نووى.

وفيما بدا تحريضاً للانقلاب على النظام الحاكم فى طهران تعهد الرئيس الأمريكى بالوقوف مع الشعب الإيرانى فى سعيه من أجل الحرية على نفس شاكلة التصريحات التى دأب بوش على إطلاقها أثناء ترويجه للحملة العسكرية الأمريكية على العراق وتضمنت وعودا للشعب العراقى بالحرية والخلاص من الديكتاتورية.

ولعل الضغوط المزدوجة التى تمارسها الولايات المتحدة على كل من إيران وسوريا جعلت المجتمع الدولى يتساءل أيهما أولاً إيران أم سوريا ؟

لكن فى المقابل عمقت هذه الضغوط متانة العلاقات بين الرئيسين بشار الأسد وأحمدى نجاد حيث تكررت اللقاءات بينهما.

ب- العلاقات الإيرانية - السورية فى ظل الضغوط الأمريكية

لقد مرت الرؤية الأمريكية للعلاقات الإيرانية - السورية بأكثر من مرحلة،

فقد لفتت خصوصية العلاقات بين البلدين الأنظار إليها منذ ما يربو على خمسة وعشرين عاماً وتحديداً منذ أن أعلنت دمشق وقوفها إلى جانب إيران فى حربها ضد العراق، هذه العلاقة لم تمثل عامل قلق للولايات المتحدة فى هذا الوقت حيث كانت هى نفسها تقدم دعما لإيران رغم مساندتها للعراق فى هذه الحرب فيما عرف بـ «إيران جيت»، واستمرت الرؤية الأمريكية للعلاقات بين إيران وسوريا على حالها بعد حرب الخليج الأولى، حيث لم تمثل بالنسبة للولايات المتحدة عامل استفزاز، ومما ساعد على هذا دخول سوريا ضمن التحالف الدولى الذى قادته واشنطن لإخراج الجيش العراقى من الكويت، ولكن بعد انتهاء حرب الخليج الثانية والتى كرست تواجد امريكى دائم فى منطقة الخليج بدأت تظهر على السطح الأمريكى بوادر القلق من تنامى العلاقات الإيرانية - السورية ومعها التعليقات الأمريكية الناقدة لهذه العلاقة حيث ثارت الشكوك والمخاوف من أن يؤدى هذا التعاون إلى الإخلال بالمصالح الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط ومن هنا وضعت الولايات المتحدة الدولتين ضمن قائمة تضم عددا من الدول التى وصفتها بـ «المارقة» التى لابد من محاصرتها لمنع أخطارها خصوصا أن للدولتين دوراً متكاملاً فى عدد من القضايا الإقليمية أهمها على الإطلاق الرؤية الموحدة تجاه الصراع العربى -الإسرائيلى، والموقف الموحد من المقاومة الفلسطينية والمقاومة فى لبنان، فهناك دعم مشترك لحزب الله حتى بعد خروج سوريا من لبنان بمقتضى القرار ١٥٥٩ وتعتبر هذه نقطة خلاف كبيرة ما بين الولايات المتحدة من جانب وكلا الدولتين من جانب آخر، فالولايات المتحدة تعتبر حزب الله منظمة إرهابية يجب تجريدها من السلاح، وقد طالبت إيران و سوريا مراراً بعدم التدخل أو دعم حزب الله وهذا ما يتناغم مع الرغبة

الإسرائيلية فى تقليص حدة المقاومة على حدودها الشمالية كذلك قدرة الدولتين معاً على التحكم فى إيقاع الأحداث داخل العراق ودفعها إما للتوتر أو إلى التهدئة ورفض الوجود الأمريكى فى العراق.

جـ- مستقبل العلاقات الإيرانية - السورية

بمتابعة السياسات الأمريكية خلال الفترة الأخيرة تكشف أنه لم يعد مجالا للشك فى أن الولايات المتحدة راحت تعطى لقضية استهداف سوريا الأولوية، فسوريا الآن بالنسبة إلى الإدارة الأمريكية صارت كما كان العراق قبل بدء الحرب، فهناك نفس التصريحات والتلميحات بالحرب، وهناك نفس التحركات نحو مجلس الأمن.

لقد أصبح ترتيب قضيتى كل من إيران وسوريا على أجندة السياسة الأمريكية الصهيونية ترتيباً وقتياً بحيث أن الانتهاء من قضية إحداهما يستتبع آليا البدء فى التعامل مع الثانية، وبنفس الطريقة ومن هنا يدرك صانع السياسة الخارجية لدى كل من إيران وسوريا أهمية التوافق والتنسيق وتحسين العلاقات بل ربما التحالف، فهناك إدراك عام بأن الولايات المتحدة لا تريد الحرب فى عدة جبهات فى وقت واحد خصوصا إن جبهة العراق ما زالت مشتعلة.

من الطبيعى أن ينشأ تحالف استراتيجى بين إيران وسوريا لأن كليهما يواجه قضايا مشتركة وعلى درجة من الخطورة مما يحتم عليهما التعاون معا خصوصاً أن ما تمر به سوريا الآن هو نفس ما مرت به إيران من قبل مع الولايات المتحدة.

كذلك فإن الولايات المتحدة لازالت تتعامل مع سوريا وإيران بنفس الطريقة وتوجه لهما نفس التحذيرات وتمارس عليهما نفس الضغوط وهو ما يفرض حتمية التعاون بين البلدين كما أن الدور العربى فى العراق قد تم تنسيقه من

خلال دور فاعل للجامعة العربية واستضافتها لمؤتمر المصالحة العراقى الأول والثانى وهو ما يدفع نحو تنسيق مع إيران بوصفها عاملاً مؤثراً داخل العراق وهذا بدوره يدعم العلاقات الإيرانية - السورية كما أن المندوب الأمريكى لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرية قد أعلن أن موافقة الولايات المتحدة على قرار الوكالة يعد أمرا مؤقتا ولن يستمر طويلا ومن ذلك يتضح أن خطوات التهدئة التى تتخذها القوى الغربية سواء مع إيران و سوريا هى إجراءات مؤقتة يمكن أن تتبدل فى أى وقت وهو ما تدركه الدولتان المستهدفتان.

إن اللهجة التى استخدمها الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد يوم ٢٦ /١٠/ ٢٠٠٥ فى خطابه بمؤتمر ،العالم من دون صهيونية، بمناسبة يوم القدس ودعا فيه إلى إزالة إسرائيل من الوجود معتبراً أن هناك معركة تدور بين الأمة الإسلامية ودار الكفر يمكن تصنيفها على أساس أنها نوع من تخفيف الضغط على سوريا فمن يتابع التصريحات والمواقف الإيرانية بعد أزمة الولايات المتحدة الأخيرة مع سوريا يلحظ أنها اتخذت أسلوبًا متشدداً عن عمد، وكأن الرئيس الإيرانى بهذه التصريحات يمد يد العون تجاه سوريا وذلك يمثل اعتراضا لخطة الانفراد بسوريا ثم بحزب الله تمهيدا لضرب إيران نفسها فيما بعد ونوعا من التكتل قد يجعل الجبهة تتسع أمام الطرف الأمريكى.

لقد تضافرت عدد من العوامل التى ساعدت على استمرار العلاقات بين البلدين وتدعيمها فى مواجهة الضغوط الأمريكية فالنفوذ الذى تتمتع به إيران فى لبنان وخاصة مع حزب الله هو نفوذ قد يساعد على الحفاظ على مصالح سوريا ودعمها خاصة بعد انسحابها من لبنان وهذا ما تحتاجه سوريا التى تعد لبنان بالنسبة لها قضية أمن قومى على حدودها فضلا عن أنها ورقة ضغط على

عدو يحتل أرضها.

لقد ظنت الولايات المتحدة وإسرائيل أن إخراج سوريا من معادلة لبنان حزب الله سوف تضعف المقاومة فى جنوب لبنان، وتساعد فى تفكيك الحزب والتخلص من التوتر على الحدود الإسرائيلية وهو ما لم يحدث ويتضح هذا من العمليات التى نفذها مقاومو حزب الله فى مزارع شبعا والتى أسفرت عن أضرار جسيمة لدى القوات الإسرائيلية وهى رسالة لم يوجهها حزب الله وحده ولكن معه إيران وسوريا ومفاد هذه الرسالة والتى عبر عنها حسن نصر الله فى كلمته بمناسبة استلام جثمان المقاومين الثلاثة اللذين استشهدوا فى العملية إن المقاومة هى نفسها فى صلابتها وإرادتها قبل ١١ سبتمبر وبعده وقبل غزو العراق وبعده وقبل خروج القوات السورية من لبنان وبعدها وقبل قرارى مجلس الأمن ١٥٥٩ و١٦٣٦ وبعدهما.

كما أن إيران وسوريا تواجهان تهديدات واحدة ومستمرة من الولايات المتحدة بعمل عسكرى ضد كليهما مما يضعهما بين شقى رحى يجب التعاون للخروج منها خصوصا مع وجود عدو مشترك فى المنطقة يرغب فى إزاحتهما معاً لذلك فإن تطابق وجهات النظر الإيرانية - السورية يعد أمراً هاماً للغاية لكى تستطيعان معا الوقوف ضد تطلعات الولايات المتحدة داخل المنطقة وتواجهان سويا تداعيات الوجود الأمريكى على حدودهما حيث تستطيع الدولتان الاتفاق حول سياسة واحدة داخل العراق لتفادى أى صدام بين البلدين داخل العراق وإقامة علاقات متوازنة وصحية مع الاتحاد الأوروبى بوصفه قوة جديدة قد توازن الضغوط الأمريكية أو على الأقل تخفف منها.

لقد ساعدت كل العوامل السابقة على تقوية وتدعيم العلاقات بين البلدين فى

مجالات أخرى تجارية وصناعية وسياحية حيث تشارك إيران فى عدد من المشاريع التنموية السورية مثل مشاريع الصوامع و صناعة الأسمنت وأمام التعاون الاقتصادى السورى الإيرانى آفاق متعددة فى ظل توافق سياسى يحتاجه الكثير من الدول الأخرى التى بينها وبين البلدين علاقات اقتصادية وسياحية أقوى من ذلك بكثير.

رابعاً: إيران والقضية العراقية

لا يختلف اثنان على أن إيران دولة كبرى لها مصالح حيوية فى منطقة الخليج، كما لها ارتباطات جغرافية وتاريخية مع العراق على وجه الخصوص ويمكن ملاحظة نوع العلاقات الإيرانية العراقية من خلال تحليل طبيعة اللقاءات التى أجراها وزير الخارجية منوشهر متقى فى بغداد خلال زيارته التى استغرقت عدة أيام فى الأسبوع الأخير من مايو ٢٠٠٦، فقد التقى:

١- الرئيس جلال طالبانى.

٢- رئيس الوزراء نورى المالكى.

٣- وزير الخارجية هوشيار زيبارى

٤- آية الله العظمى السيد على السيستانى.

٥- السيد مقتدى الصدر زعيم التيار الصدرى.

٦- السيد عبدالعزيز الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية.

وهنا نرصد لقاءات ذات طابع رسمى وأخرى ذات طابع شعبى، ما يؤشر أن إيران تسعى إلى علاقات طيبة مع رموز الحركة السياسية العراقية بكل تجلياتها، ومن هنا أيضا يبدو حرصه على زيارة العتبات المقدسة فى النجف وكربلاء، وتأكيده على اهتمام بلاده بـ (التوفيق للعراق ولشعبه للتغلب على المشكلات وعلى

رأسها التوترات الأمنية) وقوله (نحن نشجب العمليات الإرهابية التى تسبب عدم الاستقرار فى العراق، لأن ذلك يؤثر على دول الجوار).

وأكد قائلاً: (فى زيارتنا المقبلة سنوقع اتفاقات اقتصادية عبر اللجنة المشتركة العليا بين العراق وإيران تصل إلى سبعة مشاريع تتعلق بالنفط والكهرباء وبناء المستشفيات وغيرها من القطاعات فى كربلاء والنجف والبصرة والسليمانية وأربيل، وأشار إلى رصد إيران مليار دولار لدعم العراق، وأضاف بأنه تم التباحث مع الجانب العراقى لفتح قنصليات عراقية فى محافظة مشهد وحزم شهر وكرمنشاه لتوسيع النشاط الاقتصادى.

وبعد لقاء مع الرئيس جلال طالبانى صدر بيان رئاسى عراقى يقول: (لدينا رغبة حقيقية لإقامة أحسن العلاقات مع إيران).

وأعرب الجانبان فى بيان مشترك صدر فى بغداد وطهران عن (الارتياح للجهود المبذولة والاتفاقات القائمة فى شأن تقديم التسهيلات القنصلية لرعايا البلدين وتسهيل توافد الزوار من كل منهما إلى الآخر وعزمهما على سرعة ودقة تنفيذها، وأكدا ضرورة تطوير التعاون ومتابعة الاتفاقات القائمة بينهما من أجل خفض التكاليف وإزالة المعوقات).

لائحة اتهام ضد صدام

كما أكد الجانبان أهمية زيادة عدد القنصليات العامة فى البلدين بهدف تطوير العلاقات الثقافية والدينية والعرقية للشعبين وشددا على ضرورة محاكمة رموز النظام العراقى السابق وكانت ايران قد سلمت إلى وزارة الخارجية العراقية لائحة اتهام ضد صدام وأعوانه لتقدم إلى محكمة الجزاء العليا لغرض النظر

فيها لاحقا.

وأكد الجانبان على ضرورة الحفاظ على الوحدة الوطنية ووحدة التراب العراقى، ورحبا بالمشاركة الشاملة لجميع القوميات والطوائف والفصائل فى العراق ودورها الفاعل فى بلورة العملية السياسية، وأدان الجانبان كل الممارسات الارهابية فى العراق بما فيها قتل الأبرياء، وانتهاك حرمة المساجد والتفجيرات الوحشية لا سيما التى وقعت فى مرقد الإمامين العسكريين فى سامراء وأعلنا عن رفضهما للمؤامرات الخفية والمحاولات التى يبذلها أعداء الإسلام بهدف إشعال فتيل الحروب الطائفية والقومية وربط ظاهرة الإرهاب بالإسلام فى العراق وشكر الجانبان الدور الهام للعلماء والمرجعيات الدينية فى الحفاظ على الهدوء والاستقرار.

وشدد الجانبان على ضرورة تقديم الدعم إلى العراق حكومة وشعبا من أجل استتباب الأمن والاستقرار فيه، وأعربا عن استعدادهما للتعاون فى هذا المجال ولاسيما تنفيذ وتفعيل القرارات التى تمخضت عن اجتماعات وزراء الخارجية والداخلية لبلدان الجوار العراقى والرامية إلى المساعدة فى إعادة إعمار وتنمية اقتصاده واستقراره، وأكدا فى هذا الاطار ضرورة عقد الاجتماع التاسع لوزراء خارجية الدول المجاورة للعراق على أن تستضيفه إيران نهاية الشهر المقبل.

ووصف لبيد عباوى وكيل وزير الخارجية العراقى زيارة متقى بأنها "إيجابية جدا" وقال إن "واحدا من أهدافها (الزيارة) إعطاء صورة بأن إيران قريبة من العراق ولا يمكن تجاوزها عند بحث القضية العراقية".

وعن الجوانب الأمنية فى الاتفاقات قال إن "الجانب العراقى طرح موضوع ضبط عبور الإيرانيين غير المشروع إلى العراق وتهريب الاسلحة والمخدرات فى

حين طرح الجانب الإيرانى مسألة تسلل عناصر منظمة مجاهدى خلق الإيرانية إلى إيران عبر الحدود العراقية".

إيران وموقفها من العمليات المسلحة فى العراق

تعتبر إيران أن العمليات المسلحة فى العراق قد خرجت عن إطار المقاومة ضد المحتل إلى إطار الصراع المذهبى بين السنة- التى كانت تحكم- وبين الشيعة الفئة الكبرى فى العراق، وهذا ما جعل المقاومة تتخذ أشكالا بعيدة كل البعد عن هدفها الأسمى، وهو «إخراج المحتل» بل صارت تساعده على التوطيد فى المنطقة، ومن هذه الأشكال، اتهام بعض فصائل المقاومة بموالاتها للمشاريع الغربية، وهذا ما أزعج إيران فأخذ الإعلام الإيرانى وبعض الكتابات الإيرانية فى التنديد بهذا والانتقاد لتلك الفصائل التى تنسب نفسها زوراً للمقاومة.

باعتبار أن هذه الفصائل المشبوهة لا تخدم القضية العراقية ومقاومتها بل تشعلها حربا أهلية، ليجعل العدو الأول للفريقين يمتع عينيه بالمصارعات الرومانية «العراقية» الدامية، ويحول ناظريه إلى غيرهما ومن ثم وجب على إيران أن تساهم فى تهدئة الوضع العراقى، ويرى فريق المعارضة السنية أن الاستبعاد شبه الكامل للسنة عن الساحة السياسية جعل بعض فصائلها تتصرف بتهور فى مقاومتها فلا تفرق بين قوات الاحتلال وبين المواطنين سواء شيعة أو سنة مما أفقدها تعاطف قطاعات عديدة فى العراق، وهنا تأتى نقطة الوصل التى ستعيد العلاقات الإيرانية والعراقية بعد انقطاع طويل سببه الحرب بين البلدين، فإذا تعاون الشيعة الإيرانيون مع الشيعة العراقيين ستعود الثقة المفقودة مرة أخرى ليس بالسنة العراقية فقط بل بسنة العالم الإسلامى.. خاصة دول الخليج العربى، ويرى فريق المعارضة السنية أن الواقع المؤلم للعراق فرض نفسه على

إيران فاختارت لنفسها دور المتفرج فى هذه المسرحية الهزلية، فلم تحاول تقريب الشيعة من السنة بل تركت الأمور تسير حسبما تجرها الأمور ليكون المحتل هو البطل الذى يأتى ليدعى أنه حافظ السلام فى المنطقة بين الفريقين، وإن كان السنة بالأخص لانها الفئة الأقل الأضعف، ويحذر هؤلاء من خطورة عدم اتزان السياسة الإيرانية على المستقبل فكما يقال: «إذا شبع الحمار رفس».. فإذا لقى الأمريكان هدوءاً فإنهم سيبحثون عمن يرفسونه، وبالطبع لن يجدوا أمامهم إلا «إيران».

ومن ثم وجب على إيران إعادة رسم معادلتها السياسية لأن تقريب العراقيين بمختلف مذاهبهم لها سيدعم مقاومتها السياسية والعسكرية ضد الطموح الأمريكى فى هدم الشرق الأوسط وبناء الشرق «المؤمرك».

واللافت هنا هو أن السيد إياد علاوى رئيس الوزراء العراقى السابق ورئيس لائحة (القائمة العراقية)، وهو غير محسوب ضمن القيادات الموالية لطهران، قد رد على سؤال لصحيفة الحياة اللندنية ٢٠٠٦/٥/٢٣ حول التدخل الإيرانى الأمنى فى جنوب العراق فقال (لا معلومات لدينا عن ذلك، لكننى قرأت تصريحات لرئيس المخابرات العراقى ويدعى الشهوانى وجود تدخل إيرانى فى العراق).

ولما سألت مجلة (المشاهد السياسى) التى تصدر فى لندن السيد هاشمى رفسنجانى عن وجود وحدات من الحرس الثورى الإيرانى فى البصرة وباقى مدن جنوب ووسط العراق، قال بالحرف الواحد: «من يقول ذلك نطالبه بأن يقدم لنا قائمة بأسماء ضباط وجنود الحرس الثورى، أو يقدم لنا قائمة بأسماء معتقلين إيرانيين فى السجون العراقية، أو يقدم لنا قائمة بأسماء القتلى والجرحى الإيرانيين باستثناء المدنيين الذين جاءوا لزيارة العتبات المقدسة، وقال

رافسنجانى وهو أيضا رئيس سابق لإيران، إن بلاده ليس لها تواجد فى العراق إلا التواجد الرسمى، أو التواجد الديبلوماسى فقط».

وأشار إلى حرص بلاده على وجود استقرار فى العراق، وقد عزز هذه التصريحات الزيارة التى قام بها وزير الخارجية الإيرانى متقى منوشهر إلى بغداد فى الأسبوع الأخير من مايو ٢٠٠٦، والتقى مع نظيره العراقى هوشيار زيبارى، وتبادلا تصريحات ودية عن علاقة الجوار، وعن مشروعات للغاز والطاقة فى المدى المنظور ستعود بالخير على البلدين، ومعهما سوريا، وأكد (فى زيارتنا المقبلة ستوقع اتفاقات اقتصادية عبر اللجنة المشتركة العليا بين العراق وإيران تصل إلى سبعة مشاريع تتعلق بالنفط والكهرباء، وبناء المستشفيات وغيرها من مرافق البنية التحتية).

أسباب توتر العلاقات الإيرانية- العربية

منذ قيام الثورة الإسلامية فى إيران فى العام ١٩٧٩ وهناك من الأسباب السياسية والفكرية والحركية التى وقفت حائلا فى كثير من الأحيان بين تواصل العلاقات السياسية الحميمة ما بين إيران من جانب وبعض الدول العربية من الجانب الآخر، وتتمحور هذه الأسباب فى بندين رئيسيين أولهما: ما يسمى بسياسة تصدير الثورة، وثانيهما: الميليشيات المعروفة بالحرس الثورى الإيرانى، وقد مثلت هاجساً أمنياً أثر بدرجة أو أخرى فى تواصل العلاقات الطيبة ما بين إيران من جهة ومصر والأردن من الجهة الأخرى، غير أن معيار تحسن أو سوء العلاقات بين الجهتين لا يرتبط أبدا بهذين البندين فحسب، بل تبقى بعض

المواقف السلبية والإيجابية التى تطيح تارة بالعلاقات الطيبة، وتوثق تارة أخرى بهذه العلاقات المتوترة، فها هى احتمالات ظهور هلال شيعى تتزعمه إيران فى المنطقة تثير شكوكا أردنية تدفع الملك عبدالله بن الحسين عاهل الأردن إلى التحذير من احتمالات ظهور هلال شيعى فى المنطقة، وارتبط تصريحه بصعود القوى الشيعية فى العراق إلى سدة الحكم، وامتلاكها أغلبية برلمانية فى انتخابات ديسمبر ٢٠٠٥ من جهة، وصعود القوى الراديكالية فى طهران فى انتخابات مايو- يونيو من نفس العام، ورغم وجود تطمينات إيرانية، ونفى عراقى من وجود أى مخطط مذهبى فى المنطقة، إلا أن الشكوك الإيرانية ظلت قائمة، ففى ٢٠٠٦/٥/٢٥ أطلق رئيس مجلس النواب الأردنى، رئيس الحزب الدستورى عبدالهادى المجالى اتهامات جديدة إلى إيران بـ (تهديد الأمن الوطنى الأردنى وزعزعته، لكن من دون العمل على قلب نظام الحكم)، وقال المجالى أثناء افتتاح مقر جديد لحزبه (إن إيران تشكل تهديدا سلبيا على الأردن من المتوقع حدوث توتر شديد على المنطقة سواء ضربت أمريكا إيران أو لم تضربها).

واضاف المسئول الأردنى الذى سبق أن تقلد مناصب عسكرية آخرها مديراً للأمن العام (أن إيران تلعب لعبة ذكية جداً، إذ ساعدت الأميركان بقوة على احتلال العراق، وأمنت لهم الجناح الأيمن أثناء غزو العراق، ومن المعلومات الدقيقة أن المخابرات الإيرانية تحتل معظم جنوب العراق، وتساءل: هل ستضحى الولايات المتحدة، وتتخذ قراراً بضرب إيران وتدمر منشآتها النووية) مضيفا (إن الاحتمال كبير جدا رغم أن المعلومات تقول إن واشنطن تدرك تماما حجم الأخطار التى تنتج عن استحقاقات ضرب إيران).

ورفض المجالى التشكيك فى الرواية الرسمية عن تهريب حماس أسلحة إلى

الأردن، وقال: من المعروف أن إيران تدعم حماس ماليا وتمدها بالأسلحة وهو الأمر الذى لا يجعلنا نشكك فى الرؤية الرسمية.

ويذكر أن السلطات الأردنية فجرت فى مايو ٢٠٠٦ وبعد أسابيع من نجاح حركة حماس فى الانتخابات التشريعية الفلسطينية وتشكيل حكومة أزمة كبيرة، عندما أعلنت القبض على ما أسمته شبكة فلسطينية تابعة لحماس قامت بتهريب وتخزين أسلحة ومتفجرات فى أماكن سرية فى الأردن بهدف استخدامها فى تنفيذ عمليات عنف داخل الأردن وهو ما نفته حركة حماس واعتبرته استجابة لضغوط أمريكية تهدف إلى منع أى علاقة ايجابية بين حماس والقيادة الأردنية.

حقيقة الحرس الثورى

أما عن مسألة الحرس الثورى التى تثير قلقا لدى الكثير من البلدان العربية وبالخصوص مصر والأردن (كما سبق وأن اشرنا) والتى ظهرت على السطح بقوة فى الفترة الأخيرة بعدما اتهمت نيابة أمن الدولة العليا فى مصر الحرس الثورى الإيرانى بتجنيد محمود دبوس المواطن المصرى من مدينة السويس لإرسال معلومات عن مصر والسعودية والإعداد للقيام بعمليات تخريبية فى مصر والسعودية، من خلال محمد رضا حسين دوست الموظف الإدارى بمكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة، مما يجعل من الضرورة بمكان التعريف بحراس الثورة الإيرانية ودورهم فى تصدير الثورة الإسلامية.

يقول الخمينى عن حراس الثورة: لو لم يكن حرس الثورة ما كانت الدولة، إنى أوقر الحراس وأحبهم وعينى عليهم، فلقد حافظوا على البلاد عندما لم يستطع أحد.. ومازالوا، إنهم مرآة تجسم معاناة هذا الشعب وعزيمته فى ساحة المعركة

وتاريخ الثورة. (جمهورى إسلامى فى ١٩٨٤/١/١٥م).

ويوضح هاشمى رفسنجانى رئيس مجمع تحديد مصلحة النظام الإيرانى فى بيان دور الحرس الثورى: إن جيش حراس الثورة الإسلامية الذى تشكل من أكثر الأشخاص تجربة ونضجاً، عليه مسؤولية المحافظة على منجزات الثورة ودستورها، لقد كان دور الحراس مؤثراً فى إحباط كل مؤامرات القوى الاستكبارية ضد الثورة سواء فى أعمال التخريب أو التضليل أو جبهات القتال، كما قاموا بدور كبير فى رفع الروح المعنوية للجماهير، وكان دورهم الفنى أهم من دورهم العسكرى، وقد غطى جهازهم الإعلامى الاحتياجات الإعلامية، كذلك كان لهم دور كبير خارج البلاد فى تصدير الثورة الإسلامية، فأثبتوا أنهم جهاز يمكن الاعتماد عليه. (كيهان فى ١٩٨٤/١٢/٧)

وترجع أهمية حراس الثورة إلى أسلوب إنشائه عندما تم تدريب الشباب المتحمس فى معسكرات الثوار فى مختلف أنحاء العالم على أداء المهام القتالية من الالتحام إلى حرب المدن وحرب العصابات، ثم كلفوا بحماية قادة الثورة فكان ولاؤهم المطلق للثورة، ومبادئها وأهدافها، وتم تحويلهم إلى جيش له قواته البرية والبحرية والجوية فضلاً عن وحدات الصواريخ والمصانع الحربية، فى ١٩٧٩/٤/٢١م من خلال إدارة عقائدية سياسية على أساس أيديولوجية النظام، فلا يقف واجبه عند حد الدفاع عن البلاد، إنما يتخطاه إلى إقرار الأمن وتعقب أعداء الثورة وتعمير البلاد والدعاية للثورة وتصديرها إلى الخارج. وقد تم إلحاق قوات التعبئة العامة (باسيج) به لإكمال دوره، وقد أكد الخمينى على ضرورة تعميم نظام الباسيج فى العالم الإسلامى، ونشر خلايا مقاومة الباسيج فى المنطقة والعالم الإسلامى بإدارة صحيحة وتخطيط سليم وتشكيل أصولى لتأكيد

استمرار الثورة ورسالتها. (اطلاعات فى ٢٣/١١/١٩٩٣)

ويبدو نشاط جيش الحراس الثقافى بارزاً فيما يصدره من مجلات وصحف نوعية ومتخصصة كثيرة فضلاً عن محطة إذاعية خاصة، ومطبعة خاصة لطبع الكتب والنشرات والصور والملصقات، إضافة إلى مساحة كبيرة فى محطات الإذاعة وقنوات التليفزيون وفى مجال التعليم أنشأ جامعة خاصة باسم جامعة الإمام الحسين تضم عدداً من الكليات الهندسة والطب والعلوم والإعلام والعلوم الإنسانية والعلوم الإدارية والعلوم الأساسية، فضلاً عن كليات أكاديمية العلوم العسكرية مثل القيادة والأركان والحرب الكيماوية، وكلية ضباط الحراس وكلية الدراسات العليا.

ويدعى البعض أن بصمات الحرس كانت واضحة على النشاط الخارجى للنظام بعد حصول اثنين من قادته وهما على محمد بشارتى على منصب نائب وزير الخارجية، شيخ الإسلام على منصب وكيل وزارة الخارجية وحسين، فاستفاد من الغطاء الدبلوماسى فى تصدير الثورة الإسلامية إلى دول العالم، كما كان محسن رضائى قائد الحراس يتمتع بحق الاتصال المباشر بالزعيم منذ أن كان حارساً خاصاً للخمينى.

تصدير الثورة وهم أم حقيقة؟

أما عن البند الآخر المثير للجدل دائما والذى يتسبب كثيرا فى الفهم الخاطئ لطبيعة مبادئ الثورة الإسلامية الإيرانية، وهو تصدير الثورة يظل حاضرا فى مشهد العلاقات الإيرانية العربية حيث ان النظام الإيرانى لا يتوقف عن تصدير

الثورة الإسلامية وإن كان يطور فى أسلوبه والواجهات التى يعمل خلفها يقول على أكبر ولاياتى وزير الخارجية الإيرانية الأسبق لرجال السلك الدبلوماسى: (إن رسالتنا فى المقام الأول هى توصيل رسالة الإسلام والثورة الإسلامية إلى العالم). (إذاعة طهران ١٩٨٤/٣/٦)

وقد اتخذ زعماء النظام شعار الوحدة الإسلامية كمنطلق أيديولوجى اعتمدوا عليه فى تصديره للثورة، حيث يقول آية الله على خامنئى: (إن مسألة وحدة العالم الإسلامى اليوم أصبحت أحد المسائل الهامة والفورية بالنسبة لنا، إن وحدة المسلمين أصبحت واجباً وعملاً دينياً وحركة سياسية، ونحن باعتبارنا مسئولين نحمل على أكتافنا مسئولية الدفاع عن تطبيق الإسلام والقرآن فى واقع حياة الإنسان، ونرفع شعار محاربة أعداء الإسلام بالروح وبالدم وتعتبر الدعوة إلى الوحدة إحدى واجباتنا العاجلة والحساسة. (إذاعة طهران ١٩٨٤/٥/٦)

والنظام الإيرانى لا ينفى إمكان استخدام القوة فى تصدير الثورة، يقول رفسنجانى: (إن الإسلام بمعناه الثورى يمثل تهديداً لوجود ومصالح القوى الاستكبارية فى العالم الإسلامى وحماية للمستضعفين من شعوبه حماية جادة ومنظمة) (إذاعة طهران ١٩٨٤/٥/٧)، إلا أن هذا الاتجاه لم يكن هو الاتجاه الوحيد أو الغالب فى هذه المسألة، وإنما كانت الوسائل السياسية والثقافية أكثر استخداماً، ويقول خامنئى: (إن تصدير الثورة هو بمعنى تصدير مفاهيم الثورة، وتصدير ثقافة الثورة وهذا لا يتيسر إلا بوجودنا فى ساحة السياسية الدولية). (كيهان ١٩٨٤/٧/٣١).

ويرى مير حسين موسوى: (إن أساس قوة نظام الجمهورية الإسلامية هو

مـجهود ونشـاط إخـواننـا الدبلومـاسيين الثقـافى وتعـاونهم الفعـال ذلك أن هدف الثورة الإسلامـية هو إيجـاد التحول والتغيير فى البشرية ومنح القوة الروحية التى هى أسـاس مدرستنا للطاقة المادية وحركة الجماهير، وهو مـا نأمل أن يزداد ويتـدعم، علينا أن نقـدم للشعـوب المستـضعفـة المعايير الصحيحة للثقافة الإسلامـية، حتى تنتـهى وتتحطم قيود الاستكبار السياسى والثقافى وتشعر بالحرية، لذلك فإن واجب ملحقينا الثقافيين هو تصدير الثورة الثقافية الإسلامية). (إذاعة طهران)

هكذا فإن فكرة تصدير الثورة قد أصبحت برنامجا شاملاً مدروساً من جانب النظام الإيرانى فى مجالات مختلفة عقائدية وسياسية وثقافية وفكرية وعسكرية، يقول سيد حسن حسنى النائب البارز السابق فى مجلس الشورى: (سوف يكون خط الثورة الإسلامية قدوة لجميع شعوب العالم الحر فى المستقبل القريب). (كيهان ١٩٨٧/١/٢٩)

وعندما نحاول التعرف على رأى فقهاء النظام الإيرانى حول مدى مقبولية هذا التصدير لدى الشعوب الإسلامية غير الشيعية فإننا نجدهم واثقين بفكرهم ومقبوليته لدى أهل السنة، حيث يقول خامنئى: (لقد بنيت الثورة على أسس إسلامية مشتركة بين المذاهب الإسلامية، غاية الأمر أن هذه الأسس عند تطبيقها فى حياة الناس تحتاج إلى تفسير فقهى، وكل مجتمع سوف يفسرها من زاويته الفكرية، وفى بلادنا الأحكام تصدر وفقاً للفقه الجمهورى (السياسى والشيعى)، لذلك لا نستطيع أن نقول إن ثورة إيران شيعية، بل هى ثورة تقوم على الأصول الإسلامية ولكن بعض من خصائص مذهب الشيعة قد أثر فى ظهور ورسوخ هذه الثورة. إن خصوصيات مذهب الشيعة تساعد على تبلور الثورة واستمرار حياة

النظام الإسلامى الجديد). (كيهان ١٩٨٧/٢/١٠)

ويؤكد خامنئى: إننا نشترك مع المسلمين فى معظم اعتقاداتهم وأعمالهم، وهذا بأن تكون ثورتنا قدوة لهم، إن حكومة ولاية الفقيه ظاهرة مشتركة بين جميع الفرق الإسلامية وإن طرحت بأسماء أو خصائص أخرى لدى بعض الفرق، فهى بلا شك جزء من أصول الإسلام). (المصدر السابق)

وفى شهادة عن تصدير الثورة يقول الاستاذ/ حجة الله جوداكى الملحق الثقافى بمكتب رعاية المصالح الإيرانية فى القاهرة الذى قدم مداخلة نشرتها مجلة (مختارات إيرانية) (مايو ٢٠٠٥) جاء فيها:

عندما خطب الإمام الخمينى للمرة الأولى عن ظاهرة تصدير الثورة ربما لم يفهم الكثير من الناس دافعه بشكل صحيح، ولهذا الغرض سعى فى كتاباته وأحاديثه بعد فترة قليلة إلى أن يوضح أبعاد هذه المسألة للجميع، وفى إحدى هذه الخطب ضمن وصفه وتحليله لهجوم وكالات الأنباء الغربية المتعددة التى كانت تسعى إلى تشويه وجه الثورة الإسلامية خارج إيران، خاصة لدى المسلمين، أعلن: إننا سنصدر ثورتنا إلى كل العالم حتى يعلم الجميع لماذا قمنا بالثورة، لقد كان هدفنا الاستقلال والحرية والجمهورية الإسلامية، الاستقلال بمعنى التحرر من القيود والتبعية للشرق والغرب، أى: أميركا والاتحاد السوفيتى (السابق)، والحرية، أى: التحرر من أغلال استبداد إمبراطورية شاه إيران (الحكم البهلوى)، والجمهورية الإسلامية ، أى: أن يحقق الإيرانيون حلمهم بإقامة حكومة على أساس الإسلام والديمقراطية، ولقد أوضح ببيان صريح:أن هدفنا من تصدير الثورة ليس الاعتداء العسكرى لأن هذا عمل الدول الاستعمارية، إننا نريد أن يعرف العالم مبررات ثورتنا ونوضح أهدافنا إن القوى العظمى لا تريد ذلك، لو

أن الناس فى العالم يعرفوننا، فإنهم سيقومون بالدفاع عنا ولن ينخدعوا بحيل وسائل الإعلام الإمبريالية.. لأنهم يهاجمون ثورة الشعب الإيرانى ويتآمرون عليها بسبب ضياع مصالحهم فيها.

وفى نفس الوقت فإن وسائل الإعلام الغربية سعت إلى تفسير موضوع تصدير الثورة الإسلامية على النحو الذى تريده، ولقد قالوا فى تحليلاتهم: مثل هتلر وستالين فى النهاية، ولقد قصدوا بعرض هذا التحليل إلى أن يعلنوا على العالم- مع الأخذ فى الاعتبار نظرة الناس السلبية تجاه هتلر وستالين- إن هدف الإمام الخمينى من تصدير الثورة هو نفس الأمر الذى كان يسعى إليه هذان الزعيمان اللذان ينفر العالم منهما.

وكذلك فإن بعض الأنظمة السياسية فى المنطقة كانت تعتبر أن أى فكر جديد فى المنطقة يعد خطراً على حكوماتها، فاتخذت قراراً متسرعاً تحت تأثير هذه الدعاية، وصارت مع وسائل الإعلام الغربية فى نفس الاتجاه وأطلقت على تصدير الثورة ظاهرة مخيفة على مستقبل البشرية.

ولقد جعلت بعض هذه الأنظمة نظريتها فى حدود محلية، واعتبرت ان هدف الإمام الخمينى هو الهجوم الدينى فزعمت أن هدفه هو تشييع المسلمين السنة، أو بعبارة واحدة القضاء على المذهب السنى.

هل قام الإمام الخمينى بهجوم عسكرى على مكان ما من أجل تصدير الثورة؟ وهل كان هدفه القضاء على المذهب السنى؟

الإجابة على هذين السؤالين ليست أمراً صعباً لأن الجميع يعرفون أن جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية أو الحرس الثورى لم يقم بأى عمل عسكرى ضد أية دولة أخرى، بل كان يوجد فى لبنان لفترة وجيزة من أجل مساعدة اللبنانيين

والفلسطينيين فى حربهم ضد إسرائيل وتمثل ذلك فى عدد محدود من الخبراء العسكريين الذين قاموا بتدريب الفدائيين فى لبنان.

إن هدف الإمام الخمينى الذى كان يسعى إلى تحقيقه هو وحدة المسلمين لقد أعلن أنه على الرغم من بعض الذين كانوا يسعون إلى إقامة جمهورية شيعية إلا أن هدفه كان هو اقامة جمهورية إسلامية حيث كان يعرف أن الشيعة والسنة بينهما اختلافات فى بعض المسائل الفرعية، ولهذا فقد حذف بعضاً من آرائه وملاحظاته السابقة فى كتب مثل (تجريد الوسيلة) و(كشف الأسرار) بعد الثورة الإسلامية، وأمر الإيرانيين بإصرار أن يُصَلُّوا مع أهل السنة فى موسم الحج وفى الحرمين الشريفين، حتى أنه اعتبر أن القيام بمثل هذه الطقوس الشيعية الخاصة التى من الممكن ان تعود بالضرر على وحدة المسلمين (سواء الشيعة أو السنة) مبطلة للصلاة.

لقد كانت هذه خطوة عملية تجاه الوحدة الإسلامية وكانت دليلا على نيته الخالصة فى الدفاع عن الكيان الإسلامى، حتى عندما ذهبت إليه جماعة من أتباعه أوصاهم بأن يؤدوا الصلوات الخمس فى أوقاتها فى حين أنه كان يعلم أن الشيعة تجيز جمع الصلاتين وأنهم اعتادوا على ذلك، وقد تحدث الإمام الخمينى فى السنوات الأخيرة من عمره مرات عديدة عن الإسلام المحمدى الخالص بمعنى أنه كان يميل إلى الإسلام فى عهد الرسول حيث كان الإسلام لا يزال صافيا لا تشوبه شائبة، لقد كان يعرف أنه لو أن المسلمين وضعوا هذه المسألة نصب أعينهم فإن كثيراً من الاختلافات المذهبية سوف تتضاءل ولن يستطيع الاستعمار أن يشعل نيران الاختلافات العرقية والدينية بين المسلمين.

الحكومات العربية وإيران النووية

تعددت المواقف وردود الأفعال العربية حول البرنامج النووى الإيرانى حيث التزمت بعض الدول باتخاذ مواقف محايدة غير منحازة ضد أو مع إيران فى قضيتها النووية، والبعض الآخر اتخذ منحى سلبياً من هذه القضية حيث ابدت هذه الدول موقفها المعارض من استمرار ايران فى تبنيها لمشروعها النووى، وأمام هذه المواقف طرحت قضية المشروع النووى الإيرانى إشكالية المقارنة بين القدرات النووية العربية لنظيرتها الإيرانية وهو الأمر الذى يدفعنا لمراجعة التاريخ العربى الذى يشهد بأن العرب حاولوا مراراً امتلاك القدرات النووية منذ أكثر من نصف قرن ولكن النتيجة لم تسفر عن شيء، وذلك فى مقابل تلك الجهود الإيرانية التى استطاعت ان تحقق ما فشل فيه العرب.

لقد رعت الولايات المتحدة فى الستينيات الطموح النووى الإيرانى، وسكتت عن الشراكة الإيرانية الألمانية لإقامة البنية الأساسية للمفاعلات النووية.

وفى نفس العام الذى كانت مصر وسوريا والأردن تتلقى صدمة عسكرية أمام إسرائيل بسبب هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧، أسس الشاه مركز الأبحاث الذرية فى طهران بمفاعل نووى طاقته ٥ ميجاوات لأغراض البحث العلمى كنواة لإقامة مفاعلات تنتج ٢٠ ألف ميجاوات.

لم تفقد إيران مع الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ ستة مليارات دولار كانت دفعتها لشركة سيمنس الألمانية بسبب الحظر الأميركى فحسب، بل وباءت محاولتها بالفشل فى اللجوء إلى شركات أرجنتينية وألمانية وإسبانية لتطوير مفاعل بوشهر خلال عقد الثمانينيات بسبب الضغوط الأميركية والصهيونية، فضلا عن اندلاع

الحرب على الجبهة العراقية، وتعطل المشروع النووى الإيرانى حتى شرعت كلا من روسيا والصين فى دعم البرنامج النووى الإيرانى بدءاً من عام ١٩٩٠ وفى الوقت الذى قدمت فيه روسيا التقنيات الخاصة بالمفاعلات، قدمت الصين عام ١٩٩١ إلى طهران نحو ١٨٠٠ جرام من أنواع مختلفة من اليورانيوم المستخدم فى التخصيب.

وجاءت المعاهدة الروسية الإيرانية عام ١٩٩٥ لتضع كلمة نهائية فى التزام روسيا بإكمال مفاعل بوشهر بطاقة إنتاجية مقدارها ألف ميجاوات، على أن تزيد إلى ستة آلاف ميجاوات عند اكتمال المشروع العام ٢٠٢٠ (ما زلنا بعيدين عن رقم ٢٣ ألف ميجاوات الذى تستهلكه إيران من الطاقة سنويا).

ظل البرنامج النووى الإيرانى تحت المراقبة العادية حتى منتصف عام ٢٠٠٢ حين كشفت جماعة معارضة إيرانية فى باريس عن وجود أجهزة تخصيب يورانيوم لا تعرفها وكالة الطاقة الذرية فى كل من ناتانز وآراك.

ودخلت الأزمة منعطفها الأصعب بعد التأكد من اكتشاف إيران لخامات يورانيوم فى مناجم محلية فى مقاطعة يزد، ومنذ ذلك التاريخ ارتفع الملف الإيرانى إلى أعلى درجاته سخونة، وقد أدت تلك السخونة إلى مبالغات فى تصوير البرنامج النووى الإيرانى، وكأنه قد صار على بعد خطوة من إنتاج القنابل النووية.

ففى الوقت الذى تحتاج فيه إيران على الأقل إلى ثلاثة آلاف وحدة طرد مركزى، لتبدأ برنامجها العسكرى الفعلى لا نجد لديها اليوم سوى ٣٢٨ وحدة.

وإذا استعرنا التقييم الإسرائيلى الذى طرحته صحيفة هآرتس عن مثابرة إيران على برنامجها النووى "فإن هناك فرقا كبيرا بين أن تملك برنامجا نوويا ستقاتل للحفاظ عليه وألا تملك برنامجا على الإطلاق".

لا ينطلق حرمان العرب من التقنية النووية من مبررات الخوف على إسرائيل فحسب، ولا من مخاطر تقديم التقنية النووية لحكومات متسلطة تتنازعها جماعات المعارضة الإسلامية، بل السبب فى حقيقته هو عدم وجود إرادة عند العرب لا بل عدم وجود نية لإقامة مثل هذا المشروع لديهم.

ماذا يملك العرب؟

فى فبراير ٢٠٠٥ قدم ١٥ عضوا فى الكونجرس الأميركى خطابا إلى وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس بهدف التحقق من تقارير تفيد استعادة البرنامج النووى المصرى لنشاطه، وبداية البرنامجين السورى والسعودى أبحاثهما النووية بتقنيات قدمها العالم الباكستانى عبد القدير خان.

البرنامج المصرى أثار الانتباه، بعد قيام وكالة الطاقة الذرية مطلع ٢٠٠٥ بالتفتيش على المفاعلات النووية التى يعود تاريخ إنشائها إلى مطلع ستينيات القرن الماضى.

وعلى الرغم من تداول وسائل الإعلام الغربية والإسرائيلية عام ٢٠٠٥ لوجود "مؤشرات" على طموحات نووية مصرية، فإن شيئا جديا لم يثبت بشأن العمل فى هذا البرنامج الذى اعترفت أوساط علمية مصرية عديدة بأنه قد وضع فى "البراد" منذ أمد طويل.

كل ما تملكه مصر مفاعل سوفياتى بطاقة ٢ ميجاوات ومفاعل أرجنتينى بطاقة ٢٢ ميجاوات، أما المفاعل الكبير الذى جاهدت مصر لإقامته فى منطقة الضبعة غربى الإسكندرية قبل ١٥ سنة فقد وئد قبل أن يتم أيامه الأولى بسبب الضغوط الدولية.

وبالنسبة لسوريا فليست هناك تواريخ دقيقة لبدء الطموح السورى تجاه السلاح النووى، وكل ما تملكه دمشق هو مفاعل للأبحاث النووية بطاقة مقدارها ٣٠ ميجاوات ويخضع لمراقبة وكالة الطاقة الذرية بشكل دورى.

المعلومات التى تروجها إسرائيل حول الطموح السورى لامتلاك سلاح نووى، تنحصر فى اتهامات بإخفاء برنامج نووى تحت قناع محطات تحلية المياه بتقنية روسية.

وقد أقامت إسرائيل الدنيا يوم أعلنت روسيا فى يناير ٢٠٠٣ أنها ستبنى على ساحل البحر المتوسط السورى محطة كهرباء نووية ومحطة تحلية مياه تدار بالطاقة النووية، وقد نجحت إسرائيل فى إقناع موسكو بإلغاء المشروع.

وإذا كان البرنامجان العربى والإيرانى قد انطلقا سويا فى عقد الخمسينيات، فقد اختلف مسارهما، وتوقفت الخطى بالمشروع العربى رغم أن نظيره الإيرانى لم يكن فى مأمن من الحروب والنزاعات والثورات الداخلية والصراع مع جماعات المعارضة ولا نجا من الضغوط الدولية، لكن الواضح أن الإدارة الأميركية دأبت على تخويف الدول العربية بحيث لا يبقى من الخيارات سوى أكثرها سوءا وهو اللجوء إلى الحماية الدولية أمام الخطر "الفارسى الشيعى" وهذا المسمى يحمل ازدواجية عرقية مذهبية كفيلة بإسكات الأصوات التى قد تعترض على لجوء بعض الحكومات الخليجية إلى غطاء دولى بالانضمام إلى حلف الناتو على سبيل المثال.

ماذا تبقى لدول الخليج؟

مع إعلان أحمدى نجاد امتلاك بلاده للتقنية النووية أعادت «دورية أتلاتنتك» نشر دراسة كانت قد اعدتها فى سبتمبر/أيلول ٢٠٠٤ استشارت فيها جنرالات

سابقين من البنتاجون لبحث ما أسمته الرد الأميركى المناسب على التهديد النووى الإيرانى لدول الجوار.

ووصلت الدراسة إلى أن الولايات المتحدة ليس فى مقدورها توجيه ضربة قاصمة إلى إيران لأن الأخيرة استفادت من الدرس العراقى، وقامت بتوزيع قدراتها النووية على مساحة جغرافية أوسع وفى أماكن محصنة يصعب حصرها.

كما أن تعاطف شيعة العراق مع إيران سيوقع الجيش الأميركى فى ركن من أركان جهنم إذا ما ضربت إيران.

هناك أربعة خيارات لمواجهة البرنامج النووى الإيرانى، أولها وأكثرها بساطة الاستمرار فى الحالة التى تعيشها هذه الدول الآن وهو ما يمكن تسميته خيار الارتباك وإغماض العين عما يدور.

وقد أعلنت السعودية أنها ليست قلقة من البرنامج النووى الإيرانى طالما التزم جوانبه السلمية، بينما تخشى دولة الإمارات أن يؤدى وصول إيران إلى السلاح النووى إلى إغلاق ملف الجزر الثلاث إلى غير رجعة.

وتعيش دولة مثل البحرين على جمر الخوف من اندلاع فتنة طائفية بين الشيعة والسنة، وتعانى الهوية الوطنية فيها من مخاض البلورة بعد ٣٥ سنة من تشكيل الدولة، وتختلف فيها التوجهات تجاه البرنامج النووى الإيرانى بين ما هو رسمى خائف من الطموحات الإيرانية التوسعية، وما هو شعبى سعيد بأغلبيته الشيعية، بما حققته إيران.

ليس هناك إذن فى خيار الارتباك والخوف وإغماض العين إلا مزيد من المكاسب لصالح إيران التى لم تنس بعد أن التاريخ العسكرى للإقليم حديث للغاية، وأن القدرات الديموغرافية جد متواضعة.

فى المقابل يحتاج الخيار الثانى، أى تبنى برنامج نووى متكامل؛ إلى طريق علمى طويل وفترة قد لا تقل عن ثلاثة أو أربعة عقود بين مد وجزر مع القوى الدولية.

وهذا الطريق لا توجد له حتى الآن أية علامات، ولا تؤشر عليه أية قواعد من بنى أساسية، حتى فى أكثر دول المنطقة سكاناً وأوسعها مساحة.

الخطأ الذى يرتكب فى تهيئة العقل العربى لرفض هذا الخيار يكمن فى مزايدة بعض الكتاب العرب على أننا دعاة سلام، ولسنا ممن يجلب الدمار على البشر بالرد على إسرائل بامتلاك السلاح النووى.

وهذا خطأ أقل ما يقال عنه إنه يستغفل العقل ويدلس عليه بل ويغرقه فى خرافات باسم السلام، ولا يبقى من الخيارات سوى أكثرها سوءا وهو اللجوء إلى الحماية الدولية أمام ما يروجه الإعلام الصهيونى حول الخطر "الفارسى الشيعى" وواقع الحال أن الإدارة الأميركية أدت دورها فى إرهاب الدول العربية تجاه طموحات إيران النووية، لكن إيران كانت أذكى فقد مارست ديبلوماسية الطمأنة وبث الثقة من خلال زيارات قام بها قادة إيرانيون بدءاً من الرئيس أحمدى نجاد وحتى على لاريجانى أمين عام المجلس القومى الإيرانى وكبير المفاوضين الذى زار مصر وألتقى مبارك وعمرو موسى وأكد على نقطة هامة هى ضرورة التعاون النووى العربى الإيرانى، وجدد رفض بلاده امتلاك قنبلة نووية، ودعا إلى تعاون شامل لاسيما فى المجال الاقتصادى والتنموى، وإحباط المخططات الأميركية الصهيونية السوداء التى تحاك ضد المنطقة، وبخاصة إثارة ما يسمى التهديد الشيعى الفارسى.

الفصل الخامس

جبهة عالمية

من فقراء العالم وثواره ضد الإمبريالية والهيمنة الأميركية

(نصادق من يصادقنا.. ونعادى من يعادينا) هذا هو الشعار الذى رسمه لدولته الرئيس أحمدى نجاد منذ توليه السلطة فى طهران، ففى الوقت الذى وجه فيه الرئيس انتقادات لاذعة إلى الغرب لم يستثن منها الاتحاد الأوروبى، فإنه يوجه تحية تقدير مشفوعة بقرار خطير حول بيع النفط بأسعار رخيصة للدول النامية، وفى حين قال أحمدى نجاد فى خطابه أمام مجلس الشورى الإيرانى (البرلمان) إن: الأوروبيين لا يتجاهلون حقوقنا المشروعة فحسب، بل يسعون لإدانتنا فى المنظمات الدولية، فقد اقترح فى المقابل أن تقدم الدول المنتجة للنفط ولا سيما بلدان منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبيك) بأسعار منخفضة إلى الدول الفقيرة، ودعا إلى تخصيص حصة نفطية بأسعار تفضيلية للمستهلكين الفقراء وأضاف (نقترح لذلك إنشاء صندوق تضع فيه الدول المنتجة جزءا من فائض إنتاجها النفطى للتعويض عن الضغوط التى تتعرض لها الدول الفقيرة بسبب ارتفاع أسعار النفط).

وعلى هذا النهج فقد سار نجاد نحو نصرة الفقراء والمظلومين حول العالم محفزا بذلك بعض الدول التى تنتهج نهجا ثوريا رافضا للهيمنة الأميركية إلى الاتحاد من أجل تكوين جبهة عالمية ضد الإمبريالية والهيمنة الأميركية، مستعينا فى ذلك بخبرات ومواقف بعض دول أميركا اللاتينية التى كانت لها مواقف معارضة لأميركا، لذا فقد سعى لتعزيز العلاقات بين بلاده وكل من كوبا وفنزويلا والصين وكوريا الشمالية وروسيا، وقام بالفعل الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد بدعوة كافة الدول المستقلة إلى تشكيل جبهة مشتركة لمحاربة الإمبريالية العالمية وقد وضحت محاولاته لتحقيق ذلك من خلال تبادله الرسائل والاتصالات والزيارات مع قادة ورؤساء وزراء تلك الدول، وكانت أبرز هذه

الاتصالات الهاتفية التى أوضحت فاعلية جهوده لتكوين هذه الجبهة، اتصاله بالزعيم الكوبى فيدل كاسترو حيث أكد خلاله على «أن الشعب الإيرانى سيصمد من أجل نيل حقوقه المؤكدة»، معربا عن أمله فى أن تتخذ خطوات كبيرة فى مؤتمر قمة حركة عدم الانحياز القادمة والتى ستعقد فى كوبا باتجاه تحقيق أهداف هذه الجبهة، معلنا استعداد الجمهورية الإسلامية الإيرانية لتقديم أى دعم لإنجاح القمة، وأعلن فى جانب آخر من اتصاله مع كاسترو استعداد إيران للمزيد من تمتين العلاقات مع كوبا وسائر دول أميركا الجنوبية بما فيها فنزويلا وبوليفيا لا سيما فى المجال الاقتصادى والاجتماعى.

أما الرئيس الكوبى فيدل كاسترو فقد أكد استعداد بلاده التام لدعم الشعب الإيرانى من أجل نيل حقوقه المسلم بها معتبرا أن الدفاع عن حقوق الشعب الإيرانى فى المجالات الدولية المختلفة هو واجب يقع على عاتق كوبا، وقال: «نرى أن الرأى العام العالمى يقترب يوما بعد يوم من الموقف الإيرانى».

دول عدم الانحياز تؤيد إيران

لقد اتسعت رقعة الأنظمة والشعوب المؤيدة لموقف إيران فى امتلاك تكنولوجيا نووية سلمية خاصة بين دول العالم الثالث، أو حركة عدم الانحياز، وكان لافتا أنه بمقدار حرص الولايات المتحدة على حشد تأييد ودعم أوروبى لموقفها ضد إيران، فإن إيران سعت إلى توضيح موقفها إلى الرأى العام العالمى، وإلى الحكومات الصديقة خاصة، وقد ركزت على كشف الأسلوب الاستعمارى الإمبريالى الذى

يعتمد على الكيل بمكيالين، ففى حين يغض الطرف عن امتلاك إسرائيل لقنابل نووية تهدد الاستقرار والسلم فى الشرق الأوسط، فإن الغرب الإمبريالى يواصل الضغط على إيران من أجل تجريدها، ومنعها من امتلاك تكنولوجيا نووية رغم أن هذا من أبسط حقوقها.

وفى هذا السياق نشطت الديبلوماسية الإيرانية تجاه كتلة عدم الانحياز لتفعيل دورها الدولى وجاء الرد سريعا عندما أعلن ممثلو دول حركة عدم الانحياز فى الوكالة الدولية للطاقة الذرية تأييدهم لإيران فى المواجهة مع الغرب بشأن برنامجها النووى، قال ممثلو الحركة إن وزراء خارجية دول عدم الانحياز وعددها ١١٤ دولة سيؤيدون حق إيران فى الحصول على التقنية النووية خلال الاجتماع القادم للوكالة.

جاء تصريح ممثلى عدم الانحياز فى فيينا على هامش اجتماع للأمم المتحدة حيث رفضوا خلاله دعوة أمريكية إلى دعم الجهود الأمريكية والأوروبية الرامية إلى إقناع إيران بوقف برنامج تخصيب اليورانيوم.

وتخشى دول عدم الانحياز أن يشكل حرمان إيران من برنامجها النووى لإنتاج الطاقة سابقة تطبق على دول أخرى من دول عدم الانحياز النامية فى المستقبل.

وحول طبيعة التفاعلات السياسية التى جذبت إيران للتقارب الكبير مع كل من فنزويلا وكوبا والصين وروسيا، وهى العلاقات التى تسببت فى مخاوف أمريكية من تشكيل جبهة عالمية ضد الإمبريالية والهيمنة الأمريكية وذلك على أنقاض حركة عدم الانحياز، وأمام هذه العلاقات فقد تفاقمت، فى الآونة الأخيرة، مخاوف الإدارة الأمريكية من تصاعد وتيرة التقارب والتعاون الإيرانى- الصينى- الفنزويلى، خاصة على الصعيد النفطى، ودلالاته، وما يتضمنه من تهديدات

للأمن القومى الأمريكى. برز ذلك جلياً فى فبراير ٢٠٠٥، عندما أرسلت فنزويلا فريقاً من خبراء التداول فى النفط ومشتقاته إلى العاصمة الإيرانية لتلقى تدريب من خبراء التسويق والتجارة النفطية الإيرانية، والاستفادة من الخبرة الإيرانية فى اقتحام أسواق القارة الآسيوية، لاسيما الصين، وليس بخاف أن فنزويلا التى هى خامس منتج نفطى فى العالم تحاول تنويع أسواق الاستيراد وتقليل الاعتماد على سوق الولايات المتحدة، وعليه تبدى فنزويلا اهتمامها بالصين كسوق لنفطها ومصدر استثمارى وحليف سياسى، من زاوية أخرى، تعتبر الإدارة الأمريكية مثل هذا التقارب استفزازاً لها، حيث يساور واشنطن القلق بخصوص التوجهات والنيات والمخططات الصينية فى أمريكا اللاتينية عبر البوابة الفنزويلية، وفى السياق ذاته يشكل تنمية وتحسين العلاقات الإيرانية - الفنزويلية أكثر المسائل إزعاجاً للإدارة الأمريكية، خاصة أن التعاون النفطى الثنائى يتم على حساب الشركات الأمريكية التى حرمت من مشاريع الطاقة الإيرانية المغرية نتيجة المقاطعة الاقتصادية المفروضة على إيران، لأسباب سياسية.

ولمزيد من التوضيح لخصوصية هذه العلاقات التى تجمع ما بين كل من إيران من جانب وفنزويلا والصين تحديدا باعتبارهما شريكين اساسيين لإيران فى الاتجاهات المعارضة للسياسة الأمريكية وباعتبارهما شركاء مع ايران فى الكثير من المشاريع الاقتصادية والتنموية المهمة، نشير إلى الآتى:

أولاً: تفاعلات العلاقات الإيرانية - الفنزويلية:

تراقب الإدارة الأمريكية حالة تصاعد وتنامى العلاقات الإيرانية - الفنزويلية، رغم العراقيل والمشكلات، إلا إنها تمضى قدماً نحو تحقيق التنمية والتنسيق

وتمتين الأواصر بين الشعبين. وقد أعلن الرئيس الفنزويلى شافيز صراحة، بأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تمثل نموذجاً لبلاده، وعبرت القيادة السياسية فى البلدين عن رغبتها فى العمل المشترك لدعم استقرار أسعار النفط الخام فى السوق النفطية.

ومنذ وصول شافيز إلى سدة الحكم عام ١٩٩٩، وفى عهد الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد، تعددت اللقاءات الديبلوماسية والاقتصادية ومن ثم تنوعت مجالات التعاون. ولعب النفط دوراً محورياً فى تنمية هذه العلاقات، لاسيما أن فنزويلا الغنية بالنفط تمتلك موقعا جيدا فى أمريكا اللاتينية كما أن إيران تمتلك موقعا استراتيجيا ومهما فى الشرق الأوسط.

كما أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية ونظراً للإمكانيات والطاقات الكثيرة التى تتمتع بها فى مختلف المجالات، لاسيما فى القطاع الزراعى، بمقدورها دعم عملية التنمية والتطور فى كثير من البلدان، وفى مقدمتها فنزويلا. وتجسيداً عملياً، أبرم البلدان أكثر من ٣٠ وثيقة تعاون، تنفذ قريباً تتجاوز ٧٠٠ مليون دولار، فى مجال بناء ١٠ آلاف وحدة سكنية وإنشاء محطة معلومات جيولوجية والتعاون فى مجالات النفط والغاز والبتروكيمياويات واتفاق تجنب الضرائب المزدوجة والاستثمار المشترك والتجارة البحرية.

وقررت إيران نقل التكنولوجيا إلى فنزويلا، بما فى ذلك افتتاح مصنع للجرارات فى هذا البلد باستثمار مشترك بين البلدين وتشارك إيران بنسبه ٥١٪ بالمائة وباستثمار يبلغ ٣٣٠ مليون دولار وتبلغ الطاقة الإنتاجية لهذا المصنع ٥٠٠٠ جرار زراعى سنوياً، وستبلغ عائدات إيران من هذا المصنع ما بين ٥٠ إلى ١٢٠ مليون دولار سنويا إزاء تصدير قطع الجرارات إلى فنزويلا. وبالإمكان توقع قيام

تجارة مثلثة تتضمن تزويد كراكاس زبائن إيران بالنفط فى أمريكا اللاتينية مقابل قيام طهران بإمداد زبائن كراكاس بالنفط فى آسيا، نظراً لأهمية قرب إيران من أسواق ذات طلب متزايد كالهند والصين وأعلن الرئيس أحمدى نجاد إطلاق برنامج لاستثمار ٩ مليارات دولار فى فنزويلا وهو أكبر برنامج استثمارى لإيران خارج حدودها، وتجسد المردود السياسى لهذه القفزة النوعية للعلاقات فى مواجهة الحرب الإعلامية التى تشنها الإدارة الأمريكية ضدهما، وتأكيد حق إيران، الذى لا جدال فيه فى استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية ورفض احتكار عدد من الدول بهذا الخصوص، مع التأكيد على أن البلدين ليسا لديهما أى برنامج سرى لبناء اتحاد استراتيجى ضد دولة أخرى، أو المساس بمصالح بلد آخر، وأن التضامن بين إيران وفنزويلا ليس موجها ضد أى بلد، بل إن التعاون بينهما يخدم مصالح شعبيهما، ويمكن أن يكون مثالا يحتذى بالنسبة لتعاون دول الجنوب - جنوب، مع انتقاد السياسات الأمريكية المزدوجة تجاه القضايا المختلفة، حيث أن جذور العنف والإرهاب وانعدام الأمن يعود إلى النظرة الأمريكية المزدوجة وتقسيم البشرية إلى البشر الأمريكى وغير الأمريكى.

ثانياً : التفاعلات الإيرانية - الصينية:

يحتل النفط مكانة مركزية فى العلاقات التبادلية بين الصين وإيران. ويتقاسم البلدان الهواجس والقلق إزاء تزايد النفوذ الأمريكى فى آسيا الوسطى ولديهما مشكلات وأزمات مع الإدارات الأمريكية المتعاقبة، ويتبادل البلدان زيارات قمة ورغبة فى التعاون فى مجالات الغاز والصناعات النفطية وقطاع البتروكيماويات، والبنية التحتية لخطوط الأنابيب وإنشاء طرق سريعة وأنفاق مشاة، وتواصل الصين تدعيم إيران بتكنولوجيا الأسلحة الصينية، فى ظل معادلة

النفط الإيراني في مقابل التكنولوجيا والتجهيزات العسكرية، وهى المعادلة المسيطرة على التوجه الخارجي الإيراني، من ناحية، وما تحتله وتلعبه التكنولوجيا من دور هام في السياسة الخارجية، خاصة في الحالة الإيرانية، من ناحية أخرى، على الجانب المقابل، تتضح حقيقة أن الدبلوماسية والمواقف السياسية الصينية معطرة برائحة النفط، حيث تنتهج الصين ما يعرف بدبلوماسية النفط التي ترمى إلى توثيق العلاقات مع الدول النفطية التي يتم استيراد النفط منها، وتتمركز هذه الدبلوماسية حول جيران الصين، ومن الأهمية بيان أن سياسة الاحتواء المزدوج والمقاطعة التي فرضتها الإدارة الأمريكية ضد إيران، والتجاوب الذي أبدته الدول الغربية في تنفيذها، كانت سبباً رئيسياً في نمو العلاقات الاقتصادية والعسكرية بين إيران والصين خلال الأعوام الثلاثة والعشرين الماضية، خاصة حين بدأت العقوبات الاقتصادية الأمريكية على إيران منذ عام ١٩٩٦، من خلال قانون داماتو، وكان العامل الحاسم هو صعوبة حصول إيران، خاصة بعد قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، على التكنولوجيا فائقة الحساسية التي تدخل في صناعة المفاعلات وتوليد الكهرباء وإنشاء السدود والصناعات الكيماوية والتكنولوجية.

وتحرص إيران على إقامة علاقات سياسية واقتصادية استراتيجية مميزة مع الصين التي كانت إحدى أهم الدول التي زودتها بالأسلحة خلال حربها مع العراق (١٩٨٠-١٩٨٨). وظلت الصين، بما يتوافر لها من خبرات، خلال العقدين الماضيين، المصدر الرئيسي لتكنولوجيا الصناعات الكيماوية والإلكترونية حيث ارتفع التبادل التجاري بين إيران والصين في عام ٢٠٠١، إلى ما يقرب من ٣,٣ مليار دولار، متضاعفا أربع مرات خلال السنوات من ١٩٩٨ - ٢٠٠١، على الرغم من

أن دوائر غربية ترى أن هذا الرقم لا يشتمل على قيمة المعدات العسكرية التى تدعى الدول الغربية أن الصين باعتها إلى إيران.

وتبرز دلالة توقيع البلدين لاتفاق طاقة عملاق يمتد لمدة ٢٥ عاماً، فى أكتوبر ٢٠٠٤، بقيمة ١٠٠ مليار دولار، تزود بموجبه إيران الصين بالغاز المسال، LNG والنفط، وتتولى مجموعة سينوبك الصينية تطوير حقل يداوران الإيرانى العملاق للنفط جنوب غرب البلاد، والذى تقدر احتياطياته بنحو ثلاثة مليارات برميل، تشترى الشركة الصينية بموجب مذكرة التفاهم ٢٥٠ مليون طن من الغاز المسال على مدى ما بين ٢٥ - ٣٠ سنة من إيران.

إضافة إلى اتفاق آخر لبناء مصفاة تكثيف غاز فى مدينة بندر عباس، جنوب إيران، فى غضون السنوات الثلاث التالية. ومما لاشك فيه أن مثل هذه الاتفاقات تأتى فى وقت تبرز فيه الحاجة الإيرانية الماسة للاستثمارات الخارجية، لاسيما بعد بروز تباطؤ وتيرة الاستثمارات الغربية فى صناعة النفط الإيرانية. وتعول إيران، بصفة خاصة على تنمية وتطوير علاقاتها التاريخية مع الصين، لاعتبارات سياسية واقتصادية، ومزيد من التقارب لمصلحة البلدين، وتعزيز التعاون المشترك، وعليه تعد إيران حاليا ثانى أكبر مصدر للنفط للصين حيث تؤمن ١٤٪ من النفط الصينى المستورد من الخارج، وتشارك الشركات النفطية الصينية فى الاستثمار بالمشاريع النفطية فى إيران. وتدرك القيادة الإيرانية حقيقة مركزية النفط فى المشروع التنموى الصينى، وليس من قبيل المبالغة أن يتفق فريق من المراقبين على أن تعطش الصين للنفط هو البذرة الأولى للحرب العالمية القادمة، من منظور أن الصين بلد يعيش فيه ما يربو على المليار و٣٠٠ مليون نسمة، ويمتلك اقتصاداً مزدهراً واستثنائياً بمعدل نمو سنوى، متواصل، وغير مسبوق ما

بين ٩ - ١٠٪، وبالتالى باتت الصين تعتمد اعتماداً متزايداً على النفط المستورد. ففى الوقت الذى تبلغ فيه احتياطيات الصين النفطية المثبتة قرابة ١٨ تريليون برميل ، فإن وارداتها النفطية تشكل ثلث استهلاكها للنفط الخام. ورغم أن الصين استطاعت القيام باكتفاء ذاتى فى النفط لعقود طويلة، فإن ضغوط النمو الاقتصادى والأداء السيئ لشركات النفط الحكومية دفعا الصين إلى الاستيراد النفطى لأول مرة من الخارج عام ١٩٩٣وتزايد هذا الاعتماد ليتخطى حجم المستورد منه فى عام ٢٠٠٠ الـ ٦٠ مليون طن (بقيمة ١٤,٩ مليار دولار أمريكى)، فضلا عن ١٦٥ مليون طن هى حجم الإنتاج المحلى بسبب تنامى حركة التصنيع فى الصين اعتمادا على القطاعين العام والخاص لا سيما التصنيع الثقيل والحربى، ويفرض هذا التعطش الصينى للنفط ولوج مناطق لم تكن فى دائرة اهتمام السياسة أو مناطق أخرى لها تاريخ من الأزمات مع الصين، وفى ضوء حقيقة أن الصين ستصبح أحد أكبر ثلاثة اقتصادات فى العالم خلال نصف قرن على أكثر تقدير، كما أن التوسع الاقتصادى وتزايد وتطور حركة التصنيع والتوسع فى برنامج صواريخ الفضاء ونمو الاستهلاك المحلى فى أكبر سوق داخلية فى العالم قد دفع حجم الطلب على النفط والغاز إلى التزايد، وهو ما سيجعل الصين فى المستقبل المنظور مستهلكاً رئيسياً للنفط فى العالم، ويوجب اهتماما بعلاقتها مع الدول النفطية، والمسألة الأكثر أهمية هى تزايد القلق الأمريكى من أن مثل هذه التعاملات النفطية بين الصين وإيران، يمكن أن تدفع الصين لتقديم حماية دبلوماسية لإيران فى أزمة الطموحات والبرنامج النووى الإيرانى، وتؤيد الصين قرار مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشأن المسألة النووية الإيرانية الذى يتوافق مع قناعة الصين بأهمية حل سلمى

للأزمة فى أقرب وقت ممكن وداخل إطار الوكالة والذى سيفيد فى تعزيز الآلية الدولية لمنع الانتشار النووى، وضمان حقوق الدول المشروعة فى استغلال الطاقة النووية استغلالاً سلمياً تحت المراقبة المضمونة.

وتتواصل الصين، ومعها روسيا فى معارضة المساعى الأمريكية الرامية لإحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن الدولى، اقتناعاً بأن مثل هذا الإجراء من شأنه أن يؤدى إلى مزيد من تعقيد الأزمة وجعل تسويتها أكثر صعوبة، لاسيما وأن الصين تثمن عالياً التعاون الإيرانى مع الوكالة وتصفه بأنه إيجابى، وتهدد بإمكانية استخدام حق النقض (الفيتو) ضد أى قرار يستهدف إيران.

وفى التحليل الأخير، تتجسد حقيقة المخاوف الأمريكية من تنامى هذه العلاقات والتقارب النفطى بين مثلث يضم دولاً ذات مكانة وأهمية استراتيجية تتعارض، وأحياناً تتصادم توجهاتهم السياسية مع المصالح الأمريكية. يزيد الأمر صعوبة محدودية الخيارات أمام صناع القرار الأمريكى، مما يفاقم من الوضعية المتأزمة للسياسة الخارجية الأمريكية، حتى وإن حاولت أو تعمدت الإيحاء بخلاف ذلك!!

الدبلوماسية الشعبية

قد دشنت إيران فى عهد الرئيس أحمدى نجاد منهج الدبلوماسية الشعبية لتكون استراتيجية سياسية خارجية لها عند التعامل مع شعوب العالم، فسعت إلى دعوة الوفود والهيئات المختلفة من الدول الإسلامية وغيرها من دول العالم، للمشاركة فى الندوات والمؤتمرات التى تعالج الأمور الإسلامية عامةً أو الأمور

الخاصة بإيران مثل احتفالات الثورة، وكذلك دعوة المهتمين بثقافة إيران وتاريخها ولغاتها من جميع دول العالم وأن تقوم السفارات الإيرانية فى الدول المختلفة بإقامة الاحتفالات والندوات ذات الطابع الدينى والسياسى متى سمحت ظروف تلك البلدان.

وفى هذا الإطار فقد تم تخصيص عدد من الجوائز لأعلام المهتمين باللغة الفارسية وحضارة إيران، وإقامة الاحتفالات فى بلدان هؤلاء الأعلام.. كما يحدث بالقاهرة منذ عام ١٩٦٣ وحتى الآن حيث يتم منح أحد أساتذة اللغة الفارسية جائزة مالية وشهادة تقدير وسط احتفال مناسب، وتكرر ذلك فى بلدان كثيرة.

وقد أقامت إيران أيضا رابطة للقائمين على تدريس اللغة الفارسية فى بلدان العالم المختلفة مقرها طهران يشارك فيها ممثلون من بلدان العالم المختلفة والعمل على مواصلة ما كان موجودا فى التراث الثقافى الإيرانى من استضافة وفود من الدارسين والأساتذة وإمدادهم بالكتب والدورات، وإقامة اتفاقيات بين المكتبات الإسلامية فى إيران ومكتبات خارج إيران، وتلك سياسة لها مردودها الإيجابى على الطرفين مما يساهم فى خلق ثقافة مشتركة إسلامية أو إنسانية، تسمح بالتبادل الفكرى والحضارى مع الشعوب المختلفة.

إيران وكوريا الشمالية
منهج المقاومة

تسلك إيران نفس الأسلوب الكورى فى أزمتها النووية مع أميركا والدول الغربية ومجلس الأمن حيث رفضت الإذعان لوكالة الطاقة النووية، وأعلن

مديرها البرادعى أكثر من مرة أن الوكالة فشلت فى التوصل إلى الحقيقة فى الملف النووى الإيرانى، وجاء الرد الإيرانى على التهديدات الأمريكية والاستفزازات الإسرائيلية عنيفا وذلك بالإعلان عن تجربة أسلحة جديدة، حيث نجحت إيران فى اختبارات طوربيد لا يكتشفه الرادار ويمكنه إصابة أى هدف بحرى سواء كان غواصة أو سفينة حربية أو أى نوع منها، وهو ما صرح به الأميرال على فاداى نائب قائد سلاح البحرية للحرس الثورى الإيرانى.

وقال هذا المسئول الكبير: إن إيران تعد ثانى دولة فى العالم تمتلك هذا السلاح الفتاك بعد روسيا التى طورت عام ١٩٩٥ الصاروخ (شكفال) ولقد نجحت تجربة الطوربيد الإيرانى المعلن عنه خلال المناورات التى أجريت فى الخليج وبحر العرب فى استعراض إيران لقوتها البحرية خاصة وأن إيران تطور نوعا آخر من الصواريخ باسم (كوسار) وهو من الصعب اكتشافه بواسطة أجهزة الرادار الحديثة والمتقدمة وهو مصمم لإغراق السفن فى الخليج وبحر العرب.

وسبق أن نجحت إيران فى تجربة إطلاق صاروخ بالستى وصفه عسكريون فى إيران أنه قادر على خداع أجهزة الرادار ويستطيع إصابة أى هدف بل عدة أهداف فى آن واحد وبدقة متناهية، وفى نفس الوقت يمكن لهذا الصاروخ حمل رؤوس نووية لضرب أهداف وصل مداها إلى نحو (٢٠٠٠كم) ويمكن الوصول إلى العمق الاستراتيجى الإسرائيلى هذا الصاروخ هو (فجر ٣) إلا أن كلا من أمريكا وإسرائيل سارعتا بالتنديد بهذه التجربة الإيرانية والتشكيك فى أهدافها وفى نفس الوقت طالبتا المجتمع الدولى بزيادة الضغط على طهران لمنعها من تنفيذ برنامجها النووى الذى يصفونه بالعدوانية.

روسيا.. عداوة وشراكة تاريخية

تحظى العلاقات الإيرانية الروسية بخصوصية شديدة، حيث شهدت علاقات البلدين دائما وعبر التاريخ نوبات من المد والجذر، فمن الاحتلال القيصرى الروسى للأجزاء الشمالية من إيران فى القرون الوسطى مرورا بشبه الهيمنة والسيطرة الروسية على مقدرات الأمور فى إيران، قبل الدولة القاجارية، وصولا إلى العداء الكامل فى أيام الدولة البهلوية، ثم التحول التاريخى لعلاقات طيبة ووثيقة بين البلدين بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران فى عام ١٩٧٩، وهى العلاقة التى تميزت بالتوافق فى الكثير من القضايا المشتركة، ولعل العداء لأميركا كان العامل المشترك بين البلدين طوال فترة الحرب الباردة فى أثناء الثمانينيات وبعدها بعدما تفككت الجمهوريات السوفيتية، حيث أضحت كل من إيران وروسيا ينظران إلى بعضهما البعض كشريكين رئيسيين يصعب شق صفوفهما.

وتزخر العلاقات الإيرانية- الروسية بالكثير من نقاط التميز فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية على وجه الخصوص، حيث إن روسيا بالنسبة لإيران هى الداعم والمساند الأول لها فى كافة القضايا، وإيران بالنسبة لروسيا هى أرض الاستثمار الخصبة الأولى لها فى كافة القطاعات النفطية والزراعية.

كما تمثل كل من إيران وروسيا ثنائياً اقتصادياً جيداً ومتناغماً، فمثلا نجد أن أغلب إمدادات النفط التى تحتاجها موسكو آتية من طهران، وعلى العكس فإن أغلب إمدادات الأسلحة الحديثة التى تحتاجها طهران آتية من موسكو، وهكذا

نجد أن حجم التبادل التجارى بين البلدين يبلغ أكثر من ٢٠ مليار دولار مع ميل قليل فى ميزان التبادل التجارى بين البلدين إلى روسيا.

وعن المجال السياسى، فإن روسيا تقوم بدور حيوى فى مساندة إيران فى مشروعها النووى، حيث قدمت لها وللترويكا الأوروبية وللوكالة الدولية للطاقة الذرية العديد من المبادرات للخروج من نفق الضغوط والتهديدات الأميركية، وهى تعترف بحق إيران الكامل فى امتلاك التكنولوجيا النووية ،وتقف فى مجلس الأمن ضد أى محاولات لفرض مشروع قرار لعقاب إيران، وغير ذلك من لعب فى كواليس السياسة الدولية التى تحاول روسيا من خلاله مساندة إيران إلى آخر مدى بما فى ذلك الاقتراح الذى قدمته روسيا بإجراء التخصيب النووى فى أراضيها لمصلحة طهران، وهو الاقتراح الذى لم يلق قبولا إيرانيا.

وكان الناطق باسم الحكومة الإيرانية (غلام حسين الهام) قد أعلن أن بلاده مصممة على مواصلة نشاطات تخصيب اليورانيوم على أراضيها فى إطار قوانين الوكالة الدولية للطاقة الذرية وتحت إشرافها، نافيا ما تردد عن موافقة إيران على نقل عمليات التخصيب إلى الأراضى الروسية، فيما شدد على ضرورة عودة الملف الإيرانى إلى الوكالة الدولية (إذا أراد المجتمع الدولى حل الأزمة).

وزاد أن بلاده لم تناقش مع موسكو خطط التخلى عن تخصيب اليورانيوم على أراضيها والحديث عن نقل نشاطات التخصيب إلى روسيا خاطئ، فالتخصيب فى إيران سيستمر.

وعلقت مصادر مطلعة فى مجلس الأمن القومى الإيرانى على المحادثات التى أجراها سكرتير مجلس الأمن القومى الروسى (ايجور ايفانوف) ومساعد وزير الخارجية (سيرجى كيسلياك) مع كبير المفاوضين النوويين الإيرانيين (على

لاريجانى) وأكدت أنها (كانت مثمرة وجيدة، وركزت على تبادل وجهات النظر حول الاقتراح الأوروبى عشية تقديمه إلى إيران).

وأضافت المصادر أن الجانب الروسى ركز فى محادثاته على موقف إيران من تفاصيل الاقتراح والاعتراضات عليه، إضافة إلى إمكان أن توافق إيران على تأسيس (كونسورسيوم) غربى فى روسيا بمشاركة أوروبية إلى جانب روسيا وإيران والصين كما كان قد بحث فى سبل استئناف الحوار الإيرانى مع الترويكا الأوروبية إذا أفضت المحادثات عن اتفاق.

ولمحت موسكو إلى استعداد (الستة الكبار) لضمان احترام حق إيران فى الاستخدام السلمى للطاقة النووية فى حال التزامها بتعهداتها الدولية، وقدمت إجابات وافية على الأسئلة العالقة لدى الوكالات الدولية.

ولمح وزير الخارجية الروسى (سيرجى لافروف) إلى (مكاسب) على الصعيدين الدولى والإقليمى ستحصل عليها إيران إذا أبدت استعدادا للتعاون مع الجهود الدولية المبذولة لحل المشكلة الإيرانية.

وكان (لافروف) يتحدث خلال جلسة اللجنة الوزارية لمجلس البرلمان الأوروبى التى عقدت فى العاصمة الروسية، ولفت إلى دعم بلاده جهود الترويكا الساعية إلى (توفير أجواء مناسبة للعودة إلى طاولة المفاوضات)، وأشار إلى أن كلا من بكين وواشنطن (تؤيدان أيضا هذا التوجه)، موضحاً أن المشاورات الجارية تهدف إلى الخروج بـ (اقتراحات محددة) تشكل أساسا لاستئناف المفاوضات مع طهران).

واللافت أن (لافروف) ضمن حديثه إغراءات للجانب الإيرانى وشدد على (حرص واهتمام المجموعة السداسية باندماج ايران فى منظومة التعاون الاقتصادى العالمية، والتعاون على صعيد ضمان الأمن الإقليمى).

ولم تستبعد المصادر أن تعود موسكو إلى طرح مبادراتها لتأسيس مركز مشترك روسى- إيرانى لتخصيب اليورانيوم على الأراضى الروسية، وهى المبادرة التى كانت طهران تحفظت عليها بسبب عدم توافر ضمانات لتزويد إيران بحاجاتها النووية فى المستقبل.

وأشارت المصادر إلى (اهتمام روسى بإغلاق ملف إيران النووى سلميا وتعزيز الدور الإيرانى على الصعيدين الدولى والإقليمى، لكن بعد إزالة المخاوف الدولية).

الفصل السادس

ضد إسرائيل

والحركة الصهيونية

تراوحت العلاقات الإيرانية- الإسرائيلية منذ الإعلان عن تكوين دولة الكيان الصهيونى ما بين الاعتراف والصداقة والتحالف فى فترة حكم الشاه، وعدم الاعتراف والعداء والمواجهة فى فترة ما بعد قيام الثورة الإسلامية بقيادة الإمام آية الله الخمينى فى العام ١٩٧٩، وطوال هاتين الفترتين، كانت تلك العلاقات هى المحرك الرئيسى للسياسات الأميركية فى منطقة الشرق الأوسط، فإيران الشاه كانت التابع الأمين للولايات المتحدة الأميركية، وبالتالى فإن صداقتها وتحالفها مع إسرائيل كان النتيجة الإيجابية الطموح من قبل محمد رضا بهلوى للتقرب الدائم من أميركا، وعلى النقيض فإن إيران الثورة الإسلامية هى المعادى والمناهض الأكبر لأميركا فى المنطقة، وبالتالى فإن عداوتها ومجابهتها لإسرائيل هى النتيجة الطبيعية من قبل القيادة الإسلامية الثورية فى إيران لتوسيع الفجوة وزيادة المعارضة والمناهضة لأميركا.

وعلى هذا النمط فقد سارت عجلة العلاقات الإيرانية- الإسرائيلية مسرعة نحو العداء والمواجهة، وذلك رغم إنه ليست هناك حدود جغرافية متماسة أو متقاربة أو حتى قضايا قومية مشتركة أو خلاف تاريخى، إلا أن الحدود قد تلاشت والقضايا العالقة تماست والخلافات التاريخية فجرت، وذلك بعد إعلان الإمام الخمينى عن مبادئه وتعاليمه الرافضة للتطبيع مع الكيان الصهيونى أو حتى التعامل معه، والناقمة دائما على السياسات الصهيونية والتى اعتبرت أن القضية الفلسطينية قضيتها الأولى وبالفعل، بالقول عبر التصريحات الثورية الإسلامية الإيرانية المطالبة بمحو الكيان الصهيونى من على خارطة العالم، وبالفعل من خلال عدة محاور:

أولا: تعبوى داخلى وهو يتضمن تنمية القدرات العسكرية الإيرانية وتطوير

برامج التسليح لديها وتوفير كم معقول من أسلحة الردع لتوفير القدرة والاستعداد على أية مواجهة محتملة مع الكيان الصهيونى، وهو المحور الذى تسخر له إيران كافة قدراتها وخبراتها وثرواتها من أجل الوفاء به لأنه مهم فى ظل أى تصعيد إسرائيلى أو أمريكى متوقع ضدها.

ثانيا: أمنى داخلى وهو يشمل على تحقيق معدل أمان استخباراتى من قبل أجهزة الاستخبارات والحرس الثورى الإيرانى داخل المجتمع الإيرانى لحماية الجبهة الداخلية من أية محاولات صهيونية لانتهاكها.

ثالثا: أمنى خارجى وتقوم إيران فى ذلك المحور بمضاعفة كوادرها ومصادرها الاستخباراتية والمعلوماتية خارج الحدود الإيرانية فى دول القرار الدولى، وداخل الكيان الصهيونى نفسه، لتوفير المعلومات اللازمة عن مدى تطور القدرات العسكرية الإسرائيلية، وما وصلوا إليه من خطط خداع تكتيكى، ومراكز صواريخهم وطائراتهم المقاتلة، لصياغة خطط إيرانية عسكرية لمواجهة أى تهديد عليها.

رابعا: تعبوى خارجى، بدعم ومساندة الفصائل الفلسطينية المقاومة وبالخصوص حركة الجهاد الإسلامى داخل أراضى السلطة الفلسطينية بكافة الوسائل المادية والتكتيكية والخبرات العسكرية والتدريبية، وهذا الأمر الذى نجحت فيه إيران عندما وفرت الدعم المناسب لحركة حزب الله الشيعية فى جنوب لبنان، وهو الأمر الذى دفع إسرائيل للفرار والانسحاب من الجنوب اللبنانى تحت وطأة وشراسة مقاومة حزب الله الذى وفرت له إيران ما فشلت ورفضت توفيره بعض الدول العربية الأخرى، كما قامت إيران أيضا بتوفير الدعم المالى المناسب لحركة حماس وفور اعتماد نظام العقوبات والحصار عليها من قبل أميركا

وإسرائيل ودول الاتحاد الأوروبى، فكانت أول من تبرع للفلسطينيين بمبلغ ٥٠ مليون دولار.

وفى المقابل فإن الكيان الصهيونى لم يتوانَ أو يتخلَّ عن ترتيباته وخططه الشيطانية الجهنمية لمواجهة إيران التى استطاعت أن تقلق راحته وتؤثر فى معالجاته للكثير من الأمور وتدفع له إلى الحائط فى كثير من الأحيان، وهى النجاحات التى شهد بها العالم أجمع والتى أعطت الغلبة والتقدم للإيرانيين على الإسرائيليين فى ظل صراعهما منذ قيام الثورة الإسلامية، فإيران نجحت فى التغلب على إسرائيل فى كافة المواجهات التى دخلها الطرفان بدءا من قدرتها على الاستمرار فى عداء إسرائيل ومقاطعتها، وذلك دون أية تبعات سياسية دولية عليها تذكر، وهو الأمر الناتج فى الحقيقة من القدرة الإيرانية على التصميم والثبات فى ساحة المعركة، إضافة لتمسكهم بالمبادئ والقواعد التى أرساها الإمام الخمينى التى لم يتخلوا عنها يوما ولا حتى فى عهد آية الله هاشمى رفسنجانى الرئيس الإيرانى السابق الذى عرف ببراجماتيته وقدرته على التعاطى مع الأمور، مرورا بدعمها للمقاومة اللبنانية والفلسطينية، ضد العدو الصهيونى وهى المقاومة التى ألحقت بالعدو الصهيونى هزائم متكررة لعل أبرزها انتصار حزب الله فى الجنوب اللبنانى وإخراجه للعدو الصهيونى آنفا مذعورا من لبنان.

و أخيرا، فإن ما تحققه الديبلوماسية الإيرانية فى مقابل البوق الإعلامى الصهيونى وتأثير اللوبى اليهودى داخل أغلب مؤسسات الحكم فى الغرب من قدرة على الاحتفاظ بكرامتها وقرارها السياسى المتشبث بحقوقه المتمثلة فى امتلاك التكنولوجيا النووية، وذلك رغم كافة الضغوط الممارسة عليها من كافة قوى المجتمع الدولى إلا أنها لا تزال قوية شامخة ترفض أية محاولات لمساومتها أو

ابتزازها فى قضية ملفها النووى، وهى الأمور التى أزعجت الكيان الصهيونى ودفعته كثيرا للغة التهور والإرهاب بتهديده بضرب المفاعلات النووية الإيرانية.

وبعد انتخاب الرئيس محمود أحمدى نجاد، اتسمت التجاذبات المشتركة بالحدة دون التوقف عند سقف معين، وسخر كل طرف آلته الإعلامية والدبلوماسية للنيل معنويا من الآخر، وبخلاف كثير من الحالات السابقة تسببت الأهداف الخلفية فى إضفاء مسحة من الدراما السياسية التى جعلت التصريحات المتبادلة تتخذ منحنى يختلف عن كثير من المنحنيات السابقة، وكشفت عن محتويات جديدة فى الخطاب السياسى الذى درج كل جانب على الاستفادة من مفرداته فى استهداف الطرف الثانى، وأكدت فى حصيلتها أن حرب تكسير العظام بدأت تظهر للعلن بلا مواربة، وأن طهران تجاوزت مرحلة الدفاع وردود الأفعال إلى الإمساك بزمام المبادرة لإرباك إسرائيل، وخلط أوراق القوى الداعمة لها، والتى تعمل على تحجيم وتطويق طموحات إيران النووية، ولجأ الرئيس أحمدى نجاد إلى نوع من التصعيد المحسوب فأصابت كلماته عددا من الدوائر الغربية، مما جعلها، لأول مرة تقريبا، تبدو وكأنها تدافع عن مسلمات جرى التشكيك فيها فجأة.

حيث وجد الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد نفسه فى مواجهة مع العالم الغربى بعد مطالبته بإزالة الكيان الصهيونى من على خارطة العالم، وبعدها تشكيكه فى المذابح التى ارتكبت ضد اليهود فى الحرب العالمية الثانية (الهولوكوست)، وهى التصريحات التى أدلى بها وتفجرت دويها فى آذن الكيان الصهيونى وأميركا والغرب، ليصيبهم الشلل المؤقت والذى تبعه حملات إعلامية وسياسية ضد الرئيس نجاد الذى رفض فى شموخ أن يعتذر أو يتراجع عن تصريحاته بل صمم

عليها وأضاف إليها الكثير من الحقائق، التى استعان بها من خلال قراءاته الجيدة لتاريخ البشرية وتاريخ العالم الحديث، إضافة لإيمانه الكامل بأفكار ومبادئ الإمام آية الله الخمينى الذى كان أول من يستخدم لفظ (أميركا الشيطان الأكبر وإسرائيل الشيطان الأصغر)، تلك التعاليم التى رسخت الإيمان لدى نجاد بضرورة زوال ذلك الكيان الصهيونى وكذب أسطورة الهولوكوست.

أزمات إيرانية- إسرائيلية

تعددت فصول الأزمات الإيرانية- الإسرائيلية المتبادلة وتنوعت أشكالها وذلك بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران، حيث بدأت تلك الأزمات بانهيار العلاقات الثنائية بين البلدين والتى كانت إسرائيل تعتبرها أكثر العلاقات استراتيجية وأهمية لها (بعد علاقاتها مع أميركا بالطبع)، لتتسع بعدها رقعة العداء بين إيران وإسرائيل، وكان الفصل الأول من أمواج الأزمات المتلاطمة بين الطرفين مع سيطرة الطلبة الإيرانيين ومناصرى الثورة الإسلامية للسفارة الإسرائيلية فى طهران حيث تم احتلالها ثم أحرقت لتمثل بذلك آخر مظاهر نظام حكم الشاه وليبدأ بعدها تسمية الكيان الصهيونى بالشيطان الأصغر، ثم جاء الفصل الثانى لتكشف مشاهده عن لب الكراهية المتملك من الذهنية الصهيونية والتى لا تيأس فى محاولاتها من تصدير الأزمات وإثارة المتاعب تلو الأخرى لإيران على كافة الأصعدة: الداخلية من خلال بث سمومها لدى الشرائح الإيرانية المعادية لنظام الثورة، والخارجية من خلال التأثير على السياسات الغربية المتحكمة فى مقدرات ومصائر الشعوب، وحشد القوى العالمية لحصار إيران وعقابها؛ وبعدها يأتى الفصل الأكثر إثارة وهى قصة الديون الإيرانية المستحقة لدى الكيان الصهيونى.

تفاصيل هذا البعد الخفى (الحساب القديم) ترجع فصوله لأيام الشاه وقبل انطلاق ثورة الخمينى فى إيران فى فبراير من عام ١٩٧٩، حيث كان الشاه الإيرانى يشترى كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر الإسرائيلية من مصنع (سولتام) الإسرائيلى، وكانت مخازن الطوارئ التابعة للجيش الإيرانى تمتلئ بالمدافع والصواريخ والقنابل المصنعة فى إسرائيل، وفى منتصف السبعينيات وقعت إيران عقدا مع مصنع (سولتام) لبناء مصنع أسلحة بمدينة أصفهان، واتخذت جميع الإجراءات ووصل المهندسون الإسرائيليون إلى إيران لمعاينة المكان، وبدأ البناء بالفعل وقدم تصميم المشروع كهدية للشاه، ولم يكن مصنع سولتام يجرى اتصالاته مباشرة مع إيران، بل تخفى وراء شركة تسمى (سلجاد) فى ألمانيا، وبذلك استطاعت إيران أن تقنع الجميع بأنها تستورد السلاح من أوروبا وليس من إسرائيل، وقبل فترة قصيرة من هروب الشاه فى فبراير ١٩٧٩ دفعت إيران للجانب الإسرائيلى مبلغ ٢٠٠ مليون دولار من إجمالى المبلغ المتفق عليه لبناء المصنع وهو ٤٠٠ مليون دولار، وتم إيداع هذه الاموال فى حساب شركة (سلجاد) فى بنوك ألمانيا وبريطانيا، إلا أن قيام الثورة الإسلامية قلب الأمور رأسا على عقب، فقد تقرر قطع جميع الاتصالات والعلاقات مع إسرائيل واضطر مصنع (سولتام) وغيره من المصانع الإسرائيلية للبحث عن أسواق أخرى لتصريف منتجاتها، ومع حالة الارتباك التى صاحبت الثورة، وإقالة عدد من قادة الجيش الإيرانى والمسؤولين الحكوميين الذين كانوا على علاقة مع إسرائيل فشل القادة الإيرانيون فى استرداد المبالغ المودعة فى بنوك أوروبا، وقد أهمل الإيرانيون الأمر لفترة لكنهم عادوا للمطالبة بديونهم لدى إسرائيل خاصة قيمة البترول المصدر لإسرائيل والذى بلغت قيمته خمسة مليارات دولار، ووصل الأمر إلى رفع دعوى

قضائية أمام محكمة التحكيم التجارى فى باريس، وكشفت وثائق المخابرات الأميركية عن أن إسرائيل تسلمت مبالغ ضخمة من إيران مقابل تزويدها بالسلاح دون أن تفى بذلك، وضمن صفقة الأسلحة الإسرائيلية التى لم تتسلمها إيران عدد من القاذفات وصواريخ أرض/ أرض.

وبالإضافة إلى ذلك كانت إيران قد اعتادت فى فترة حكم الشاه على تزويد الجانب الإسرائيلى بالبترول، حيث يعترف احد المسؤولين بجهاز الموساد الإسرائيلى بأنهم قبل سقوط الشاه بعدة أشهر قد توقعوا حدوث شىء ما، لذا قرروا أن يكونوا طرفاً مديناً لإيران وليس العكس، فحصلوا على ٨ ملايين طن من البترول، لم يتم تسديد ثمنها، ويوم سقوط الشاه كانت هناك أربع ناقلات بترول عملاقة فى طريقها إلى إيلات، وقد وصلت بالفعل وأفرغت حمولتها، وفجأة انقطعت الاتصالات بالجانب الإيرانى، ولم يجر أى حديث أو مشاورات حول استرداد هذه الديون الإيرانية لدى إسرائيل.

وحدث أن تم تداول مسألة تسوية هذه الديون عندما كان آرييل شارون وزيراً للخارجية الإسرائيلية، عندما سعى شارون لاستغلال موضوع الديون لإجراء مباحثات غير رسمية مع إيران، لكن مساعى شارون قوبلت بالرفض من جانب عدد من المسؤولين الإسرائيليين الذين أعربوا عن تخوفهم من حصول الإيرانيين على مستحقاتهم ثم العودة لحالة العداء مع إسرائيل.

ومنذ عدة سنوات، سعت إسرائيل لفتح قناة اتصال سرية مع إيران وقاد هذه المساعى آرييل شارون بنفسه، حينما كان يتولى منصب وزير الخارجية فى حكومة بنيامين نيتنياهو، وقد طالب شارون وقتها باستغلال موضوع الديون الإسرائيلية لإيران فى فتح قناة الاتصال هذه، لكن تقارير الاستخبارات الإسرائيلية أكدت أن

القيادة الثورية الإيرانية ترفض بشكل قاطع أى اعتراف أو تفاوض أو صلح مع إسرائيل، وبالتالى بات هذا الباب موصداً.

مستقبل إسرائيل على كف إيران

وقد اختلطت قضية الديون الإسرائيلية لإيران بموضوع التهديد الإيرانى لإسرائيل بامتلاكها قدرات نووية، حيث قدم رؤساء أجهزة المخابرات الإسرائيلية فى الحادى والعشرين من يوليو ٢٠٠٤ تقريرا لأعضاء المجلس الوزارى للشؤون الأمنية والسياسية جاء فيه ،إن أخطر تهديد وجودى تواجهه إسرائيل يأتى من إيران، فمن المتوقع أن يصل الإيرانيون إلى نقطة اللاعودة فى ٢٠٠٧، وإذا لم يتم فعل شىء أو اتخاذ أى إجراء خلال عامين، فسوف يصبح الأمر بعد ذلك متأخرا جدا، وكان رئيس الوزراء الإسرائيلى شارون قد أدلى بتصريحات قال فيها: إن الاستعدادات جارية فى بلاده لمواجهة احتمال حصول إيران على أسلحة نووية، وأن إسرائيل لن تقبل أبدا بتزايد طموحات طهران النووية، إذن فإن كل شىء قابل للاشتعال ولا يوجد رجال إطفاء للنار، إلا أن هناك أصواتا داخل إسرائيل ترى أن إيران لا تشكل أى تهديد حقيقى، فهى دولة تسعى للتنمية والتصنيع، والتزود بأسنان نووية كى تردع دولا ذات قدرة تحيط بها!!

إسرائيل والأزمة النووية

وفى الوقت الذى تستنفر أمريكا طاقاتها ضد إيران والمنشآت النووية من خلال استعداد مجلس الأمن والدول الكبرى، فإنها تعتم على دولة فى نفس المنطقة وهى إسرائيل وذلك بالتعتيم المستمر على قدرتها النووية، ورفضها التوقيع على معاهدة

حظر إنتاج الأسلحة النووية، مما يحض الدول على عدم التوقيع على هذه المعاهدة مالم توقع، إسرائيل وتواصل إسرائيل تطوير مفاعلاتها النووية وتحديثها مع الشركات الأمريكية- ولقد توصلت ميزانية التسليح فى إسرائيل فى السنوات الأخيرة إلى (١٠) مليارات دولار فى العام الواحد تساهم أمريكا بحوالى النصف من مساعدات عينية حوالى (٣ مليارات) ثم مساعدات أخرى وتصنيع بعض الأسلحة الثقيلة والمتقدمة وأيضا فى صناعة الطائرات الحديثة، ولم تتوقف إسرائيل عند هذا الحد بل سعت من أول يوم من قيامها إلى الاقتراب من دول المنطقة سواء إيران أو الدول العربية مستخدمة فى ذلك الجزر الاريترية لتعدها كقاعدة بحرية لانطلاق الغواصات المزودة بالصواريخ أرض- أرض التى تحمل رؤوسا نووية بعيدة المدى حتى ١٥٠٠ كم، هذه المحاولات الإسرائيلية استهدفت فى المقام الاول السيطرة على البحر الأحمر لتعويض عمقها الإستراتيجى الضيق رغم أنه يعتبر بحرا عربيا خالصا تشرف عليه مصر والسودان والسعودية واليمن، هذه المحاولات بدأت مبكرة جدا كما قلنا من قبل وفى عام ١٩٥٢ بالتحديد، حيث استأجرت إسرائيل من أريتريا عددا من الجزر وحولتها إلى مراعٍ كمصدر للحوم وموانئ عسكرية وتجارية على البحر الأحمر، وقامت بتأسيس بعض الشركات فى هذه الجزر للحوم والزراعة والتجارة كما تسيطر على صيد الأسماك فى سواحل أريتريا وتستخدم الموانئ الأريترية لصادراتها إلى أثيوبيا والدول الأفريقية الأخرى، كما أن الوجود البحرى الإسرائيلى فى البحر الأحمر بكثافة استلزم طائرات حراسة سريعة تساير السفن التجارية التى تحمل البضائع الإسرائيلية مروراً بباب المندب وحتى المحيط الهادئ .

هذا بالإضافة إلى استغلال بعض الجزر الاريترية للتزويد بالوقود وإلى جانب استغلال بعض الجزر اليمنية المغتصبة، وتهدف إسرائيل من وراء ذلك كله كما قلنا إلى

زيادة العمق الاستراتيجى لتشتيت الجهد العربى العسكرى على طول البحر الأحمر وكذلك كسر طوق الحصار السياسى العربى والانفتاح على دول أفريقيا وآسيا مع حماية حركة التجارة الإسرائيلية الخارجية المتجهة الى جنوب وشرق آسيا .

كل ما تقوم به إسرائيل من انتهاكات صارخة فى جميع المجالات لا تعيرها أمريكا ومجلس الأمن والمجتمع الدولى أى انتباه، الأمر الذى يؤكد أننا اليوم فى عالم لا يعترف إلا بالقوة والقوة فقط وليست إجراءات لا تتعدى سوى التهديد فقط ليس إلا ....

أما الفعل فسوف يستلزمه ويقابله رد الفعل وسيناريو الأحداث المتلاحقة مع كوريا الشمالية أقرب وأبلغ دليل على ذلك.

على أن ما يثير السخرية السوداء تصريحات أدلى بها شيمون بيريز نائب رئيس الحكومة الإسرائيلية، إذ قال "ان صناعة إيران أسلحة نووية سيشجع القوى الكبرى فى المنطقة مثل مصر والمملكة العربية السعودية على امتلاكها" ومعلوم أن بيريز يعتبر مؤسس البرنامج النووى الإسرائيلى، وأضاف: إن العالم سيتغير بصورة كبيرة إذا ما نجحت إيران فى امتلاك قنبلة نووية.

وتسعى إسرائيل إلى الحصول على دعم الأمريكيين فى الضغط على أوروبا لشن حملة على إيران، وحول ذلك فقد قال وزير الحرب الإسرائيلى سلفان شالوم إنه تحدث مع وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس عن ضرورة انهاء جهود إيران لتطوير قنبلة نووية، وأضاف قائلاً: نعتقد أن الإيرانيين لن يتخلوا مطلقاً عن حلمهم فى تطوير قنبلة نووية وحث الأوروبيين على دعم جهود إحالة إيران إلى مجلس الأمن الدولى لفرض عقوبات محتملة بسبب برنامجها النووى، وقال شالوم: فى حين أن الأوروبيين يتحدثون عن العصا والجزرة، فإننا نريد أن نرى

العصا، وفى تطور مهم حذر الجنرال محمد باقر ذو القدر نائب قائد قوات الحرس الجمهورى الإيرانى من أن إيران لديها ١٠ملايين متطوع مستعدون لمحاربة الولايات المتحدة حتى الموت ونقلت صحيفة كيهان المحافظة عن ذو القدر قول: إن إيران أكبر قوة عسكرية فى المنطقة حيث لديهم ١٠ملايين متطوع تتوفر فيهم الثقافة والروح الاستشهادية، وجاءت تصريحاته على خلفية تصعيد الحرب الكلامية بين إيران والولايات المتحدة التى أعلنت أنها لا تستبعد القيام بعمل عسكرى ضد إيران بسبب برنامجها النووى التى تزعم واشنطن أنه يستخدم كغطاء لبناء قنبلة ذرية.

وأضاف الجنرال: إنه إذا أرادت الولايات المتحدة مهاجمة الجمهورية الإسلامية فعليها أن تعلم أن إيران ليس لديها حدود للدفاع عن نفسها، وستكون قادرة على توجيه ضربات قاتلة للمعتدى فى أى وقت تقرر فيه ذلك، وأوضح ،نحن لا نرحب بالحرب ولكن إذا ارتكبت أمريكا خطأ فإننا سنلقنها درساً لن تتعافى منه أبدا٠

والمؤكد أن الإيرانيين لا يزالون يتمتعون بنفسهم الطويل فى التفاوض من أجل الاستمرار فى برنامجهم على الصورة التى تحقق طموحهم وهو الأمر الذى اثار حفيظة وغضب الغرب بزعامة الولايات المتحدة و إسرائيل و الترويكا الأوروبية، ودفعهم لممارسة أقصى درجات الضغط على إيران لدفعها للتخلى عن برنامجها النووى من التهديد بإحالة ملفها لمجلس الأمن ثم التهديد بتوجيه ضربات عسكرية لمنشآتها النووية وتسريب سيناريوهات الضرب، ثم التهديد بفرض عقوبات اقتصادية.. إلى آخر هذه القائمة الطويلة المحفوظة من وسائل الضغط التى تؤتى ثمارها فقط مع الأنظمة التى تفتقد إلى الخبرة الكافية فى التفاوض تحت الظروف الصعبة.

وفيما يطلق عليه فى الأدبيات السياسية بديبلوماسية حافة الهاوية اضطرت إيران إلى كشف بعض قدراتها العسكرية التقليدية عندما أعلنت خلال أسبوع واحد تجربتها بنجاح إطلاق صواريخ بر- بحر وصواريخ مضادة للطائرات محمولة على الكتف وصواريخ قادرة على حمل رؤوس حربية متعددة مما دفع (انتون لاجورديان) المحرر الديبلوماسى لصحيفة الديلى تيلجراف البريطانية إلى الكتابة تحت عنوان (إيران تزيد التوترات باستعراض القوة) إن طهران أصبحت تعلن يوما بعد يوم تطوير معداتها العسكرية من قارب شبحى طائر الى صاروخ قادر على تفادى الرصد بالرادار مع القدرة على حمل رؤوس حربية متعددة، وطوربيد صاروخى، وصاروخ مضاد للسفن لايمكن التصدى له، وذلك بالتزامن مع إجرائها مناورات بحرية ضخمة فى الخليج العربى وخليج عمان تحت اسم (النبى الأعظم صلى الله عليه وسلم) بالقرب من مضيق هرمز حيث يمر ما يزيد على أربعين فى المئة من النفط العالمى بصورة أشبه ماتكون برفع شكوى للرأى العام العالمى على مايعتبره المحرر تمردا إيرانيا وليس محاولة للدفاع عن النفس ضد ما ينتظرها من أخطار ضربات جوية أمريكية- بريطانية، وربما أيضا إسرائيلية، إذا هى لم تعلن عما تمكنت من تطويره بجهود محلية دون الاستعانة بأى خبرات خارجية.

وقال "لاجورديا" إن مسئولين غربيين ذكروا أن الإيرانيين يحاولون توصيل رسالة للغرب وللولايات المتحدة على وجه الخصوص ولإسرائيل أنهم قادرون على الرد على أية محاولة لتفجير منشآتهم النووية مشيراً إلى أن إيران لديها القدرة- على سبيل المثال- على إعاقة الملاحة النفطية فى الخليج العربى، وعلى تهديد إسرائيل بصواريخها التى تزيد مداها يوما بعد يوم، وأن هذه التهديدات لأغراض

سياسية ولأغراض الردع أكثر من كونها تهديدات عسكرية وفقا لتصريحات مسئول بريطانى.

إسرائيل النووية بلا عقاب

وفى ظل هذه التحركات الصهيونية ضد إيران وهى التحركات الناتجة من يقين صهيونى لمساندة الغرب وبالأخص أمريكا لها فى كافة مخططاتها ضد إيران، وذلك رغم أن إسرائيل تمتلك بالفعل قدرات أسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية وهى القدرات الأقدم فى منطقة الشرق الأوسط، حيث اتخذت قرار الخيار النووى مبكرا منذ إنشاء لجنة الطاقة الذرية تحت رئاسة رئيس الوزراء فى عام ١٩٥٢ والتى أعلنت عنها فى ١٩٥٤وكانت بذلك أول دولة فى المنطقة تنشئ لجنة للطاقة الذرية، ومن بين عدد قليل من دول العالم التى أعلنت عن تكوين لجان للطاقة الذرية، فحتى عام ١٩٥٦ كان قد أعلن عن تكوين لجان للطاقة الذرية فى كل من الأرجنتين وبلجيكا والدنمارك وفرنسا والهند وإيطاليا واليابان وأسبانيا وتركيا والولايات المتحدة، ومصر.

كما تعتبر إسرائيل أول من أدخل المفاعلات النووية إلى المنطقة، حيث قامت بالاتصال بفرنسا، إلى أن حصلت على مفاعل نووى نتيجة لاتفاق سياسى، كما تعاونت مع الولايات المتحدة أيضا فى نفس الفترة، حصلت منها فى عام ١٩٥٧ على مفاعل ناحال سوريك بقدرة ٥ ميجاوات وافتتح فى عام ١٩٦٠، كما أن إسرائيل أول من أدخل التكنولوجيا النووية العسكرية إلى المنطقة والمتمثلة فى مفاعل ديمونة لإنتاج البلوتونيوم، الفرنسى الصنع، ودورة الوقود النووى المتصلة بذلك.

وقد بدأ هذا التعاون بين إسرائيل وفرنسا قبل عام ١٩٥٦، وتم توقيع تفاهم أمنى بين الدولتين فى يونيو ١٩٥٦ وذلك قبل تأميم قناة السويس (٢٦ يوليو ١٩٥٦). واستمر تطوير العلاقات الفرنسية الإسرائيلية، حتى أتيحت الفرصة لإسرائيل إثر إعلان مصر تأميم قناة السويس، فتصاعد هذا التعاون إلى أن توج بعد ذلك بالحصول على مفاعل ديمونة.

ويوضح هذا أن هناك مغالطة فيما يطرح من أن التعاون الفرنسى الإسرائيلى بدأ بعد تأميم قناة السويس، حيث قررت فرنسا إعطاء إسرائيل المفاعل ضمن صفقة للمشاركة فى العدوان الثلاثى على مصر.

وتقوم استراتيجية إسرائيل النووية على تدمير أية قدرات نووية سلمية مهمة فى المنطقة، وذلك فى إطار عدم السماح للدول الأخرى فى المنطقة، بالوصول إلى توازن استراتيجى مع إسرائيل، أو حتى الوصول إلى أى قدرات تكنولوجية نووية مهمة، فقامت بتدمير المفاعل العراقى اوزيراك، الفرنسى الأصل، والخاضع لنظام ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى يونيو ١٩٨١ ويرتبط بذلك أيضا التهديد بضرب المنشآت النووية الإيرانية حاليا.

وهناك عدة مصادر ذكرت إن إسرائيل كانت أول من استخدم الأسلحة البيولوجية فى منطقة الشرق الأوسط حتى قبل قيام الدولة، ففى عام ١٩٤٧ أدخلت وباء الكوليرا إلى مصر، كما استخدمت أسلحة بيولوجية فى عام ١٩٤٨ فى أثناء الحرب العربية الإسرائيلية الأولى وذلك بالقيام بتلويث مصادر المياه الفلسطينية.

لذا فإن دوافع الانتشار فى المنطقة تتزايد فى ظل امتلاك احدى دول المنطقة (إسرائيل) للأسلحة النووية وباقى أسلحة الدمار الشامل الأمر الذى يدفع الدول الأخرى لمحاولات امتلاك قدرات نووية أو روادع أخرى أو صواريخ استراتيجية. كما

أن الاعتماد من جانب القوى الكبرى والدولية على آلية الضغوط السياسية والقيود على توريد تكنولوجيا أسلحة الدمار الشامل إلى المنطقة لا يكفى لمنع انتشارها، طالما لم يتم التعامل مع أسباب الانتشار والعمل على إنهاء الدوافع لانتشار تلك الأسلحة من خلال التعامل مع المشكلات الأمنية القائمة فى المنطقة، الأمر الذى يزيد من حوافز منع انتشار تلك الأسلحة.

وهو الأمر الذى يعنى أن التعامل مع مشكلة انتشار أسلحة الدمار الشامل بشكل انتقائى لا يحقق منع انتشار تلك الأسلحة، ولقد أثبتت الخبرة أن ما من دولة لديها إرادة وإصرار على امتلاك أية أسلحة دمار شامل إلا ووجدت الطرق والوسائل للحصول عليها، كما أشار د. البرادعى مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى أنه يجب أن يتم تناول جذور وأسباب عدم الاستقرار فى مناطق الصراعات الممتدة مثل الشرق الأوسط وأن السعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل يمكن أن يكون بسبب فشلنا فى تقديم خيارات لتحسين الأمن فى تلك المناطق، وعلينا التخلى عن الطريقة غير العلمية التى تتمثل فى أنه مقبول أخلاقيا لدول أخرى أن تحوز على تلك الأسلحة لحماية أمنها.

الردع المتبادل

والمثير للسخرية أنه بعد مرور ستين عاما تقريبا على تأسيس الدولة العبرية فى العام ١٩٤٨ فإن الحلم الصهيونى بإنشاء كيان يتجمع فيه أكبر عدد ممكن من اليهود فى العالم، للعيش بأمان أكثر من أى مكان آخر، نجح فى تأسيس كيان يتعرض فيه اليوم ملايين الأشخاص للخطر النووى المباشر، أكثر من أى مكان

آخر فى العالم؛ والسبب فى ذلك ليس محصورا فى السعى الإيرانى، لامتلاك تكنولوجيا نووية ووسائل نقلها فحسب، بل بالخطاب الثورى من الحكومة الجديدة فى طهران، وأنتج المزج بين ضعف إسرائيل البنيوى والثورية الإيرانية توازن رعب أصبح اليوم قيد أنملة من الاندلاع.

ولاشك فى أن إيران تمتلك اليوم أنظمة إيصال الرؤوس النووية إلى أهداف محددة قادرة على شن الضربة الأولى التى قد تودى بحياة ملايين الإسرائيليين، وربما أكثر من نصف عدد سكان إسرائيل من خلال هجوم واحد، فقد جرى اختبار صواريخ (شهاب ٣) بنجاح.

كما أكد الرئيس الأوكرانى فيكتور يوتشينكو، أنه خلال العهد السابق للرئيس ليونيد كوشما، باعت أوكرانيا ١٢ صاروخا من طراز كروز قادرا على حمل رؤوس نووية إلى إيران، وهذا النوع من الصواريخ أبطأ من صاروخ شهاب- ٣، لكن نظام الكومبيوتر المزود به، والذى يجعله يطير غير متوقع، يجعل اعتراضه وإسقاطه من الجو أكثر صعوبة.

ولحماية نفسها من الأخطار، طورت إسرائيل أو اشترت ترسانة صواريخ اعتراضية متفوقة؛ فنظام (آرو) المضاد للصواريخ الذى طورته، بالاشتراك مع شركة بوينج، هو أفضل نظام اعتراض صواريخ متطور فى العالم، وقد جرى مؤخرا اختباره ضد نموذج من صواريخ شهاب-٣، كما تمتلك إسرائيل بطاريات صواريخ من طراز باتريوت پاك - ٣ الأميركية الصنع.

ويعتقد محللون أميركيون أن هذه الحرب شجعت الإسرائيليين على محاولة إيجاد المزيد من التمويل لمشروع صواريخ (آرو)، لكن لا يوجد أدنى شك فى أنه عندما يتعلق الأمر بأنظمة الصواريخ الاعتراضية، فإن نظام باتريوت هو الأفضل

فى العالم. والمجال الجوى المحدود يعد عاملا مساعدا للإسرائيليين فى الدفاع عنه. ومع ذلك، فقد توصل الإسرائيليون، كما الأميركيون والسوفيات من قبلهم فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى، الى خلاصة مفادها أن عوامل الردع هى أفضل دفاع ناجح.

وطالما أن منشآتهم النووية مفاعل ديمونة فى صحراء النقب وقاعدة زكارياس الجوية جنوب تل أبيب محدودة عدديا ومعروفة من قبل أعدائهم، وبما أن غالبية سكان إسرائيل متمركزة فى منطقة واحدة ومعرضة، فإن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أدركت حاجتها لتأمين قوة ضاربة وقائية ثانية، لتأمين رد فعل كاسح على أية ضربة أولى يتلقونها، وقد أمنوا هذه الخطوة، وتتمثل هذه القوة الضاربة فى ثلاث غواصات، تعمل على محركات الديزل ألمانية الصنع، تحمل صواريخ كروز مزودة برؤوس نووية.

ونشرت صحيفة (فيدوموستى) الروسية تفاصيل صفقة تعد الأضخم بين روسيا وإيران منذ العام ٢٠٠٠، إذ تصل قيمة العقد الموقع إلى نحو ٧٠٠ مليون دولار، لتزويد إيران ٢٩ نظاما صاروخيا من طراز (تور- ام ١) تصنع قرب موسكو.

ونقلت (فيدوموستى) عن المسؤول فى المعهد الدولى للبحوث الاستراتيجية فى لندن كريستوفر ليينغتون قوله: إن الصفقة ستشكل عائقا جديا أمام واشنطن لمواصلة ضغوطها على الإيرانيين، معتبرا الهدف من توقيتها تشجيع روسيا للمشاريع النووية الإيرانية.

ويرى المسئول فى الأنظمة الصاروخية هذه (تهديدا جديا للولايات المتحدة) فقط، فى حال ما إذا قررت واشنطن شن هجوم على إيران، وعن تفاصيل الصفقة، قال المصدر: إن الأنظمة الصاروخية (صنعت بناء على اتفاق مع اليونان نهاية

التسعينيات، وظلت فى مخازن المجمع العسكرى بعد تراجع أثينا عن الصفقة).

ومنذ شهور، وسلاح الجو الإيرانى فى حال استنفار للدفاع عن المواقع النووية الإيرانية فى حال تعرضها لأى هجوم، وتتهم واشنطن وإسرائيل، الجمهورية الإسلامية بالسعى إلى تطوير سلاح نووى، مما أثار تكهنات باحتمال شن هجمات عسكرية على إيران التى تؤكد أن برامجها النووية لأغراض مدنية فقط.

وفى إسرائيل، أفادت مصادر أمنية أن التجربة الرقم ١٤ التى نفذت لإطلاق صاروخ (حيتس)، كانت ناجحة وهدفها اختبار قدرة (منظومة حيتس بلوك ٣) على التحليق إلى أقصى ارتفاع، والتعاون مع منظومة صواريخ (باتريوت).

وأشارت المصادر إلى أن التجربة نفذت فى إطار تطوير قدرات المنظومة الصاروخية الإسرائيلية فى مواجهة صواريخ (أرض- أرض الإيرانية) و(سكود دى) التى تمتلكها سورية.

ووظف حتى الآن، مبلغ ٢٠٤ مليارات دولار فى مشروع (حيتس) ومولت الولايات المتحدة ثلثى التكلفة. وليست إسرائيل مستوردة لأسلحة فقط، بل مصنعة لها تحتل مرتبة متقدمة فى قائمة دول العالم المصدرة للأسلحة، وقد حلت هذه السنة فى المرتبة الرابعة بعد الولايات المتحدة روسيا وبريطانيا.

وقد شهدت إسرائيل خلال السنوات الست الأخيرة، قفزة كبيرة فى تصنيعها للأسلحة وتصديرها. وتتركز تجارة الأسلحة الإسرائيلية مع دول وشركات رسمية وجيوش، إلى جانب تجار الأسلحة الأفراد، وهم جنرالات وضباط سابقون فى الجيش الإسرائيلى انطلقوا إلى دول العالم المختلفة لبيعها، واختاروا دولا من العالم الثالث.

العلاقات بعد وصول نجاد

توصلت الاتهامات المتبادلة ما بين النظام الإيرانى ونظام الكيان الصهيونى منذ مجىء الرئيس أحمدى نجاد حيث اتسمت من الجانب الايرانى بالقوة والحسم والمباشرة السياسية، ومن الجانب الصهيونى جاءت تصريحات قادتهم إرهابية متطرفة للغاية إلى حد التهديد باغتيال الرئيس نجاد، هذا الى جانب التهديدات المستمرة بمهاجمة المنشآت النووية الإيرانية، إلا أن المثير فى هذا المحور أن الخطاب السياسى الإيرانى لم يقع أبدا فى زلة لسان واحدة من نوعية «زلة لسان بوش» ، بل كانت دائما تصريحاتهم متوازنة وموضوعية طبقا لتعاليم ومفاهيم الثورية الإسلامية، فلم يخرج الرئيس نجاد ولو لمرة عن خط وتصريحات الإمام الخمينى فى تصريحاته عن الكيان الصهيونى، وفى المقابل فقد حمل الخطاب السياسى الصهيونى فى شكله ومضمونه العنصرية والوحشية والطابع الإرهابى ضد الرئيس نجاد وإيران، بل إن الوقاحة قد تملكت منهم تماما عندما حاولوا دفع مجلس الأمن لتبنى قرار ضد إيران، وهى التصرفات التى أتت بثمارها الوقحة حيث أدان مجلس الامن الدولى تصريحات الرئيس محمود أحمدى نجاد الذى أكد أنه (يجب إزالة إسرائيل من الوجود).

وأعلنت وزارة الخارجية الايرانية فى بيان أن الإعلان الذى أصدره مجلس الأمن وافترضته إسرائيل لتغطية جرائمها واعطاء صورة عكسية للواقع، غير مقبول.

وتساءلت الوزارة عن سبب امتناع مجلس الامن عن إدانة التهديدات العسكرية التى يطلقها القادة الأمريكيون والإسرائيليون ضد إيران وعن إدانة (جرائم) النظام (الإرهابى) الإسرائيلى؟!

وتساءلت: كم مرة اجتمع مجلس الأمن لدراسة التهديدات التى تُطلق ضد إحدى الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة، كم إعلانا تبنى لإدانة هذه التهديدات؟!

وتحدث البيان عن التهديدات التى توجهها الولايات المتحدة وإسرائيل بأن إيران تسعى لامتلاك قنبلة ذرية، فأين المنشآت النووية الإيرانية؟

من جهة أخرى، أكدت وزارة الخارجية أن إيران لا تنوى مهاجمة إسرائيل وجاء فى البيان ان جمهورية إيران الإسلامية قطعت تعهدات بموجب ميثاق الأمم المتحدة، ولم تلجأ ولا هددت باللجوء إلى القوة ضد أى بلد وهى المرة الأولى التى تؤكد فيها إيران بوضوح أنها لا تريد مهاجمة إسرائيل، كما توحى تصريحات أحمدى نجاد الذى أكد بمناسبة يوم القدس العالمى، رغم موجة الاستنكار التى واجهته، أنه (يجب إزالة إسرائيل من الوجود).

ومع أن هذه الكلمات أصبحت أشبه بشعار فى إيران وكذلك عدم الاعتراف بإسرائيل، لم يطلق أى مسؤول إيرانى بمستوى أحمدى نجاد أى تصريحات من هذا النوع منذ فترة طويلة.

وفى نفس الوقت فقد أعلنت طهران فى ٢٠٠٥/١٠/٢٩ أنها ملتزمة بتعهداتها للأمم المتحدة بعدم استخدام العنف ضد أية دولة أخرى، وذلك فى ردها على الانتقادات الدولية لتصريحات رئيسها محمود أحمدى نجاد الذى تعهد بتدمير إسرائيل.

وقال بيان للخارجية الإيرانية "الجمهورية الإسلامية الإيرانية ملتزمة باتفاقات الأمم المتحدة، ولم تستخدم القوة ضد دولة أخرى، ولا تهدد باستخدامها"، وأضاف بيان رسمى أن الانتقادات التى وجهها مجلس الأمن إلى طهران "غير مقبولة".

ونقلت وكالة الأنباء الرسمية الإيرانية عن بيان للخارجية قوله: إن طهران فى دهشة من أن مجلس الأمن لا يدين فى المقابل التهديدات الإسرائيلية والأمريكية ضد طهران.

الهولوكوست ونهاية إسرائيل

وكان مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قد أصدر بيانا يوم ٢٨/١٠/٢٠٠٥ ادان فيه التصريحات المنسوبة إلى الرئيس الإيرانى، والتى قال فيها إنه "يجب إزالة إسرائيل من خريطة العالم"، وقد جاء ذلك بعد ان استنكرت العديد من الدول والمنظمات الدولية تلك التصريحات.

وقد رحبت إسرائيل بالطبع بما جاء فى البيان، ودعت إلى أن يبحث مجلس الامن تصريحات الرئيس الإيرانى.

وجاء نص البيان الذى أصدره مجلس الأمن بحق الرئيس نجاد: "يدين مجلس الأمن التعليقات التى أدلى بها السيد محمود أحمدى نجاد رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية بخصوص إسرائيل."

ولكن أحمدى نجاد أصر على أن تصريحاته كانت "صحيحة وعادلة وأن للغرب كامل الحرية فى التعليق عليها ولكن ردود فعلهم (أى المجتمع الدولى): "ليست مبررة" وقال إن كلمته تعبر عن رأى الشعب الإيرانى.

وفى ذلك الوقت فقد احتشدت فيه جماهير غفيرة فى شوارع طهران للتنديد بإسرائيل وحلفائها، وقالت وكالة الأنباء الإيرانية ان "آلاف الأشخاص خرجوا فى شوارع العاصمة وهم يهتفون "الموت لإسرائيل" و "الموت لأمريكا" و"الموت لصهيونية".

وقد تواصلت حملات جماهيرية دولية لتأييد الرئيس نجاد فى مواقفه وتصريحاته ضد الكيان الصهيونى حيث تظاهر نحو ٢٥ ألف مسلم بمدينة كانو شمالى نيجيريا تأييدا لدعوة نجاد، كما تكرر هذا الأمر فى كل من كوبا وفنزويلا وبعض الأقطار العربية.

ولم يشر بيان صدر عن وزارة الخارجية الإيرانية إلى تصريحات نجاد، ولكنه قال إن سفارات إيران فى أوروبا ستحتج رسميا على موقف أوروبا من الجرائم الصهيونية".

وأضاف البيان أن إيران ترى فى الدعم لإسرائيل سببا لتعقيد الوضع فى الشرق الأوسط.

وفى المقابل سعت الولايات المتحدة إلى إصدار بيان لإدانة تصريحات نجاد حول إسرائيل، وقد صدر بيان عن مجلس الأمن ينتقد تصريحات نجاد المتعلقة بمستقبل إسرائيل، ومن ضمن ١٥ دولة أعضاء المجلس تحفظت روسيا والصين والجزائر.

وقد رحب السفير الإسرائيلى دان جيلرمان بالبيان قائلا: "بعد ٦٠ عاما من المحرقة اليهودية، نرى رئيسا لدولة عضو فى الأمم المتحدة يدعو إلى إزالة دولة أخرى من الدول الأعضاء فى المنظمة الدولية من الوجود، إن هذا الأمر يعيد إلى ذاكرتنا أصداء مُرَّة من الماضى، وآمل ان تسمع هذه الرسالة بوضوح فى طهران."

وكان الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد قد أكد فى ١٤-٤-٢٠٠٦ ان ثمة "شكوكا جدية" حول حصول المحرقة اليهودية إبان الحرب العالمية الثانية وذلك خلال مؤتمر لدعم الفلسطينيين، وقال الرئيس الإيرانى "إذا كان ثمة شكوك حول المحرقة (اليهودية) فلا شكوك حول الكارثة والمحرقة اللتين تحلان بالفلسطينيين".

وأضاف ان "بعض القوى الغربية تعتقد أن الكثير من اليهود قتلوا خلال الحرب العالمية الثانية ومن أجل تعويض هذه الكارثة أوجدوا النظام

(الصهيونى)"، وتساءل نجاد "إذا كانت كارثة مماثلة حقيقية فلماذا على شعوب المنطقة (الشرق الاوسط) أن تدفع ثمن ذلك؟".

وأعلن أن إسرائيل تشكل "تهديدا دائما" لكنها "على طريق الزوال"، وقال أحمدى نجاد إن "النظام الصهيونى يشكل ظلما وتهديدا دائما"، وأضاف أن "النظام الصهيونى على طريق الزوال سواء أردتم ذلك أو لا"، وأكد الرئيس الإيرانى أن "شجرة المقاومة الفلسطينية تقوى فى حين أن شجرة الصهيونية يطاولها اليباس".

وقد واصل الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد فى ٢٤-٤-٢٠٠٦ تصريحاته ضد إسرائيل معتبرا أن "النظام الإسرائيلى الغاصب غير قابل للحياة".وقال عن الإسرائيليين "افتحوا أبواب هذا السجن الكبير (إسرائيل) واتركوا الناس يقررون بأنفسهم، سترون أنهم سيغادرون من تلقاء أنفسهم باتجاه أوطانهم".

وجدد أحمدى نجاد فى مؤتمر صحفى بطهران القول إن الدول الأوروبية مسؤولة عن إنشاء إسرائيل، "لقد أوجدتم مشكلة، حلوها" متسائلا: "لِمَ يتعين على شعوب الشرق الأوسط ان تستمر فى دفع الثمن بعد ستين عاما" من انتهاء الحرب العالمية الثانية.

إرهاب وتهديدات صهيونية

وفى المقابل فإن نائب رئيس الوزراء الإسرائيلى شمعون بيريز قد قال: إن إيران ربما ستدمر إذا واصلت تهديداتها لإسرائيل.

وقال بيريز إن على الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد الذى طالب بمسح إسرائيل من الخريطة، أن يتذكر أن بلاده يمكن أن تتعرض للتدمير.

وحث بيريز كل من روسيا والصين على الانضمام إلى الجهود الدولية التى تقودها الولايات المتحدة لفرض عقوبات على إيران بسبب طموحاتها النووية.

ويقول بيريز إن الوحدة التى يظهرها المجتمع الدولى قد تساعد فى منع حدوث تهديدات جديدة.

وإمعانا فى الإرهاب الصهيونى فقد روجت تقارير صحفية أن إسرائيل "تدرس جدياً" اغتيال الرئيس الإيرانى نجاد حيث ذكرت صحيفة "هآرتس" أن دوائر الاستخبارات الإسرائيلية تدرس بجدية اغتيال الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد الذى أعلن مؤخرا انضمام بلاده الى الدول النووية، كما وضعت الإسماعيل هنية رئيس حكومة حماس كهدف محتمل للاغتيال.

ونقلت صحيفة السفير اللبنانية بتاريخ ٢٢-٤-٢٠٠٦ تقريرا للمعلق الأمنى فى صحيفة "هآرتس" أمير أورن قال فيه: إن اغتيال كل من الرئيس الإيرانى ورئيس حكومة حماس بات أمراً يبحث بجدية فى أروقة الأمن الإسرائيلية، فيما وضع الملحق السياسى الأسبوعى لصحيفة "معاريف" صورة هنية محاطة بعلامة استهداف فى الصفحة الأولى.

وقال اورن ، المقرب من دوائر الاستخبارات الإسرائيلية، إنه برغم قناعة الإسرائيليين بأن نتائج الاغتيال غير متوقعة وأن تجربة اغتيال الأمين العام السابق لحزب الله، السيد عباس الموسوى لم تكن مرضية، فإن حال نجاد وهنية تختلف بعض الشىء، فنجاد رئيس دولة، وهنية رئيس حكومة منتخبة، ولكن سبق لإسرائيل إبان رئاسة إيهود باراك لهيئة أركان الجيش أن أبدت استعداداً لاغتيال الرئيس العراقى آنذاك، صدام حسين.

ويعتقد أورن أن " الأمر الخاص بأحمدى نجاد يرتبط بأنه ليس مجرد رئيس

دولة معادية تعمل قواتها المسلحة ضد إسرائيل، كما أنه ليس كأعداء إسرائيل الآخرين الداعين إلى تغيير سياستها، بل هو يدعو بحماسة إلى إبادتها" .

واعتبر اورن أنه " ينبغى على كل من إيران، "القاعدة" وحزب الله وحماس إدراك أن نجاحهم فى تحقيق حلم تدمير إسرائيل يعنى إلحاق كارثة بالإسلام الذى يتحدثون باسمه".

ويشدد أورن على أن نجاد اكتسب خلال الشهور القليلة فى منصب الرئاسة الإيرانية صفة من يثير القلاقل إقليمياً وعالمياً، ولذلك يعتبر إبعاده "عامل تلطيف" حسب تعبير المعلق الأمنى الاسرائيلى.

ويرى أن الإدانة الدولية لاغتيال إسرائيل لنجاد سوف يكون "طفيفاً ومحتملاً"، أما اغتيال إسرائيل لوزراء وممثلى حماس فى المجلس التشريعى فسوف يواجه انتقاداً أشد صخباً حسب تقرير اورن.

ويخلص إلى أنه إذا قرر المجلس الوزارى الإسرائيلى برئاسة إيهود أولمرت تصفية أحمدى نجاد أو هنية وزملائه، فإن التوقيع النهائى سيكون بيد أولمرت نفسه.

الصهاينة وتلفيق الأكاذيب

وقد حاول الكيان الصهيونى أن يكثف من حملاته السياسية ضد إيران حيث يصر دائما على توجيه التهديد المباشر لضرب إيران، لكن الأخطر هو قيام الصهاينة بتلفيق وتدليس الحقائق، فقاموا بترويج الأكاذيب والادعاءات الباطلة ضد إيران والرئيس نجاد، فى محاولة منهم لزعزعة الاستقرار الإيرانى الداخلى ولاستجداء التأييد الغربى لمحاولاتهم التلويح بالقوة فى وجه إيران واعتماد

خططهم لضرب طهران، فقاموا على سبيل المثال بتوجيه اتهامات ظالمة وغير حقيقية ومفبركة لنجاد بالاتصال بأحد أكبر المطلوبين عالميا لضرب مصالح غربية حيث نقلت صحيفة صنداى تايمز الصادرة فى ٢٣-٤-٢٠٠٦ عن خبراء أمنيين ومسؤول أمريكى سابق فى مجلس الأمن القومى زعمهم أن الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد حضر لقاء مطلع هذا العام مع عماد مغنية، الذى وصفته بأنه "واحد من أكثر الإرهابيين المطلوبين فى العالم".

وقالت الصحيفة "إن مسؤولين أمريكيين ومصادر فى الاستخبارات الإسرائيلية يعتقدون أن مغنية (قائد العمليات الخارجية فى حزب الله اللبنانى) تولى مسؤولية تدبير الرد الإيرانى ضد أهداف غربية فى حال أمر الرئيس الأمريكى جورج بوش بضرب المنشآت النووية الإيرانية".

ولمزيد من تشويه الحقائق والافتراء على الرئيس الإيرانى، زعمت الصحيفة "أن مغنية سافر فى يناير/كانون الثانى الماضى مع نجاد من طهران حيث التقى الرئيس الإيرانى قادة حزب الله وحركة الجهاد الإسلامى وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى لقاء سُمى (قمة إرهابية) بسبب وجود الكثير من الجماعات التى تقف وراء الهجمات ضد إسرائيل التى هدد نجاد بإزالتها من الخارطة".

ونسبت الصحيفة إلى مايكل لادين الخبير فى شئون الشرق الأوسط والمسؤول السابق فى البنتاجون ومجلس الأمن القومى الأمريكى قوله "إن مسؤولين أمريكيين بارزين أكدوا لى أن مغنية كان فى الاجتماع وأنى كنت على حق حين أشرت إلى احتمال أن يكون شارك فى لقاء ما سمى (قمة إرهابية) بسبب صعوبة التعرف عليه لأنه تردد بأنه غير وجهه وبصمات أصابعه".

وقالت صنداى تايمز "إن مغنية يعيش فى إيران وتمكن من تجنب الاعتقال لأكثر من ٢٠ عاماً رغم أن هناك مكافأة مقدراها ٥ ملايين دولار ثمناً لرأسه، وتدعى الاستخبارات الغربية أن له ارتباطات كثيرة بخلايا إرهابية فى أوروبا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة وأنه التقى بزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن".

ونقلت عن مصدر استخباراتى غربى "حين يقرر الإيرانيون ضرب الغرب، فإن عماد (مغنية) سيكون الأداة"، مشيرة إلى أن مصدراً دفاعياً إسرائيلياً "زعم أن مغنية يجرى اتصالات منتظمة مع وزير الاستخبارات الإيرانى غلام حسين محسنى أجاى".

وقال المصدر الإسرائيلى "نعرف أن أجاى يعقد لقاءات منتظمة مع مغنية الذى يتولى اليوم مسؤولية العمليات الخارجية لإيران ويجب ألا نتفاجأ حين نكتشف أن العمليات الإيرانية ضد الغرب وصلت إلى ذروة استعداداتها وأن مغنية يلعب الدور المحورى فيها من خلال معرفتنا بالهجمات الإيرانية السابقة وأنها تحتاج إلى عام من الإعداد".

ويشار إلى أن المخابرات الأمريكية تتهم "مغنية" بتدبير حادثة تفجير مقر المارينز الأمريكان فى بيروت عام ١٩٨٣ بالإضافة إلى الاشتباه فى علاقته بخطف طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية العالمية TWA فى بيروت عام ١٩٨٥، كما يشتبه بأنه وراء خطف غربيين بلبنان فى الثمانينيات، بينما تتهمه إسرائيل بتفجير مركز يهودى عام ١٩٩٤ فى بوينس أيرس الذى أودى بحياة ٨٥ شخصا، كما صدر أمر بالقبض عليه لتورطه فى تفجير سفارة إسرائيل هناك مما أسفر عن مقتل ٢٩ شخصاً.

أكذوبة اضطهاد اليهود

كما قام الصهاينة أيضا ببث أكذوبة اضطهاد الرئيس نجاد لليهود فى إيران فى محاولة منهم لزعزعة الجبهة الداخلية الإيرانية أملاً فى تحقيق مخططاتهم الصهيونية الشيطانية، حيث أشاعوا أن البرلمان الإيرانى قد أصدر قانونا يجبر اليهود الإيرانيين على ارتداء علامات مميزة، وهذا ما نفاه النائب اليهودى فى مجلس الشورى الإيرانى (البرلمان) موريس معتمد بشدة، وقال إن ما جاء فى هذا الشأن فى إحدى الصحف الكندية هو معلومات خاطئة تماما، وأنها اكذوبة، والناس اخترعوها لكى يستغلوها سياسيا، لم يتطرق النص إطلاقا إلى الأقليات الدينية).

وقال إن: النواب الذين يمثلون الأقليات الدينية (اليهودية والمسيحية والزرادشتية) موجودون فى كل لجان البرلمان وتحديدا اللجنة الثقافية وهذه المعلومة لا أساس لها من الصحة.

وتبنى المجلس مشروع قانون يرمى إلى تشجيع زى نسائى إيرانى وإسلامى، سيرغم الحكومة بعد إقراره على أن تشجع وتساعد مالياً زياً مستوحى من الأزياء التقليدية الإيرانية.

أما الناطق باسم وزارة الخارجية الأميركية شون ماكورماك، فأكد أنها ليست المرة الأولى التى تتردد معلومات غير مؤكدة عن مشروع القانون الإيرانى هذا، موضحا انه هو أيضا لم يحصل على تأكيد.

مستقبل العلاقات

عندما نحاول تتبع مسارات وتطورات العلاقات الإيرانية- الإسرائيلية منذ إنشاء الدولة العبرية قبل نحو ٥٨ عاماً، نجد أن هذه العلاقات كانت تشكل فى طابعها وقوانينها الخاصة أبعاداً ذات طابع خاص، فتأسيس الدولة العبرية كان يوازيه فى إيران استمرارية حكم الدولة البهلوية بقيادة الشاه محمد رضا بهلوى الذى كان يتمتع بعلاقات وطيدة بالأمريكان طوال هذه الفترات، لذا فكانت دولة الشاه هى من أوائل الدول التى اعترفت بالكيان الصهيونى وسمحت له بفتح سفارة فى طهران، ولكن مع ازدياد الرفض الشعبى الإيرانى لممارسات الشاه وفى ظل تأثير أفكار وتعاليم الإمام الخمينى على قطاع كبير من الشعب الإيرانى قامت الثورة الإسلامية فى إيران فى العام ١٩٧٩ لتسقط نظام الشاه وتخلع معه كافة علاقاته المشبوهة سواء مع أميركا أو مع إسرائيل.

ومنذ هذا اليوم وحتى وقتنا هذا، لم تستطع الدولة العبرية جذب الجانب الإيرانى إليها أو حتى تجاوزه، حيث وقف النظام الإسلامى فى إيران كعقبة (شوكة فى حلق) رئيسية أمام طموحات الكيان الصهيونى، وذلك بعدما وصفه الخمينى بالشيطان الأصغر وطالب بتره من جسد العالم، ولم يتوقف الأمر عند الوصف أو الإشارة طوال فترة الـ ٢٧ عاماً الماضية (وهى عمر نظام الثورة الإسلامية الذى مر عليه ستة رؤساء)، بل امتد إلى الفعل والتأثير لمواجهة طموحات الكيان الصهيونى فى فلسطين ولبنان، حيث قامت إيران بدعم أغلب حركات المقاومة داخل فلسطين وخصوصا جماعة الجهاد الإسلامى، وداخل الجنوب اللبنانى وخصوصا حركة حزب الله، وهو الدعم الذى كبد الصهاينة

الكثير من الخسائر وأحبطه معنويا لما أحدثته المقاومة فى فلسطين من زعزعة لأمنه واستقراره، ولما حققه حزب الله من انتصار رائع عليه فى جنوب لبنان مما اضطره إلى الانسحاب من الجنوب اللبنانى فى مايو ٢٠٠٠.

لذا فقد اعتبر الكيان الصهيونى أن إيران هو العدو رقم واحد له ولطموحاته، وقد ازداد هذا الاعتبار بعد تولى الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد مقدرات السلطة فى إيران، حيث عادت النبرة الثورية الجهادية إلى الخطاب الإيرانى الموجه لإسرائيل؛ حيث طالب الرئيس نجاد بمحو إسرائيل من على خارطة العالم ثم شكك فى الهولوكوست وأكد على أن نهاية إسرائيل مؤكدة فى أسرع وقت ممكن.

وهو الأمر الذى تسبب فى ربكة لدى الصهاينة لأنهم وجدوا من يواجههم بالحقيقة، والواقع أن هذه الحقيقة هى التى ستحدد أطر العلاقات المستقبلية بين النظام الإسلامى فى إيران والكيان الصهيونى، ففى ظل قيادة النظام الإسلامى الثورى فى إيران ستظل إسرائيل مهددة، ومكتئبة لما يمكن أن يواجهها فى المستقبل، وقد وصل قلقها واكتئابها إلى حد إطلاقها قمراً صناعياً للتجسس على إيران فحسب، ولكن هل يمكن أن يحقق هذا القمر التجسسى ما فشل فيه الأميركيون طوال الـ ٢٧ عاماً الماضية؟، سؤال إجابته فى محتواه!!

الفصل السابع

الشيطان الأكبر

يخطئ من يظن أن علاقات التوتر بين أميركا وإيران بدأت مع وصول الرئيس أحمدي نجاد إلى سدة الحكم، ومواقفه الثورية التي تجاوبت وعبرت عن الطموحات الشعبية الإيرانية، ففي الواقع أن الورقة الأولى في ملف المواجهة مع أميركا بدأت عقب انتصار الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني في إيران في العام ١٩٧٩، ثم راحت أوراقه تتراكم تدريجياً مع ثبات أقدام هذه الثورة وتحولها إلى دولة قابلة لأن يتمحور حولها مشروع نهضوي جديد في المنطقة أكثر خطراً على الغرب من كل ما سبقه من مشاريع، فمن الواضح أن صدام الثورة الإيرانية مع إسرائيل، القوة الإقليمية الطامحة في الهيمنة على المنطقة، ومع الولايات المتحدة، القوة الإمبراطورية الطامحة في الهيمنة على العالم، بدأ منذ اللحظات الأولى للثورة، جسّد هذا الصدام حدثين، الأول: طرد البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية من طهران وتحويل مقرها إلى مقر لمنظمة التحرير الفلسطينية، والثاني: استيلاء الطلاب الغاضبين على مقر البعثة الدبلوماسية الأميركية واحتجاز العاملين فيها كرهائن لمدة ٤٤٤ يوماً!

غير أن دخول الولايات المتحدة وإسرائيل في صدام مباشر وشامل مع الثورة الإيرانية في تلك المرحلة المبكرة كان أمراً مستبعداً لسببين، الأول: حاجة الولايات المتحدة إلى دعم القوى الإسلامية (بشقيها الراديكالي والمحافظ) وحشدها في مواجهة الاتحاد السوفياتي الذي كان يشكل مصدر التهديد الأكبر في نظام دولي ثنائي القطبية، خصوصاً بعد احتلاله أفغانستان. الثاني: وجود بدائل أخرى لخوض حرب غير مباشرة ضد إيران بواسطة طرف أو أطراف ثالثة، إذ سعت الولايات المتحدة لتشجيع صدام حسين على دخول الحرب ضد إيران وأعطت بعض الدول ضوءاً أخضر لدعمه سياسياً وتقديم مساعدات مالية سخية

له، ثم، وبعدما نجحت فى إشعال الحرب، عمدت إلى تغذيتها وإطالتها إلى أقصى مدى ممكن وذلك بتقديم المساعدة للطرفين المتحاربين علناً وسراً (فضيحة إيران-كونترا)، وحين انتهت الحرب بعد ثمانى سنوات سعت إيران إلى إعادة البناء الداخلى، وتشغيل مشاريع التنمية التى عطلتها الحرب.

المفارقة هنا، أنه بينما كانت إيران تعمل على إعادة ترتيب بيتها من الداخل وتركز على تعبئة وحشد طاقاتها على طريق التنمية كان أعداؤها المتربصون يرتكبون من الحماقات ما يكفى لحصولها على جوائز مجانية على صعيد السياسة الخارجية لم تكن تحلم بالحصول عليها بجهودها الذاتية. فحين أراد عراق صدام- خصم إيران الإقليمى العتيد وبوابته المطلة على العالم العربى- أن يصبح القوة الإقليمية الأولى فى المنطقة بضم الكويت وابتلاعها، تكفلت الولايات المتحدة- خصم إيران العالمى- بتحجيم طموحاته ووضعه «فى القفص». وحين قرر بن لادن، -حليف نظام طالبان المعادى لإيران وخصمها الفكرى العتيد- توجيه ضربة قاسية للولايات المتحدة فى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كانت إيران هى المستفيد الأول من فعل بن لادن ومن رد الفعل الأميركى، فتم إسقاط نظام طالبان المعادى، وحين اعتقد اليمين الأميركى المحافظ أن اللحظة باتت مناسبة لتنفيذ «مشروع القرن الأميركى الجديد»، انطلاقاً من غزو العراق، كانت إيران مرة أخرى هى أكبر المستفيدين. فمن ناحية، تكفلت الولايات المتحدة هذه المرة بإزاحة نظام صدام حسين نهائياً، ومن ناحية أخرى تكفلت المقاومة العراقية وفلول تنظيم القاعدة الهارب من أفغانستان إلى العراق باستنزاف القوات الأميركية، لينتهى الأمر بتدمير العراق كدولة، وبينما كان المحافظون الجدد فى إدارة جورج بوش يخططون لكى يصبح العراق نقطة ارتكاز تنطلق منها القوات

الأميركية لتطهير المنطقة من النظم والقوى المعادية لها، وعلى رأسها النظامان الإيرانى والسورى وقوى المقاومة المسلحة فى فلسطين ولبنان، إذ بسياساتهم تؤدى إلى انغراس الولايات المتحدة حتى أذنيها فى الوحل العراقى.

ومن الواضح أن الولايات المتحدة باتت تعتقد أن إيران أصبحت القوة الإقليمية الأكبر فى منطقة الشرق الأوسط وربما فى العالم الإسلامى كله. ولأن هذه القوة هى بطبيعتها قوة معادية لها، أو على الأقل لا يمكن أن تكون حليفة لها، فمن المتوقع أن ترسم الولايات المتحدة سياستها على أساس استحالة التعايش مع إيران فى ظل استمرار نظامها الإسلامى الراهن، خصوصاً أن نفوذها مرشح للتزايد فى المرحلة المقبلة وليس للانكماش أو الانحسار. فبسقوط نظام طالبان فى أفغانستان أصبح النفوذ الإيرانى مفتوحا على شرق العالم الإسلامى كله، وبسقوط نظام صدام حسين فى العراق اصبح نفوذها مفتوحا على غرب العالم الإسلامى كله، فضلاً عن أن لها حلفاء أقوياء فى سورية ولبنان وربما فى فلسطين أيضاً.

وفى اعتقادى أن الولايات المتحدة تدرك تمام الإدراك أن معركتها ليست مع إيران كدولة وإنما مع ما تجسده وبالتالى مع التحالف الذى تشكل إيران نواته الصلبة، أى التحالف الإيرانى السورى المدعوم من جانب المقاومة الفلسطينية وحزب الله اللبنانى. ولذلك لا أشك لحظة فى أن معركة إعادة ترتيب الأوراق على الساحة اللبنانية، والذى بدأت بأزمة التمديد للسيد إميل لحود التى بلغت ذروتها باغتيال الرئيس رفيق الحريرى، كانت هى البداية الحقيقية لسلسلة معارك على طريق الحرب لتغيير النظام فى طهران، وهى لن تكون سهلة على أى حال، بالنظر إلى الأوراق التى يملكها الطرفان، خصوصاً الطرف الإيرانى. وليس

ملف إيران النووى سوى واحدة من هذه المعارك، أو بالأحرى ذريعة من ذرائعها.

الأوراق التى تملكها إيران كثيرة، فهناك ورقة النفط، وهى من أهم الأوراق فى مرحلة تبدو فيها أسعار هذا الخام الثمين مرشحة للارتفاع أكثر، على رغم تشغيل محطات استخراج وتكرير النفط بأقصى طاقاتها الإنتاجية، وهناك ورقة العراق، حيث يبدو النفوذ الإيرانى قادراً على تحويل الساحة العراقية إلى جحيم حقيقى لقوات أميركية يصل تعدادها إلى نحو مئة وخمسين ألفاً. فمن المتوقع أن تتحول هذه القوات إلى رهائن إذا ما أشهر الشيعة سلاح المقاومة فى وجهها. وهناك ورقة «حزب الله» القادر على توجيه ضربات موجعة إلى إسرائيل إذا ما تعرضت حليفته إيران للأذى، وهناك أخيراً المقاومة المسلحة الفلسطينية التى يمكن لإيران مدها بالمال والسلاح، بما قد يزيد من فاعلية عملياتها.

غير أن هذه الأوراق الإيرانية الكثيرة قد لا تكون كافية لردع الإدارة الأميركية الحالية. فهذه الإدارة التى ترسم سياستها استناداً إلى قناعات أيديولوجية يصعب تغييرها، تعتقد أن فى وسعها الاعتماد على «أنظمة الحكم العربية السنية الصديقة فى المنطقة»، ولا شك أنها ستحاول استغلال المخاوف التى عبر عنها بعض المسؤولين الأردنيين فى معرض حديثهم عن «الهلال الشيعى»، أو بعض المسؤولين فى الخليج الذين عبروا عن قلقهم من أن السياسات الأميركية فى المنطقة تصب فى مصلحة إيران وتضاعف من نفوذها، غير أنه لا توجد- فى تقديرى- مصلحة عربية على الإطلاق فى التحالف مع الولايات المتحدة ضد إيران، أو حتى فى الوقوف على الحياد فى أية مواجهة محتملة بين الطرفين، المصلحة العربية تكمن أولاً فى منع حدوث مثل هذه المواجهة، إن أمكن، وثانيا: فى تقديم الدعم لإيران إذا استحال منع حدوثها، ولو كان بيدى الأمر لنصحت

القادة العرب بإجراء حوار فورى مع إيران، وهو الأمر الذى تحقق باجتماع لوزراء خارجية دول الجوار للعراق والذى عقد فى طهران فى يوم ٢٠٠٦/٧/٦ لبحث مستقبل العراق وجرت فيه لقاءات ثنائية عربية- إيرانية هامة من بينها لقاء الرئيس أحمدى نجاد مع السيد عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية، ومثل هذه الحوارات تقرب وجهات النظر العربية- الإيرانية وتبلور إستراتيجية موحدة.

مليارات الدولارات سرقتها أميركا

ويتحدث الكاتب محمود عوض فى مقال له نشرته جريدة الحياة اللندنية بتاريخ الأحد ٧ مايو ٢٠٠٦ مشيرا إلى أن القصة الأميركية مع إيران لم تبدأ بالملف النووى، بل بدأت منذ قيام المخابرات الأميركية بقلب حكومة محمد مصدق فى سنة ١٩٥٢ وهى المنتخبة ديمقراطيا من الشعب الإيرانى، وكل ذلك بسبب تجرؤ حكومة مصدق وقتها- بدعم من البرلمان- على تأميم البترول الإيرانى بعد٢٦ سنة من عمالة شاه إيران لأميركا وإسرائيل وبيع بترول إيران برخص التراب، فقامت ثورة شعبية فى إيران بجذور حقيقية فى التربة الإيرانية من وقتها والحصار الأميركى لإيران مستمر، فضلاً عن العقوبات وفى بعض الأحيان الضربات العسكرية. أميركا لم تشجع صدام فقط على غزو إيران ولكنها فى المرحلة الأخيرة من حربه ساعدته بتدمير نصف الأسطول الإيرانى فى الخليج وأسقطت طائرة ركاب مدنية بكل ركابها قتلى.. وبحجة أن الأمر من باب

الخطأ، لكن بغير خطأ ربما يتذكر العالم ان أميركا كعقاب آخر للثورة الإيرانية، صادرت الودائع الإيرانية فى البنوك الأميركية، ولا يزال هناك عشرة بلايين دولار مصادرة أميركيا منذ ١٩٧٦ وهى أساسا أموال الشعب الإيرانى، وترفض أميركا مجرد التفاوض على إعادتها.

وفى الحملة الدعائية المتصاعدة ضد إيران تلوح أميركا بورقة الحظر النووى الإيرانى، التوجه النووى الإيرانى بدأ أصلاً فى عهد شاه إيران وبتكنولوجيا أميركية ثم ألمانية، وبعد توقف مؤقت فى البرنامج عقب نجاح الثورة استأنفت إيران برنامجها السلمى بالقواعد المسلم بها فى المجتمع الدولى.

إيران منضمة أصلاً إلى معاهدة منع الانتشار النووى (منذ سنوات الشاه) وهى جددت عضويتها فى وكالة الطاقة النووية، وبتلك الصفة فإن كل البرنامج النووى الإيرانى السلمى هو تحت مراقبة ومتابعة الوكالة الدولية ومفتشيها، وزيادة فى طمأنة المتخوفين وقعت إيران فى ديسمبر٢٠٠٣ بروتوكولا إضافيا ألحت به عليها كل من فرنسا وألمانيا وبريطانيا، ولأن الطمأنة لم تمض فى اتجاهين كما كان متفقا عليه استأنفت إيران عملية تخصيب اليورانيوم، وهو حقها الطبيعى أصلا ككل الدول الأعضاء فى وكالة الطاقة النووية.

التربص الأميركى بإيران كان مسبقاً على ذلك بكثير، الكونجرس الأميركى مثلا أصدر قانونا يعاقب أية دولة تستثمر اكثر من عشرين مليون دولار فى صناعة البترول الإيرانية- عقوبة إضافية فى قائمة العقوبات الأميركية ضد إيران منذ ١٩٧٩، ولأن الإدارة الأميركية الحالية جاءت إلى السلطة أصلاً ولديها برنامج معلن للهيمنة العالمية ومشروع إمبراطورى باتساع العالم، فإنها لم تكتف بغزو أفغانستان والعراق ولكنها أيضاً عقدت العزم مبكراً لغزو إيران.. وبالقليل إسقاط

النظام الحاكم فيها. وفى صيف ٢٠٠٤ استصدرت الإدارة من الكونغرس قراراً باتخاذ (كل الإجراءات الملائمة) لمنع برنامج التسلح الإيرانى. القرار بصياغته تلك يكاد يصبح تفويضاً على بياض بشن حرب أميركية ضد إيران.

بتعبير من زبيجنيو بريزينسكى مستشار الأمن القومى الأسبق فى رئاسة جيمى كارتر فإن محاولة شن هجوم على إيران سيكون عملاً من أعمال الحماقة السياسية؛ لأنه سيؤدى إلى إطلاق سلسلة من الفورانات متصاعدة الدرجة فى الشؤون الدولية، وإذا أخذنا فى اعتبارنا أن الولايات المتحدة تتحول الآن وبشكل متزايد إلى هدف للكراهية فى الكثير من مناطق العالم، فإن ذلك قد يعنى أن عنصر التفوق الأميركى ربما ينتهى قبل الأوان، وعلى رغم أن الولايات المتحدة هى القوة المهيمنة فى العالم فى الوقت الراهن، فإنها لا تملك القوة ولا النية لفرض إرادتها والاستمرار فى فرض تلك الإرادة فى وجه مقاومة طويلة ومكلفة، وهذا بالتأكيد هو الدرس الذى خرجت به من تجربتها فى فيتنام والعراق.

لكن مثل هذا التأكد لدى بريز ينسكى ليس صحيحاً على الأقل بالنسبة للإدارة الأميركية الحالية، فحتى الآن، وبعد ثلاث سنوات من غزو العراق و١٦٠ ألف جندى للاحتلال و٢٤٠٠ قتيل أميركى ومئات البلايين من الدولارات لا تزال الإدارة تتحدث عن عراق آخر غير الموجود فى الواقع ونشرات الأخبار. وبرغم تلميحات مراوغة عن إمكانية الانسحاب الأميركى من العراق يوماً ما (حيث تكتمل المهمة) غير المعلنة فإنها تقيم القواعد العسكرية الدائمة فى العراق، فضلاً عن إنفاق ألف مليون دولار لإقامة سفارة محصنة فى بغداد ستكون الأكبر فى العالم، والقوات العراقية التى تدربها أميركا بهدف أن تتصدى هى لحماية قوات الاحتلال الأميركى مستقبلاً، وحتى حينما اعترفت كوندوليزا رايس وزيرة

الخارجية الأميركية على استحياء بارتكاب آلاف من الأخطاء التكتيكية فى العراق حرصت فى نفس الجملة على أن تؤكد صحة الهدف الاستراتيجى من الذهاب إلى العراق، مع ذلك فوزير الدفاع الأميركى دونالد رامسفيلد ينكر حتى الأخطاء التكتيكية قائلاً: إنه لا يعرف شيئاً عن الذى كانت تتحدث عنه زميلته وزيرة الخارجية.

وكما كتب بريزينسكى فإن إعلان إيران عن تخصيب كمية قليلة من اليورانيوم أطلق العنان لنداءات مستعجلة لتوجيه ضربة جوية أميركية وقائية ضد إيران من نفس المصادر التى حثت من قبل على شن حرب ضد العراق، إذا وقع هجوم آخر فى الولايات المتحدة فبإمكانك أن تراهن على أنه ستكون هناك تهم فورية عن مسؤولية إيران من أجل خلق هيستريا عامة لمصلحة الإجراء العسكرى.

لكن الهيستريا بدأت فعلاً ومتصاعدة على مدار الساعة وكل ملاحقات ومناورات أميركا مع الصين وروسيا داخل وخارج مجلس الأمن والأمم المتحدة هدفها المضاد هو تنحيتهم جانبا حتى تنجح أميركا فى الاستفراد بإيران، وكأن أحداً لم يتعظ بالمرة من تلك الجناية المستمرة التى ترتكبها أميركا فى العراق.. ولا من سيناريو التضليل المتعمد الذى سبق الغزو واستمر من بعده.

ربما نجد من يتعظ فى السياق الأشمل لكنه فى هذه المرة ليس سوى الكاتب الأميركى الروسى الأصل الكسندر سولجينتسين الفائز بجائزة نوبل فى الآداب سابقاً، ذلك الأديب الروسى كان أشهر المنشقين الخارجين غضباً واحتجاجاً على الاتحاد السوفياتى السابق، وفى حينها لجأ إلى أميركا وحصل على جنسيتها فأصبح رسميا مواطناً أميركياً، وبتلك الصفة تابع ما جرى لبلاده وما تفعله أميركا بروسيا من وقتها وآخره محاصرة روسيا ذاتها بقواعد حلف شمال

الأطلسى.الآن يوجه سولجينستين اتهامه إلى السياسة الأميركية علناً بأنها تسعى إلى (تجريد روسيا من سيادتها) مفسراً بقوله: (إن حلف شمال الأطلسى يعزز فى شكل مدروس وجوده العسكرى فى شرق أوروبا وحول روسيا من جهة الجنوب ويقدم دعماً مادياً وعقائدياً مكشوفاً لمساندة الثورات الملوثة فى فضاء الاتحاد السوفياتى السابق بهدف تطويق روسيا عسكريا من الجهات كلها تمهيداً لتجريدها من سيادتها).. وحذر من أن (السياسة العدوانية للحلف وواشنطن التى تحمل شعارات نشر الديمقراطية الغربية يمكن أن تؤدى إلى انهيار الحضارة المسيحية برمتها).

تدمير مشروع
الشرق الأوسط الكبير

وبغض النظر عن هذه التفاصيل فإن إيران تعتبر قوة يحسب لها ألف حساب نظراً لحجمها وعدد سكانها وموقعها الجغرافى الاستراتيجى وثرواتها الطبيعية وامتداداتها الدينية والمذهبية وتحالفاتها داخل المنطقة وخارجها ومصالح الدول الكبرى فى أسواقها الناشئة، وعلى رغم التأكد بأن من حق كل دولة الحصول على الأسلحة القادرة على درء الأخطار المحدقة بها وعلى رغم شجب ازدواجية المعايير فى غض الطرف عن إسرائيل فى حشد ترسانتها النووية فإن من حق العرب أن يتساءلوا عن مبررات إيران فى التصعيد والتحدى ثم فى الإصرار على إنتاج أسلحة نووية على رغم عوامل القوة التى أشرت إليها ومن حق العرب أيضاً أن يعبروا عن القلق من الصراع المتجدد ونتائجه على مصيرهم وإمكانات تعرضهم

للأخطار أو للتلوث الإشعاعى، أو حتى لتهديد نووى حقيقى فى حالة انطلاق شرارة المواجهة العسكرية، وللعلم فإن مساحة إيران مليون و٦٨٤ ألفاً و١٨٤ كيلو متراً مربعاً، وهى دولة متعددة الأعراق والأجناس والأقوام والأديان واللغات تشبه فى تكوينها السجادة العجمية الشهيرة إذ إنها تتكون من ألوان وأشكال عدة ولكن يغلب عليها لون سائد هو العنصر الفارسى الذى يشكل نحو ٦٠فى المئة من مجموع سكان إيران الذين يتوزعون على قوميات وأعراق أخرى مثل الأكراد (١٠ ملايين) والأذريين (١٢ مليوناً) وعاصمتهم مدينة تبريز إضافة إلى ملايين العرب فى ولاية "عربستان" التى أصبح أسمها خوزستان وعاصمتهم مدينة المحمرة التى أصبح أسمها خور مشهر، وهناك أقليات أخرى مثل التركمان والبلوش والزردشت والأرمن المسيحيين والأرثوذكس وحتى اليهود وهناك الآن ملايين المهاجرين الإيرانيين فى دول العالم فروا من ديارهم بعد الثورة، ومنهم المعارضون المنتمون لـ "مجاهدى خلق"، وأنصار الشاه الراحل وغيرهم ممن سيشكلون خطراً حقيقياً على الثورة فى حالة وقوع حرب أو اضطرابات وعلى رغم تعدد هذه الأقوام فإن الدين الرسمى للدولة هو الإسلام على المذهب الشيعى الاثنى عشرى الجعفرى الذى تدين به الأكثرية، وعلى رغم تعدد اللغات فإن اللغة الرسمية الوحيدة المعترف بها هى اللغة الفارسية، ومازالت إيران تتمسك بتقاليد فارسية وبثوابت ترفض التخلى عنها، وقد أثارت أخيراً زوبعة من الاعتراضات على الموسوعة البريطانية العالمية لاعتمادها اسم الخليج العربى، أما عن الثروات فهى كثيرة من بينها الثروة النفطية حيث يقدر احتياطى البترول فيها بنحو ٩٠ بليون برميل أى ما يعادل ١٠ فى المئة من احتياطى العالم وهى تصدر نحو ٣,٦ مليون برميل يومياً وهذا طبعاً عدا الثروات الزراعية والمائية والغاز والسجاد.

الإدارة الأميركية تنظر إلى دور إيران الجديد كقوة عسكرية و اقتصادية يمثل الكثير من التحدى فى منطقة الخليج فى العراق وسورية ولبنان، وإضافة إلى منطقة أسيا الوسطى وهى ترى أن قوتها الحربية المتنامية، تشكل تهديداً مباشراً للقوات الأميركية المرابطة فى أفغانستان وباكستان والعراق والخليج خصوصاً أنها نجحت فى تطوير جيلين من الصورايخ هما "شهاب" و"فجر" بواسطة تعاونها مع الصين وروسيا وكوريا الشمالية ولقد أعلنت آخر ٢٠٠٥ أن صاروخ "شهاب ٤" أصبح جاهزاً للاستخدام وأن مداه يبلغ أكثر من ألفى كيلو متر، الأمر الذى يجعله قادراً على ضرب كل المدن الإسرائيلية وبعض الأهداف فى غرب أوروبا.

السبب الآخر هو الذى تقدمه واشنطن لتفسير مخاوفها وقلقها يتعلق بإصرار إيران على إحباط مشروع جورج بوش المعروف بـ"مشروع الشرق الأوسط الكبير" أى المشروع الذى يضم الدول العربية إضافة إلى تركيا وإيران وباكستان وأفغانستان وإسرائيل ويبدو أن إسرائيل اشترطت قبل أنتقالها لتنفيذ المرحلة الثانية من خريطة الطريق "حل كل المنظمات الفلسطينية التى تعتبرها "إرهابية" مثل. حماس و"الجهاد" الإسلامى" وكتائب شهداء الأقصى " وسائر الأحزاب المسلحة.

وترى طهران أنه من الإجحاف بحق الفلسطينيين أصحاب الأرض تجريدهم من سلاحهم بهدف استسهال طردهم أو فرض الحلول الاستسلامية عليهم كما ترى أنه من حقها مناصرة حلفائها الفلسطينيين، وإعانتهم على المقاومة بواسطة المال والسلاح والمتطوعين، ويتوقع المراقبون فى رام الله وغزة هزيمة رئيس السلطة محمود عباس، وتياره المؤيد لاتفاق أوسلو خلال الانتخابات التشريعية ولقد تعرض للانتقاد بسبب تهديده بالاستقالة فى ما إذا فازت قائمة

المعارضة، لأن هذا الإعلان يعطى الأصوات المترددة الحجة لتأييد "حماس" ومن هنا تتخوف إدارة بوش من وصول القوى الأصولية المتطرفة الى الحكم فى غزة والضفة الغربية الأمر الذى يثبت تكرار تجربة الجزائر فى هذا الجزء من العالم العربى كما يثبت أن إيران ستتحول إلى الجهة الأكثر تأثيراً على مسار القضية الفلسطينية، وأنها ستحل محل مصر والترويكا الأوروبية فى أية محادثات قد تعيد مشاريع السلام إلى نقطة البداية خصوصاً أن القيادة الإيرانية نجحت فى توحيد صفوف الحركات المعارضة بهدف إرباك السلطة وإعاقة تحقيق مشروع المصالحة التاريخية.

فى ضوء هذه الاعتبارات الإقليمية تنظر الولايات المتحدة إلى إيران كقوة تهديد لمصالحها فى المنطقة، وهى تبنى قناعتها على فرضيات كثيرة منها: بناء ترسانتها الصاروخية والنووية وتشجيع الحركات الاصولية الإسلامية ودعم المعارضة الفلسطينية وإجهاض مشروع محاربة «الإرهاب».

وتعلق وزارة الدفاع الإيرانية التى تقود جيشاً يزيد عدد أفراده على نصف مليون جندى على كلام واشنطن بالقول: إنه غير دقيق وغير صادق، ففى الحرب الأفغانية تعاونت طهران مع الجيش الأميركى للتخلص من نظام «طالبان» فكانت تسمح للطائرات بعبور أجوائها وهى ترى أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة كانت تتجاوز خطوط الحظر لأسباب سياسية انتخابية، ففى عهد الرئيس رونالد ريجان عقدت إدارته صفقة سلاح ضخمة مع إيران، وفى عهد جورج بوش الأب جرت محاولة تقارب ديبلوماسية أدت إلى إطلاق سراح محتجزين فى لبنان سنة ١٩٩١، وفى عهد الرئيس بيل كلينتون وافقت إدارته على إرسال أسلحة من إيران إلى البوسنة سنة ١٩٩٥، أى أثناء تطبيق سياسة الحظر- بقيت الولايات

المتحدة الدولة الرابعة من حيث سجل التعامل التجارى السرى أو من حيث كميات النفط المصدرة إلى أميركا بواسطة العملاء.

المخاوف الأميركية غير المعلنة تشير إلى احتمال ظهور إيران بعد عشر سنوات كقوة إقليمية قادرة على حماية مؤسساتها ومنشآتها إضافة إلى رعاية مكتسبات الطائفة الشيعية فى العراق ولبنان ودول الخليج ومن الواضح أن تطوير ترساناتها العسكرية سيشكل قوة توازن تعتبرها أميركا تهديداً مباشراً لقواعدها فى المنطقة لحماية آبار النفط وحقول الغاز، ويستدل من سلوك الصين وروسيا تجاه الأزمة مع إيران، أنهما لا تمانعان فى طرد النفوذ الأميركى بغية التخلص من هيمنة احتكار الشركات الغربية لمصادر الطاقة وفى ظل الظروف القائمة تميل الإدارة الأميركية إلى التهدئة بانتظار الانتخابات الإسرائيلية وما ستفرزه من قيادات قادرة على التعامل مع القوة العسكرية الإيرانية المتنامية مثلما تعاملت مع نظام صدام حسين.

ويرى يهود أولمرت وريث شارون أن إسرائيل قادرة على تعطيل الهجمة الإيرانية من خلال الضغط على الحكومات فى الصين وروسيا والولايات المتحدة وتركيا.

ولم يخف أولمرت انزعاجه من الصمت الدولى ازاء تصريحات الرئيس نجاد حول خرافة الهولوكوست وضرورة طرد اليهود من فلسطين والبحث لهم عن وطن جديد، وراح يحرض ضد إيران خاصة إن الشارع الفلسطينى المقهور استماله هذا الكلام بسبب النتائج التاريخية التى احدثها انهيار الاتحاد السوفيتى، ودلت تلك النتائج على أن كل دولة انقسمت بالقوة مثل ألمانيا عادت واتحدت وإن كل دولة اتحدت بالقوة عادت، وانفصلت مثل يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والرهان فى غزة الآن على انتخاب قيادة تعيد عقارب الزمن إلى الوراء بحيث يتسنى للشعب

الفلسطينى مراجعة قضيته أمام المحافل الدولية وبالمقابل يقف فى إسرائيل بنيامين نتانياهو للعب دور قيادى شبيه بدور مناحيم بيجن الذى أمر بضرب المفاعل النووى العراقى بتشجيع من آرييل شارون ولقد باشر حملته بتطمين المجتمع اليهودى إلى صحة اختياره وآمنه ومثل هذا الوعد يدعمه وعد آخر بأن إسرائيل ستظل وحدها الدولة المالكة للترسانة النووية فى المنطقة، وعلى الرئيس أحمدى نجاد أن يثبت بعد اليوم أنه لن يتخلى عن برنامجه النووى مهما اشتدت الضغوط الدولية وارتفعت صيحات التحذير والاستنكار.

شروط أميركية- إيرانية متبادلة لتحسين العلاقات

وتضع الولايات المتحدة أربعة شروط أساسية لتطبيع العلاقات مع إيران، وقد طرحت هذه الشروط فى المواقف الرسمية والدعائية الغربية، وربما لا يكون من الضرورى أن يتم تكرارها هنا مرة أخرى ولكن من أجل تقييم العلاقات بين البلدين لابد من أن نتعرف على هذه الشروط:

١- عدم معارضة مسيرة السلام فى الشرق الأوسط واعتراف إيران رسميا بالنظام الصهيونى.

٢- امتناع إيران عن دعم الجماعات الفلسطينية المناضلة مثل الجهاد الإسلامى وحماس، وكذلك جماعة حزب الله فى لبنان، ويطالب الأميركيون بقطع أية علاقة بين هذه الجماعات المعادية للصهيونية وبين الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٣- وقف أى مسعى لإنتاج أسلحة الدمار الشامل لأن هذا الأمر من وجهة النظر الأميركية من شأنه أن يؤدى إلى الإخلال بالأمن والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط.

٤- احترام حقوق الإنسان حيث يعد احترام حقوق الأقليات الدينية والمذهبية والعرقية وحقوق المرأة من أهم الادعاءات المطروحة بحق إيران.

وقد وضعت إيران (فى المقابل) عدداً من الشروط لبدء محادثات تطبيع العلاقات بين البلدين أهمها ما يلى:

١- إلغاء كافة صور المقاطعة المفروضة على إيران.

٢- الإفراج عن الأرصدة الإيرانية المجمدة فى البنوك الأوروبية والأميركية.

٣- التخلى عن السياسات التعسفية التى طبقت على إيران على مدى سنوات طويلة.

٤- عدم التدخل فى الشئون الداخلية الإيرانية تحت أى مسمى.

٥- الاعتذار رسميا عن السياسات الخاطئة التى ألحقت أضرارا بالشعب الإيرانى على مدى السنوات الماضية.

رسالة نجاد إلى بوش

وقد جاءت رسالة الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد الموجهة إلى الرئيس الأميركى جورج بوش فى الثالث عشر من شهر مايو ٢٠٠٦ لتشكل تغيرا استراتيجيا فى التعامل الإيرانى مع الشيطان الأكبر (أميركا) حيث ان العلاقات الأميركية الإيرانية قد انقطعت منذ قيام الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩ ومن يومها والعلاقة أخذت طابع العداء والصراع بين الدولتين، ولم يسبق طوال

هذه الفترة أن تبادل الطرفان أية رسائل أو لقاءات رسمية، لتشكل رسالة الرئيس نجاد بذلك عبورا نحو مرحلة مختلفة تمام الاختلاف عن المرحلة السابق ذكرها، أما اليوم فإن هم الحاكم فى إيران أياً كان اسمه أو انتماؤه الحزبى أو السياسى مادام يعمل فى إطار ثورة ١٩٧٩ الوطنية الدينية هو أن يبقى القرار أياً كانت تبريراته أو حساباته أو مجموع الظروف المحيطة باتخاذه، المهم أن يبقى فى طهران، وأن يكون نابعاً من إرادة إيرانية قادرة على تسويقه شعبياً ووطنياً ودينياً، أى أن يحظى بالقبول والمشروعية لدى الناس ووجهاء القوم وإلا تمت الإطاحة بهذا الحاكم مهما بدا قوياً أو مدعوماً بالأرقام أو بالأسماء.

فى لحظة حكم أحمدى نجاد (التاريخية) الراهنة ثمة (تطابق) على ما يبدو بين الشارع وهو الاصطلاح العصرى المتداول لما يعرف بالرأى العام وبين المشرع وهو الاصطلاح الذى يرمز للمشروعية الدينية بشكل عام بما يعطى الزخم والقوة الكافية لإجراء حوار مفتوح مع كل القوى الحاملة للهاجس التاريخى المشار اليه سابقا من دون خوف أو وجل أو قلق من (التخوين) أو بيع القرار الوطنى لذلك تبدو خطوة أحمدى نجاد الرمزية (الحوارية) أياً كانت نوازعها أو أدلتها أو تبريراتها أو أهدافها إنما تهدف عملياً إلى شق طريق الحلول العملية لتأمين مصالح إيران الوطنية العليا والبداية تكون مع كسر ذلك (المحرم) المهم أن الرسالة كتبت معنونة إلى (الشيطان الأكبر) من جانب من كانوا يحرمون الحوار معه. تصوروا فقط وعلى سبيل المزحة والنكتة طبعاً، كما ورد فى الأيام الأخيرة فى رسائل SMS الإيرانية هنا بأن جورج بوش (أسلم) بالفعل أو طلب من أحمدى نجاد أن يوقظه فى الصباح الباكر للصلاة! فماذا كان سيحصل؟ وما هى الخطوة الإيرانية القادمة تجاه المحافظين الأميركيين الجدد؟

هنرى كيسنجر..
كيف يرى الصورة؟

فى نفس الوقت فقد بات مؤكداً للجميع أن الولايات المتحدة الأميركية قد عزمت على الاستمرار فى معاداتها لإيران بحجة البرنامج النووى السلمى الإيرانى، وذلك بعد فشلها فى تنفيذ عدة مخططات تآمرية مختلفة تهدف إلى الإطاحة بنظام الجمهورية الإسلامية وهى المخططات التى كان مصيرها الفشل والهزيمة نظراً للوجود الشعبى الإيرانى فى كافة الأوقات العصيبة بجانب الحكومة، وخاصة فى سنوات الحرب مع النظام البعثى العراقى السابق.

فى مقالته التى نشرت فى ٢٠٠٥/٢/١١ فى صحيفة "لاستامبا" الإيطالية بعنوان" "الخطر الحقيقى هو إيران" أكد هنرى كيسنجر المحلل والمنظر السياسى الأميركى ووزير الخارجية الأسبق أن واشنطن لايجب أن تسمح لإيران- بأى شكل من الأشكال- بأن تحصل على التكنولوجيا النووية المتقدمة لا الآن ولا خلال السنوات القادمة أيضاً.

ويوضح كسينجر أسباب ودوافع هذا الرأى بقوله:

"إن إيران منتج كبير للنفط وهى ذات كثافة سكانية مرتفعة، وفى حالة نمو منتظم وهى أيضاً بصدد أن تصبح واحدة من القوى الصناعية.

ويستمر فى حديثه فيقول: طهران تريد- من خلال امتلاك التكنولوجيا النووية المتقدمة- أن تجعل لنفسها درعاً واقياً يحول دون تدخل الآخرين فى شئونها".

وتوضح آراء كيسنجر السابقة حالة العداء التى تحملها الولايات المتحدة لإيران، كما توضح أيضاً الأهداف الرئيسية لواشنطن والتى تسعى الإدارات الأميركية المتعاقبة إلى تحقيقها وذلك على النحو التالى:

١- تسعى الولايات المتحدة فى المقام الأول إلى منع إيران من تحقيق التقدم العلمى، فالأمر لا يقتصر فقط على التكنولوجيا النووية وإنما يشمل مجال التقدم العلمى بصفة عامة.

٢- لم تستطع الولايات المتحدة أن تنسى حتى الآن انتصار الأمة الإيرانية فى فبراير ١٩٧٩ ، وهو الانتصار الذى أضر كثيراً بمصالح الولايات المتحدة فى المنطقة، ولهذا السبب تعمل الولايات المتحدة على القضاء على هذا النظام.

٣- على الرغم من ممارسة جميع أنواع العقوبات الاقتصادية وغير الاقتصادية من جانب الولايات المتحدة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فإن الأمر المثير للتعجب هو حصول إيران على التكنولوجيا النووية السلمية المتقدمة، وهو ما يثير فى الوقت ذاته قلق الأميركيين، وهو ما يدفعهم بالتالى- خاصة قادة البيت الأبيض- إلى بذل الجهود من أجل الحيلولة دون تقدم إيران علمياً.

٤- إن قدرة المسئولين فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية على طمأنة المجتمع الدولى من أن إيران ليست بصدد إنتاج أسلحة نووية، وكذلك تعاونها مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية والتفاوض مع الدول الأوروبية الثلاث من شأنه عزل واشنطن فى مقابل طهران وهو الأمر الذى يزيد من قلق الأميركيين.

٥- الأميركيون يتحدثون صراحة عن "العداء" مع أمة ومع "تقدم علمى" لدولة إقليمية وهو أمر قلما شاهدناه فى الماضى، فلم نسمع أن دولة ما تعارض تقدم دولة أخرى، إذاً من خلال ما سبق ومع الوضع فى الاعتبار الأهداف والنوايا

الأميركية تجاه إيران فإن الشعب الإيرانى بات الآن فى ظروف تاريخية حساسة تستوجب اليقظة فى مواجهة تهديدات الأعداء.

إن الممارسات الأميركية المزدوجة مع القضايا العالمية قد صارت سبباً مباشراً للتقليل من مكانة الولايات المتحدة فى العالم أكثر من أى وقت مضى.

على سبيل المثال، فى الوقت الذى تحمى فيه الولايات المتحدة النظام الصهيونى الذى يمتلك بالفعل أسلحة نووية، فإننا نجدها فى المقابل وقد عمدت إلى منع حصول إيران على التكنولوجيا النووية السلمية، بل تسعى بكل جدية إلى الإضرار بهذا البرنامج وبإيران ذاتها.

فى هذا الصدد يجب أن نؤكد على حقيقة مفادها أن الأمة الإيرانية التى دافعت بقوة وصلابة وصمود طوال ست وعشرين سنة عن منجزاتها وإنجازاتها الثورية والتى أجهضت بشكل مستمر جميع المؤامرات الأميركية.. هذه الأمة صارت مطالبة الآن بمواجهة أية تهديدات موجهة إليها من خلال تمسكها بالنظام الإسلامى.

سيناريوهات العدوان
وأساليب الردع

ومنذ قرار طهران برفع الأختام عن ثلاثة مراكز للأبحاث النووية واستئناف تخصيب اليورانيوم لأغراض سلمية بعد توقف دام عامين، منذ اكتوبر٢٠٠٣، فقد أثار هذا القرارجملة تساؤلات ابرزها المدى الذى يمكن أن تذهب إليه ردود الفعل الأميركية والأوربية، وهل تكتفى بمجلس الأمن بحثاً عن إدانة دولية وعقوبات

متدرجة كما قرر اجتماع لندن، أم تذهب إلى الخيار العسكرى لضرب المفاعلات الإيرانية وسط أنباء عن نقل أسراب جوية أميركية إلى قواعد فى المنطقة وتهديدات إسرائيلية بهجوم جوى فى اى وقت.

ردت إيران على التصعيد الغربى بأنها لم تنتهك اى قانون دولى يبرر معاقبتها، بل إن معاهدة الحد من الانتشار النووى تعطيها حق تخصيب اليورانيوم وامتلاك التكنولوجيا اللازمة فى هذا الخصوص طالما أن التخصيب يهدف إلى الاستخدامات السلمية وتوليد الطاقة.

وبين التمسك الإيرانى بالحق فى التخصيب لأسباب سلمية، والشكوك الغربية فى النيات العسكرية للبرنامج الإيرانى، تبرز سيناريوهات عمل عسكرى قد تقدم عليه الولايات المتحدة ضد إيران، إلا أن دون ذلك صعوبات جمة أبرزها:

١- ثمة صعوبة بالغة فى ضرب المنشآت النووية الإيرانية بسبب توزيعها فى مناطق كثيرة وفى أماكن سكنية (١٦٣مركزاً للأبحاث).

٢- قدرة إيران على استهداف القطع البحرية الأميركية فى منطقة الخليج بوسائل عسكرية شتى، مما يؤدى إلى وقف الملاحة فى خليج هرمز وما يشكله من عمق حيوى للإمدادات النفطية للغرب.

٣- تملك إيران قدرة ردع عسكرية تستطيع بموجبها أن تضرب أهدافا فى منطقة الخليج والعراق، وحتى تل ابيب، بعدما نجحت فى تطوير صواريخ أبرزها،شهاب-٣، الذى يحمل ثلاثة رؤوس حربية دفعة واحدة، مايمكنه من تضليل الدفاعات الأرضية والصواريخ المضادة، ويصل مداه الى١٧٠٠ كيلو متر، وهو قادر على أن يحمل رؤوسا نووية يمكنها من بلوغ الأراضى الإسرائيلية وقواعد أميركية فى الشرق الأوسط.

٤- ثمة حضور إيرانى استخباراتى ومعنوى وعسكرى ضخم فى العراق فى ظل الاحتلال الأميركى باعتراف الأطراف كافة، ما يُمكّن طهران من اصطياد القوات الأميركية بسهولة، وفى ظل سيطرة قوات «بدر» التابعة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية، من دعم المقاومة العراقية ضد الولايات المتحدة أو الدخول المباشر إلى العراق وضرب القوات الأميركية.

٥- تدرك إيران أن قوة الولايات المتحدة بدأت تتآكل بفعل الضربات الاستنزافية فى العراق وأفغانستان ومناطق اخرى فى العالم بما فيه الداخل الأميركى نفسه، وأن ثمة ضغوطا داخلية أميركية لوقف التدخل فى العالم، ولهذا تحركت طهران وفق نظرية أن ثمن الحرب أقل ثمناً من الاستسلام.

٦- إن الخطط العسكرية التى يجرى تداولها أمريكياً لا ترقى إلى درجة اجتياح الأراضى الإيرانية لصعوبة ذلك، خصوصاً بعد التجربة العراقية، وفى ضوء حقيقة أن سكان إيران يشكلون ثلاثة أضعاف سكان العراق، وأن لدى الإيرانيين قوة روحية عقائدية ستزيد عنف مقاومتهم وتدفع الجيش العقائدى إلى الاستماتة فى الدفاع عن بلاده.

ولهذا يجرى الحديث عن قصف جوى محدود للمفاعلات الإيرانية بواسطة الطائرات والصواريخ.

ولكن هذا القصف ستصعب السيطرة عليه من الطرفين، وحتى لو أمكنت السيطرة عليه واقتصر رد الفعل الإيرانى على قصف سريع بصواريخ تكتيكية ضد إسرائيل، فإن ذلك سيفتح باباً واسعاً من الصعب تحديد نتائجه على القوات الأميركية فى العراق والمنطقة.

وثمة طرح آخر هو خيار البديل الإسرائيلى عبر قصف محدود للمفاعلات

الإيرانية بهدف احتواء رد الفعل الإيرانى وعدم اتساع المواجهة فى كل المنطقة، خصوصاً فى ظل إعلان تل أبيب توصلها بدعم أميركى لنظام صاروخى مضاد للصواريخ الإيرانية الثلاثية الأبعاد.

وما يزيد من ترجيح هذا السيناريو إعلان عاموس جلعاد كبير المشرفين على الشؤون الاستراتيجية والأمنية فى وزارة الدفاع الإسرائيلية أن رئيس الوزراء الإسرائيلى آرييل شارون سبق أن وضع الجيش فى حال تأهب تحضيراً لضربة قد تشن على مواقع إيرانية.

كما يزيد أيضاً من ترجيح هذا الخيار قول وزيرة الخارجية الأميركية كوندوليزا رايس فى أكثر من مناسبة: «إن العالم لن يسمح لإيران بتطوير أسلحة نووية، والولايات المتحدة لن تمكنها من ذلك» وتملصها من الإجابة عن سؤال حول عملية عسكرية إسرائيلية محتملة رداً على التهديد الإيرانى.

أما المبرر الأكثر أهمية الذى يطرح فكرة التعجيل بضربة إسرائيلية أميركية، وبالوكالة عن واشنطن فيتلخص فى وجود تقارير أميركية وإسرائيلية تشير إلى ضرورة تنفيذ الضربة الآن قبل أن يفوت الأوان، ومنها تقرير قدم إلى شارون فى أيار (مايو)٢٠٠٥ تحت عنوان «مستقبل إسرائيل الاستراتيجى»، حضه على الإسراع فى ضرب المفاعلات النووية الإيرانية قبل أن يكتمل المشروع النووى، وتصبح طهران قادرة على إنتاج قنابل وأسلحة نووية خلال شهور.

وتشير التقديرات الأميركية والإسرائيلية إلى أن إيران أبطأت جهودها فقط نتيجة عمليات التفتيش، لكنها ستصبح قادرة على إنتاج القنبلة النووية خلال عام ٢٠٠٩.

ولكن حتى هذا السيناريو الإسرائيلى غير مضمون العواقب لأن رد الفعل

الايرانى غير معروف أولاً، كما أنه قد يكون أكثر تدميراً وشمولاً مما تتوقع تل أبيب كونه لن يقتصر على الرد بصواريخ، ولكنه قد يشعل جبهة جنوب لبنان والشرق الأوسط كله.

ربما كان سيناريو الحلول الوسط أو البديل الإسرائيلى هو الحل الوحيد أمام إدارة جورج بوش.

وأغلب الظن أن هذا التصعيد سيتوقف عند نقطة معينة ولن يصل إلى الحرب بخاصة أنه لا يوجد دليل على إنتاج إيران لأسلحة نووية، بل إن الأمر عبارة عن مجرد هواجس ومحاسبة للنيات كما حدث فى العراق.

وربما رجح هذا السيناريو اقتراب انتخابات الكونجرس الأميركية فى (نوفمبر) ٢٠٠٦ وتوقع خسارة الجمهوريين والمحافظين الجدد وصعود أسهم رافضى الحروب الأميركية فى العالم، فضلاً عن الضغوط الكثيفة مالياً وسياسياً على الإدارة الأميركية وعدم وجود دافع انتخابى لدى الرئيس بوش بعدما فاز بولاية ثانية وأخيرة، فضلاً عن أن خوض أية حرب أخرى قد يشعل المنطقة ويهدد باستخدام أسلحة نووية تكتيكية للمرة الأولى فى حال رد الفعل الإيرانى العنيف بما يهدد المصالح الأميركية الحيوية فى المنطقة.

عقوبات أميركية فاشلة

تعتمد إيران أساساً على النفط الذى يمثل نحو ٨٥ فى المئة من صادراتها، كما تمتلك ثانى احتياطى نفطى فى المنطقة بعد المملكة العربية السعودية، وتنتج زهاء أربعة ملايين برميل يومياً من النفط، وتصدر ٢,٤ مليون برميل، تذهب٦٠

فى المئة منها إلى دول آسيا.

كما تمتلك ثانى أكبر احتياطى من الغاز، فضلاً عن قاعدة صناعية لافتة خصوصاً فى التصنيع العسكرى وصناعة السيارات والبتروكيماويات والسجاد والصناعات اليدوية والمواد المعدنية، وتنتج بعض الحاصلات الزراعية التى تستهلك محلياً إلى جانب التصدير.

وبالنسبة للمؤشرات الكلية للاقتصاد الإيرانى، فقد بلغ نمو الناتج المحلى الإجمالى ٤,٨ فى المئة العام الماضى، فى مقابل ٦,٧ عام ٢٠٠٤، فى حين كانت الحكومة تستهدف الوصول إلى معدل ٧,٣ فى المئة.

وتعد أزمة البطالة من أبرز التحديات التى يواجهها الاقتصاد، اذ يتعين على الحكومة توفير ٨٠٠ ألف وظيفة كل عام لإبقاء البطالة عند مستواها الحالى البالغ ١١,٢ فى المئة، أما ميزان المدفوعات فبلغ فائضه ٣,٩ بلايين دولار فى مارس ٢٠٠٥، وفائض الميزان التجارى ٧,٧ بلايين دولار، فيما بلغ إجمالى قيمة الصادرات ٤٤,٤ بليون دولار، وفى الفترة نفسها تجاوزت الواردات التوقعات، فبلغت ٣٦,٦ بليون دولار.

ويعتبر سلاح النفط أساسياً بالنسبة إلى إيران فى هذه المعركة، إذ تلوح طهران بقطع الإمدادات عن الدول المعادية لها، ويتوقع الخبراء أن يصل سعر برميل النفط إلى مائة دولار.

وتراهن طهران على مواقف بعض الدول الصديقة، والتى تستخدم كميات كبيرة من النفط الإيرانى لا تستطيع الاستغناء عنه بسهولة والتى وقعت مع بعضها عقوداً طويلة الأجل ببلايين الدولارات مثل الهند والصين.

وتعتقد طهران أن فى إمكانها الصمود فى وجه أية عقوبات متوقعة إذ تمتلك

قاعدة متنوعة للمنتجات الاستهلاكية الأساسية تغنيها عن الاستيراد من الخارج، كما تحتفظ بجبهة داخلية متماسكة إلى حد كبير ومؤمنة بحقها فى امتلاك التقنية النووية السلمية ورافضة للضغوط الخارجية.

كما أن ثمة شكوكاً قوية فى طهران وعواصم عدة فى جدية تنفيذ العقوبات فى حال فرضها.

ويستند هذا الرأى إلى الخبرة السابقة فى العقوبات التى فرضتها ولا تزال الحكومة الأميركية ضد إيران منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية عام١٩٧٩، ولعل أبرز فصولها.قانون داماتو. (١٩٩٦) الذى يقضى بحرمان الشركات التى تتعاون مع إيران من دخول السوق الأميركية أو الحصول على ضمانات تزيد على١٠ ملايين دولار فى السنة من بنك الاستيراد والتصدير الأميركى، وحظر الاشتراك فى العقود الحكومية أو الاتجار بالسندات التى تصدرها الخزانة الأميركية.

وعلى رغم صدور هذا القانون منذ١٠ سنوات فإنه لم ينجح فى وقف تعاون الشركات الغربية ومنها الأميركية مع إيران فى المجال النفطى وغيره.

ونجحت طهران منذ التسعينيات فى الهروب من العقوبات الأميركية من خلال تحسين علاقاتها الاقتصادية بالدول الآسيوية والعربية وأوروبا، وتمكنت من استمالة كل من ألمانيا وفرنسا بالدخول فى برامج تطوير إنمائى اقتصادى مشترك. كما استطاعت تأمين أسواق آسيوية لاستيعاب كميات النفط التى كانت تستوردها الشركات الأميركية، والتى تبلغ٦٠ ألف برميل يومياً بعد توقف هذه الشركات عن استيرادها نتيجة الحظر، وتوصلت إيران إلى اتفاق مع روسيا على إنشاء شركات مشتركة فى مجال التنقيب عن النفط وإنتاجه، يضاف إلى ماسبق مشروع .طريق الحرير. وهو خط يصل الصين بأوروبا، ويصل الشرق الأوسط

والخليج العربى بالمحيط الهندى عبر إيران، كما يربط هذه الأخيرة بدول آسيا الوسطى، وفى المقابل يعتقد محللون غربيون أن هناك الكثير من العقوبات التى يمكن أن تؤثر بشدة على إيران.

كما يعتقد على نطاق واسع أن النفط هو مصدر ضعف وليس مصدر قوة لطهران، إذ أن منشآت الضخ والمعالجة فى حالة مزرية إلى درجة أن الطلب المحلى على البنزين يزيد بنسبة٦٠ فى المئة على قدرة البلاد على التصفية، ولمواكبة هذا الطلب تستورد إيران أكثر من٩٥٠٠٠ برميل فى اليوم.

وعلى رغم أن إيران تمتلك ثانى أكبر احتياطى من الغاز مكتشف فى العالم فإنها تستورد هذه المادة للاستخدام المحلى، كما تحتاج إلى التقنية الأجنبية ومئات البلايين من الدولارات على شكل استثمارات أجنبية، اذا ما أرادت تلبية الطلب المحلى على الطاقة.

كما تعتمد إيران فى شكل كبير على التمويل الخارجى لعدد من مشروعاتها، إذ ينمو قطاعا صناعة السيارات وبناء السفن بوتيرة أسرع من قدرة البنوك المحلية على ملاحقتهما.

كما أن صناعة السيارات التى يعمل فيها عشرات الآلاف قد تتلقى ضربة موجعة حال فرض حظر على مكونات السيارات، علماً بأن ايران تحولت اخيراً إلى مركز إنتاج لشركات صناعات سيارات عالمية، مثل بيجو ورينو وهيونداى وفولكسفاجن.

يظل أن هناك نقاط قوة وضعف فى الاقتصاد الإيرانى الذى سيعتمد مدى تأثره بأية عقوبات محتملة على كيفية إدارة الرئيس أحمدى نجاد خطط المواجهة مع الولايات المتحدة، والمنافذ المتاحة لحكومة طهران للتحرك دولياً،

فضلاً عن طبيعة العقوبات نفسها، وهل تشمل النفط أم يستثنى كما حدث مع ليبيا إبان أزمة لوكربى، ماقد يخفف من وطأة أى حصار متوقع؟

يصعب حساب الربح والخسارة فى تلك الملفات، لا سيما أن الخيارات باتت تضيق أكثر فأكثر لدى الأطراف كافة، فهل تأكد من بيده القرار من أن حساب حقله أتى على حساب بيدره (جرنه)؟ سؤال ينبغى التمعن فيه كثيراً قبل اتخاذ أى قرار فى مجلس الوكالة الدولية للطاقة الذرية أو غيره.

عواقب الهجوم على إيران

ويرى خبراء الاستخبارات الأميركية أن إيران سترد على أية ضربة عسكرية أميركية قد تستهدف منشآتها النووية، بإرسال رجال استخباراتها او فرق من «حزب الله» لشن هجمات فى انحاء العالم، تزامناً مع معلومات بريطانية أكدت ان اجتماعاً سرياً عقد فى لندن، للبحث فى احتمال توجيه ضربات جوية إلى إيران.

ونقلت صحيفة «واشنطن بوست» عن خبراء لم تذكر أسماءهم أن إيران ستبادر إلى مهاجمة أهداف أميركية فى العراق قبل أن تستهدف مدنيين فى الولايات المتحدة وأوربا وبلدان أخرى، ورفض الخبراء الكشف عن الأدلة التى تدعم هذه الفرضية.

غير أن مسئولاً كبيراً أوضح أن أجهزة الاستخبارات الأميركية تخصص «الكثير من الوقت» لهذه المسألة.

ولم يشأ مسئولو أجهزة الاستخبارات الأميركية أن يوضحوا ما إذا كانوا رصدوا أية إجراءات تتخذها أجهزة الاستخبارات الإيرانية للإعداد لمثل هذه الهجمات، متذرعين بحظر مناقشة المعلومات السرية.

ويعتبر خبراء CIA أن المجموعات التى تخضع لإمرة ايران أو ترتبط بها، وتحديداً وزارة الاستخبارات وأجهزة الأمن والحرس الثورى و، حزب الله، أفضل تنظيماً وتدريباً وتجهيزاً من شبكة ،القاعدة، التى شنت اعتداءات ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١.

وقال السفير هنرى كرومبتون منسق وزارة الخارجية لشؤون محاربة الإرهاب: ،الحكومة الإيرانية تعتبر الجهاد الإسلامى ومنظمة حزب الله امتداداً لدولتها، وهى تملك فرق عمليات يمكن نشرها من دون فترة تحضير طويلة،.

ضربة بريطانية .. لم تحدث

وفى غضون ذلك، نقلت صحيفة، ذى صنداى تلجراف، البريطانية عن مسؤول كبير فى وزارة الخارجية البريطانية أن الحكومة البريطانية ستعقد اجتماعاً سرياً مع مسؤولى قواتها الجوية، للبحث فى احتمال توجيه ضربات جوية إلى إيران.

غير أن ناطقاً باسم وزارة الدفاع البريطانية نفى ذلك، وقال: ،ليس هناك أى اجتماع مع رئيس الوزراء وأعضاء الحكومة وليس هناك أيضاً أية خطط لاجتماع كهذا،.

وأكدت ،ذى صنداى تلجراف، أن الاجتماع المرتقب سيشارك فيه رئيس هيئة

الأركان الدفاعية الجنرال السير مايكل ووكرز، ورئيس أركان الاستخبارات الدفاعية الليوتنانت جنرال أندرو ريدجواى، ومساعد رئيس الأركان العامة الميجور جنرال بيل رولو، كما يشارك فى المناقشات مسئولون من وزارة الخارجية ورئاسة الوزراء.

وأكدت الصحيفة أن الولايات المتحدة تأمل فى أن يكون لعملية عسكرية محتملة ضد ايران طابعاً متعدد الأطراف، لكن مسئولى الدفاع البريطانيين يرون أن واشنطن مستعدة فى حال الضرورة لشن ضربات جوية بمفردها أو بمساعدة الإسرائيليين.

وقال المصدر الذى نقلت الصحيفة تصريحاته: إن العملية ستقتصر على ضربات جوية ضد المنشآت النووية الإيرانية، لأن غزواً مثل الذى حدث فى العراق مستبعد حالياً.

ويأتى ذلك فيما أفادت هيئة الإذاعة البريطانية بأن خطة أميركية لشن ضربة عسكرية ضد ايران أصبحت فى مرحلة متقدمة،.

وأفادت ،ذى صنداى تلجراف، بأن الحكومة الأميركية تأمل فى أن تكون العملية العسكرية ضد ايران متعددة الأطراف.

ولكن رؤساء الأركان يعتقدون بأن الادارة الأميركية مستعدة لشن هجوم ضد إيران وحدها أو بمساعدة إسرائيل مالم يكن هناك دعم دولى كبيرلذلك.

ويرى كبار رجال الأركان البريطانيين أن هجوماً مماثلاً سيكون محدوداً أو سيقتصر على سلسلة من الهجمات الجوية ضد منشآت نووية إيرانية، إلا أنه لم يبحث حتى الآن إمكان شن هجوم برى على طهران.

ويتوقع أن تطلق سفن حربية أميركية مرابطة فى الخليج صواريخ من طراز ،توماهوك، التيكتيكية، لاستهداف شبكات الدفاع الجوى الإيرانية داخل المنشآت

النووية.

وهذا سيشمل أيضاً ضربات جوية تشنها طائرات من طراز بى تو، على أن تنطلق من قاعدة دييجوجارسيا البحرية الأميركية المعزولة فى المحيط الهندى، وكذلك من قاعدة ، فيرفورد، التابعة لسلاح الجو الملكى البريطانى فى جلوشستر البريطانية ومن قاعدة تابعة للسلاح الجوى الأميركى فى ولاية ميسورى.

وعلى رغم أن أية مشاركة بريطانية فى الهجوم ستكون محدودة، لكنها قد تمتد لتشمل استخدام طائرات إنذار محمولة جواً.

وأوضح المصدر انه ،لن يكون هناك غزو لإيران ولكن سيتم تدمير المواقع النووية الإيرانية،، محذراً من أن ،هذا ليس أمراً وشيك الحدوث ولكنه قد يقع خلال العام الحالى أو ربما فى السنة المقبلة،.

أهداف التحرش الأميركى بإيران

كشف المحلل العسكرى الأميركى (وليام أركين) أن واشنطن كانت تخطط لعملية عسكرية واسعة ضد إيران، تعتمد على هجوم بالصواريخ واجتياح برى وانتشار بحرى للسيطرة على مضيق (هرمز) وذلك قبل غزو العراق فى (مارس) ٢٠٠٣.

وكتب أركين فى صحيفة (واشنطن بوست) أن الخطة عرفت باسم (ثبراننت) (ثباتر إيران نيرتورم)، وتضمنت تحليلاً مفصلاً لترسانة طهران من الصواريخ، وخطة للقضاء على أسلحة الدمار الشامل الإيرانية، وأضاف أن الاستعدادات

للخطة بدأت جديا فى (مايو) ٢٠٠٣ عندما جمعت أجهزة الاستخبارات المعطيات الضرورية لسيناريوهات حرب على إيران، ومنذ ذلك الوقت حدثت الخطة عبر استخدام معلومات جمعت فى العراق.

فى الوقت ذاته كتب (ستيفن سيمون) المسئول السابق فى الخارجية الأميركية، وريتشارد كلارك مسئول مكافحة الإرهاب فى البيت الأبيض سابقا، أن التقارير عن نية إدارة الرئيس جورج بوش قصف المواقع النووية الإيرانية أثارت قلقاً من ان هذا الهجوم سيطلق عملية تصاعدية متعددة الخطوات ولفتا فى مقال مشترك فى (نيويورك تايمز) إلى أن صراع أميركا مع إيران ربما يكون أكثر إضرارا بالمصالح الأميركية من الحرب على العراق، ذلك أن رد طهران المحتمل سيكون (استخدام شبكتها من الإنتحاريين لضرب أهداف أميركية حول العالم، بما فى ذلك داخل الولايات المتحدة) واعتبر أن (إيران تملك قوات تفوق بكثير أى شىء يستطيع تنظيم القاعدة فى أى وقت أن يدفع به (مشيرين إلى علاقات طهران مع (حزب الله).

تزامن ذلك مع نشر صحيفة (صنداى تايمز) البريطانية مضمون تسجيل صوتى لمسئول فى الحرس الثورى الإيرانى يدعى (حسن عباسى)، يؤكد فيه أن مجموعات انتحارية تضم نحو ٥٥ ألف رجل، مستعدة لضرب ٢٩ هدفا أميركيا وبريطانيا محتملا، بعضها (قريب جدا) من الحدود الإيرانية العراقية، ونقل عن عباسى قوله: إن هؤلاء الانتحاريين شاركوا فى استعراض عسكرى فى طهران فى مارس ٢٠٠٦، مزودين بأحزمة ناسفة وصواعق تفجير.

وبحسب ما ورد فى التسجيل طلب عباسى من الانتحاريين أن يولوا (اهتماما خاصا ببريطانيا الماكرة) مؤكدا أن (دمارها من ضمن أهدافنا) وأضافت الصحيفة

أنه طلب من المتطوعين فى مركز تجنيد هذه المجموعات الانتحارية فى طهران، أن يحددوا؛ هل يفضلون ضرب أهداف أميركية فى العراق أم أهداف إسرائيلية؟

ولم يكن تقرير الصحفى الأميركى سيمور هيرش فى مجلة "نيويوركر" آخر حملات الاستفزاز الأمريكى ضد إيران بل لعله كان أشهرها، وطبقاً لهيرش تنوى الولايات المتحدة الأميركية استخدام الأسلحةالنووية التكتيكية "b61-11" ضد المنشآت النووية الإيرانية المحصنة تحت الأرض، حيث تتميز تلك القنابل بالقدرة على تحمل الهجمات بالقنابل التقليدية، وغالباً ما تستهدف مراكز القيادة الاستراتيجية مستودعات تخزين الأسلحة البيولوجية والكميائية، وهى قنبلة مغلفة بغلاف معزز يمكنها من حفر الأرض والدخول تحتها قبل أن تنفجر، مما يجعلها فعالة ضد التحصينات العميقة أكثر منها ضد الأهداف السطحية، وتبلغ قوتها ٣٤٠طناً من المواد المتفجرة "tnt"، أى ما يعادل ٣٪ من قنبلة هيروشيما، ويمكن إلقاؤها بواسطة القاذفات والمقاتلات (F-15) ومن مميزات هذه القنبلة أن الطيار باستطاعته السيطرة على القنبلة حتى اللحظة الأخيرة، وهى طريقة أفضل من إطلاق الصاروخ الذى يمكن أن يحيد عن هدفه، حيث يتم إسقاط هذه القنبلة مظلياً، ويمكنها أن تصيب بدقة ذات الأهداف التى تصيبها القنبلة "JDAM" بواسطة نظام تحديد المواقع العالمية "GPS".

ويختلف الخبراء بشأن مدى فاعليتها وحدود مخاطرها، حيث يرى روبرت نيلسون العالم الفيزيائى بجامعة برينستون، أن إلقاء "ميجا" طن واحد فقط فى القنابل التكتيكية على منطقة صحراوية بالعالم الثالث من شأنه نشر كميات هائلة من الإشعاعات القاتلة لمسافة تبلغ عدة كيلو مترات مربعة أو إن كانت بصفة عامة أقل خطورة مقارنة بالأسلحة النووية التقليدية، ويشك نيلسون فى قدرة

تلك القنابل على النفاذ إلى الأسلحة النووية الإيرانية على غرار سيناريو ضرب إسرائيل للمفاعل العراقى "أوزيراك" فى يونيو ١٩٨٤؛ نظراً لتشتت الأهداف الإيرانية وتواجدها فى مناطق ذات كثافة سكانية عالية، الأمر الذى من شأنه صعوبة إصابة الهدف بدقة، فضلاً عن إحداث خسائر بشرية فادحة.

ويستدل نيلسون على صحة مزاعمه بنموذج الحرب الدائرة فى العراق الآن، متسائلاً" إذا كانت القنابل "B16-11" تتميز بكفاءة لا مثيل لها، فلماذا لم تستخدمها واشنطن لترشدها عن المخبأ السرى للرئيس صدام حسين منذ بداية الحرب؟ أو لرصد مواقع أسلحة الدمار الشامل التى كانت واشنطن تزعم أن العراق يمتلكها؟

وعزفاً على ذات النغمة التى أطلقها هيرش فى تقريره الشهير جاء السيناريو الذى طرحه الجنرال "توماس ماكالنيرنى" المحلل العسكرى لشبكة فوكس نيوز، والذى يتمثل فى توجيه قصف جوى مكثف لفترة زمنية تمتد ما بين ٣٦ إلى ٤٨ ساعة بتسديد حوالى ١٥٠٠ ضربة، تمثل المواقع النووية المتطورة بإيران، فضلاً عن تدمير نظام الدفاع الجوى، والسلاح البحرى، وأنظمة التحكم والسيطرة والأنظمة الصاروخية خاصة صواريخ "شهاب٣" التى تفقد على أثرها الحكومة الإيرانية القدرة على السيطرة والدفاع، الأمر الذى يتيح الفرصة لقلب نظام الحكم!

وتجدر الإشارة إلى أن الجنرال "ماكالنيرنى" كان قد أعلن عام ٢٠٠٢، أن الحملة العسكرية ضد العراق لن تستغرق سوى ٤٢ يوماً، وها هى قد امتدت لفترة زمنية تربو على الثلاث سنوات والأمر بالنسبة لإيران يحمل جملة من التحديات قام مركز الأبحاث العالمية Golbal Research center بعرضها فى دراسة خطيرة جاء فيها !

"إن الهجوم النووى على إيران لن يكون كالتهام قطعة بيتزا، فإيران لديها حوالى ٤ ملايين كردى تراودهم أحلام الاستقلال، ويتلقون الدعم المادى من الإدارة الأميركية، خاصة جماعة "بيجال" التى تم تجنيدها من قبل وكالات الاستخبارات الأميركية لاختراق النظام الإيرانى، من ثم ربما يمنحهم ضرب إيران فرصة للمطالبة بالاعتراف بحقهم فى إقامة دولة كردية مستقلة".

استفزاز الرئيس نجاد

وقد طرح الكاتب السعودى أنور عشقى فى صحيفة الحياة اللندنية (١٦/٥/٢٠٠٦) السؤال التالى: لماذا أبدت مراكز الدراسات الاستراتيجية اهتماما بما كتبه سيمور هيرش فى مجلة (نيو يوركر) الأميركية حول الهجوم على إيران وإمكان قصفها بالأسلحة الذرية؟ السبب أن هيرسن من البارزين بين الصحافيين الأميركيين، كما أنه يعتبر من أهم عملاء وكالة الاستخبارات المركزية كما وصفه والف شوينمان قائلاً: (إنه اعتاد إفشاء الأسرار المتعلقة بخطط المحافظين الجدد)، والهدف هو استفزاز الرئيس أحمدى نجاد ودفعه إلى اتخاذ مواقف متطرفة

ويعتبر سيمور هيرسن من معارضى خطط المحافظين الجدد خصوصاً فى ما يتعلق بتوجهات إسرائيل الهادفة إلى تفكيك دول الشرق الأوسط وكشف عن هذه التوجهات وعن كيفية استخدام وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سى آى إيه) للصحافى هيرسن الذى أكد أن إدارة الرئيس الأميركى بوش ضاعفت من نشاطاتها السرية داخل إيران لمنعها من السعى للحصول على السلاح الذرى،

بينما تدعو فى العلن إلى الحلول السلمية بالطرق الديبلوماسية.

هل تعتبر (المعلومات) التى ذكرها هيرسن بالونات اختبار أم مفرقعات إثارة لدفع إيران إلى مزيد من التهديد حتى تستكمل صورة التحدى مما يعطى الولايات المتحدة المبرر الكافى أمام شعبها والعالم لضرب إيران وإظهارها كمصدر تهديد عالمى، فيأتى الأميركى على فرسه ويستخدم مسدسه (لإنقاذ البشرية)؟

لقد أكد بعض المسؤولين العسكريين السابقين والحاليين فى الجيش الأميركى، إضافة إلى مجموعة من رجال الاستخبارات، ما ذكره هيرسن عن الخطط الأميركية- وتتفق وكالة الاستخبارات الأميركية مع الاستخبارات الأوروبية ووكالة الطاقة الذرية الدولية على أن إيران مصممة على تطوير القدرة على إنتاج أسلحة نووية لكن الاختلاف هو حول المدة التى سيستغرقها هذا الإنتاج، ومع هذا فإن التساؤل لا يزال مطروحا لدى صناع القرار حول ما إذا كانت الديبلوماسية أم العقوبات أم العمل العسكرى هى الطريق الأمثل لمنع إيران من ذلك مع أن إيران تصر أن أبحاثها لا ترمى إلا إلى الاستخدام السلمى للطاقة النووية.

ولدى المجتمع الدولى قناعة أكيدة أن الرئيس بوش يهدف من وراء المواجهة مع إيران إلى تغيير النظام أو إسقاطه وزادت من إصراره تصريحات الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد ضد إسرائيل، وتشكيكه فى صحة المحرقة اليهودية كما أن بوش على يقين أن إيران ستحصل على السلاح الذرى إن لم يتم وقفها بالقوة.

يتخيل أحد المحللين العسكريين فى الولايات المتحدة، إن غارة جوية على إيران ستصيب قيادتها بالإهانة، فتدفع بالإيرانيين إلى الثورة وإسقاط الحكومة، وهذا يؤكد أن بعض المحللين الأميركيين يخطئون فى تقديراتهم للنتائج تماما كما

حدث معهم فى العراق، لأن التهديد الأميركى لإيران من دون تفريق بين الحكومة والشعب سيعزز من تأييد النظام.

أما فكرة تغيير النظام الإيرانى فقد طرحها الخبير فى الشؤون الإيرانية باتريك كلوسون، الذى يعمل نائبا لمدير الأبحاث فى معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى وهو من مؤيدى سياسة الرئيس بوش، فقد عرض فكرته أمام لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس الشيوخ الأميركى فى ٢ (مارس) ٢٠٠٦ وتساءل: إلى متى سيبقى النظام الإيرانى الحالى؟ وحينما سأله رالف شوينمان عن قصده من السؤال أجاب (إن هذه الإدارة توجه كثيرا من الجهود نحو الحل الديبلوماسى، ولكن إيران لا خيار لها سوى الاستجابة لطلب أميركا وإلا فإن عليها مواجهة هجوم عسكرى وعقب كلوسون قائلا: (أخشى أن يعتقد أحمدى نجاد أن الغرب فى طريقه إلى الانهيار، فيتعامل من هذا المنطلق، وعلينا أن نكون مستعدين للتعامل مع إيران إذا تفاقمت الأزمة، لكننى أفضل الاعتماد على التخريب والنشاط السرى، ومن الحكمة الإعداد لحرب أكبر مادام الإيرانيون يتصرفون على هذا النحو).

حرب نفسية أميركية

وعلى رغم التسريبات الأميركية لخطط الحرب وسيناريوهات الضربة الجوية والصاروخية لمنشآت نووية إيرانية إلا أن الأمين العام لمجلس الأمن القومى على ريحانى أكد لصحيفة الأهرام العربى (٢٠٠٦/٥/١٣) أن ما يتردد عن لجوء واشنطن إلى الخيار العسكرى هو نوع من الحرب النفسية، وهى ليست المرة

الأولى التى يتحدثون فيها عن توجيه ضربة عسكرية لإيران، وفى تقديرنا فإن من يرغب فى توجيه مثل هذه الضربة لا يصرح بذلك علنا، ونحن نراه مؤشر ضعف أكثر منه شعور بالقوة.

● هل أفهم من ذلك أنك تستبعد توجيه مثل هذه الضربة؟

.. نعم أستبعد ذلك، ولكنهم إذا أرادوا أن يرتكبوا هذا الخطأ فإنهم سيواجهون بالرد الملائم والمناسب قبل أن يفكروا فى أية عملية عسكرية ضد إيران، فإنه يتعين على الولايات المتحدة أن تتأمل بعمق صورتها فى المرآة العراقية ليتيقنوا من الوضعية التى بلغوها هناك، وهى ليست فى حاجة إلى شرح وتفصيل والأهم من ذلك كله، فإن الأمريكيين عليهم أن يدركوا القاعدة السياسية التى تقول: بأن كل من يطلق الرصاصة الأولى فإنه يخرج من ميدان القتال قبل غيره.

وكشف ريحانى عن وجه من أوجه النفاق الأميركى والكيل بمكيالين، فواشنطن وافقت فى عصر الشاه على بناء مفاعلات نووية فى إيران، لكنها تنكرت لاتفاقاتها عندما قامت ثورة شعبية فى إيران عام ١٩٧٨، وقد سألته مجلة (الأهرام العربى) وأجاب على النحو التالى:

● المبرر الذى يطرحه خصوم إيران فى الغرب أنها أخفت برنامجها النووى لمدة تزيد على ١٨ عاما عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية، الأمر الذى أثار الشكوك فى حقيقة نوايا طهران على هذا الصعيد، كيف تعقب على ذلك؟

.. إنهم لا يملون من ترديد تلك الأقاويل حتى يكرسوها فى الأذهان، وأشير هنا إلى أنه كانت هناك اتفاقية مبرمة بين الولايات المتحدة وإيران قبل الثورة الإسلامية لبناء عدة مفاعلات نووية بتكلفة قدرت آنذاك بستة مليارات من الدولارات لإنتاج ١٢٠ ألف ميجاوات من الطاقة الكهربية، ولكن بعد قيام الثورة

الإسلامية ألغيت هذه الاتفاقيات ورفضت الولايات المتحدة تزويد طهران بالوقود النووى لتشغيل المفاعلات وفى الوقت نفسه رفضت إعادة المبالغ التى حصلت عليها ثمنا لها، واللافت أن شركة ألمانية غربية كان من المقرر أن تسهم فى بناء عدد من المفاعلات النووية إلا أنها ألغت الاتفاقية بهذا الشأن بعد التوقيع عليها عقب الثورة الإسلامية أيضا، وبدورهم فإن الفرنسيين كان من المخطط أن يسهموا فى بناء محطة (دارخوبية) ولكنهم تراجعوا بل إن إيران كانت شريكا فى شركة (أرديت) الفرنسية المتخصصة فى إنتاج الوقود النووى، إلا انها بعد الثورة الإسلامية لم تزود طهران بجرام واحد من الوقودعلى الرغم من أن إيران كانت قد اشترت حوالى ٦٠ ألف طن من مادة (يو إف سكس) إلا أنهم لم يسمحوا بوصولها إلى الأراضى الإيرانية، كما كان لنا فى اوروبا حوالى ١٥٠٠ طن من مادة (الكيك الأصفر) فحرمونا منها تماما.

ويميل الخبراء الاستراتيجيون العرب ومن بينهم السعودى أنور عشقى إلى أن البيت الأبيض يرى فى إيران منافسه الوحيد فى السيطرة على الشرق الأوسط خلال السنوات العشر المقبلة، لهذا جعل الغرض من هذه الأزمة هو تغيير هيكل الحكم، كما يعتقد البيت الأبيض أن الهدف الأمثل الذى تسعى إليه إيران من هذا التنافس هو امتلاك القوة النووية، من هنا جاء الابتهاج فى إيران بإعلان الرئيس أحمدى نجاد امتلاك إيران القدرة على التخصيب النووى، وبذلك أصبحت الدولة الثامنة فى النادى الذرى.

أما خبراء مكافحة الإرهاب فى البيت الأبيض فيرون أن الحل العسكرى سيزيد من خطورة الإرهاب، وسيدخل فى اللعبة كلا من (حزب الله) و(القاعدة) لكنهم لا يرون فى ذلك بأسا، طالما أن الإرهاب سيأكل أبناءه، إذ أن الأعمال الإرهابية

ستكون داخل الدول العربية والإسلامية كما يحصل فى العراق وأفغانستان وغيرهما.

ويقول سيمور هيرسن إن: هناك عمليات جرت فى الأجواء الإيرانية وعرفت باسم (من فوق الكتف) إذ قامت طائرات أميركية بـ (إلقاء قذائف) ونفذت طائرات أميركية مناورات وهمية طوال صيف ٢٠٠٥، واستخدمت أسلحة ذرية وقامت بمهمات نقل سريع بحيث لا تصل إليها الرادرات الإيرانية.

أما المحلل فى كلية الحرب القومية العقيد سام جاردنر فقد قدم تصورا للأهداف النووية فى إيران، وقال: إن عدد الأهداف المستهدفة يصل إلى ٤٠٠ هدف، وأضاف: أن لدى إيران مصنعين لإنتاج المواد الكيماوية ولابد من ضربهما أيضا اضافة إلى ضرب الصواريخ العابرة للقارات المتوسطة المدى التى نقلتها إيران أخيرا إلى مواقع قريبة من العراق، كما يوجد فى إيران ١٤ مطارا تكمن الطائرات فيها فى مخابئ تحت الأرض، ولابد من التخلص منها، كما يجب ضرب المنشآت التى يمكن أن تستخدم لتهديد الملاحة فى الخليج، مما يعنى استهداف صواريخ (كروز) للغوصات الإيرانية أما بالنسبة إلى بعض المرافق التى يصعب الوصول إليها بأسلحة الاختراق، فلابد أن تتولاها قوات العمليات الخاصة.

أما القنابل الذرية التكتيكية فستتولى قصف المواقع النووية تحت الأرض ومن أهم هذه الأهداف المصنع الرئيسى لأجهزة الطرد المركزى الذى يقع قريبا من (ناتانز) على مسافة ٣٥٠ كلم جنوب طهران، ومساحته تحت الأرض تتسع لـ50 ألف جهاز طرد، هذا إلى جانب معامل ومواطن تشغيل مغمورة تحت سطح الأرض على عمق ٧٥ قدماً.

إن تدمير مفاعل (ناتانز) يعتبر نكسة كبيرة بالنسبة إلى طموحات إيران

النووية، وقد روعيت فى إنشائه ترسانة الأسلحة التقليدية الأميركية، التى لا تستطيع تدمير المنشآت بعمق ٧٥ قدماً تحت الأرض خصوصا إذا كانت معززة بالأسمنت المسلح.

لقد استعان الإيرانيون بالروس فى تصميم هذا المرفق وصمم الروس مرفقا مماثلا من أجل لجوء أعضاء الحكومة إليه، وإتاحة الفرصة للقيادة البقاء فيه ونجاتها من حرب ذرية، كما توجد مخابئ مماثلة فى ولايتى فرجينيا وبنسلفانيا لحماية الزعماء الأميركيين.

إن الولايات المتحدة الأميركية تعيش ثقافة الكاوبوى، فهى لا تقبل التحدى وإذا وجدت نفسها فى هذا الوضع فإنها ستدخل الميدان حتى لو كانت النتيجة الانتحار، وهذا ما أدركه الرئيس السوفياتى السابق خروتشوف فى أزمة كوبا مع مطلع الستينيات من القرن الماضى عندما دخل فى تحد مع الرئيس جون كنيدى حول الصواريخ الكوبية، وهذا ما جعل خروتشوف يتراجع، لأن الثقافة الروسية تعتمد على استراتيجية الوسادة الناعمة.

الحرب ٢٠٠٧ أو بعدها

يبدو أن الملف الإيرانى يمر بنفس مراحل وتكتيكات الملف العراقى فى التناول الأميركى لخلفيات وتطورات الموضوع، فها هو العراق قد وقع فريسة العدوان والاحتلال الأميركى بعد أكثر من خمس سنوات من الشد والجذب والتهديد والوعيد وإعداد سيناريوهات الحرب وما بعد الحرب، وذلك بدءاً من إقرار الكونجرس الأميركى لقانون (حرية العراق) فى عام ١٩٩٨ أثناء تولى الرئيس

السابق بيل كلينتون، لتدور بعدها عجلة الحرب من ضربات جوية محدودة ثم جاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ لتوجد المبرر الموضوعى لأميركا لتتهم العراق بالإرهاب ثم اتهامها بامتلاك أسلحة دمار شامل، وتدخل القضية فى نفق قرارات مجلس الأمن لتنتهى خارج مجلس الأمن بتشكيل أميركا لتحالفها لاحتلال العراق، وهو الأمر الذى مر عليه ثلاث سنوات، ليغلق ملف العراق، ويفتح ملف إيران التى بدأت أميركا تهديدها، وتصعيد المواجهة معها قبل احتلال العراق، وجاء الاحتلال ليزيد من هذا التصعيد قوة وتبريرا فى ظل الدعاوى الأميركية ضد إيران بإنها تمول جماعات العنف فى العراق، وذلك فى نفس الوقت الذى صعدت فيه أميركا ومعها بريطانيا وألمانيا وفرنسا تهديداتها لإيران لكى تتوقف عن برنامجها النووى، وهو الأمر الآخذ فى التصاعد اليوم تلو الآخر، وصولا لأخذ الملف الإيرانى برمته إلى مجلس الأمن وإقرار الكونجرس لقانون حرية إيران، وهى نفس خطوات السيناريو العراقى تقريبا!!

وفى هذا السياق أقدم أحد المؤرخين ويدعى نيال فيرجسون أستاذ التاريخ بجامعة هارفارد على كتابة مقال بصحيفة (الصنداى تليجراف) البريطانية، وضع فيه تصوراً لما يمكن أن تؤدى إليه الأزمة الإيرانية النووية الحالية مع الغرب، وكيف يمكن أن تستفحل عند فشل منظمة الأمم المتحدة فى إدارة الأزمة بطريقة حكيمة، وبدأ فيرجوسون مقاله بالتأكيد على أنه من اليسير عليه كمؤرخ أن يستخدم قدراته فى استقراء المرحلة المستقبلية التالية، وأنه وبحلول بداية عام ٢٠٠٧ ستتوفر كافة العناصر اللازمة لتفجير صراع عالمى بالخليج العربى يتجاوز فى نطاقه وتأثيراته حربى عام ١٩٩١ وعام ٢٠٠٣.

وشرع فيرجسون فى تحليل العناصر المؤدية لتفجير الصراع الذى أكد انه

سيقع فى أغسطس من عام ٢٠٠٧ ويبدأ بهجمات متبادلة بين إيران والولايات المتحدة تستخدم فيها الأسلحة غير التقليدية وذلك بعد فشل كافة المساعى الديبلوماسية فى احتواء الموقف.

ورداً على الضربات الأميركية غير التقليدية التى ستوجه إلى إيران سيقوم الشيعة فى العراق باجتياح القواعد العسكرية فى العراق فى الوقت الذى سيجد فيه الصينيون (المحتاجون إلى البترول والغاز) أنفسهم مجبرين على التدخل ومساندة طهران لتقوم حرب ضروس تستمر من عام ٢٠٠٧ وحتى عام ٢٠١١!!

أما عن العناصر التى ستؤدى إلى تفجير تلك الحرب الضروس، فقد قسمها فيرجسون إلى الآتى:

أولا: عناصر جيوسياسية تتمثل فى زيادة الأهمية النسبية للمنطقة ودولها بوصفها مصدرا رئيسيا للبترول والغاز مع احتياج العالم المتقدم إلى مصادر الطاقة.

ثانيا: عناصر ديموغرافية: وتتمثل فى تراجع معدلات الخصوبة لدى الأوروبيين فى مقابل ارتفاع نفس المعدلات فى الدول الإسلامية الثمانى التى تقع إلى الجنوب والشرق من أوروبا أعلى بمقدار مرتين ونصف من نظيراتها الأوروبية، وهو ما يتضح بالخصوص فى إيران التى يشكل فيها جيل الشباب تحت ٢٥ سنة ثلثى الشعب الإيرانى وهو الجيل المستعد للقتال.

ثالثا: عناصر ثقافية: وتتمثل فى موجة من التشدد الدينى تجتاح إيران وتتسرب لبعض دول المنطقة، فى ظل وصول أحمدى نجاد إلى قمة السلطة فى إيران باتجاهه المتشدد.

رابعا: عناصر سياسية: وتتمثل فى حجم الضغوط التى تمارسها كل من

إسرائيل والمحافظين الجدد على الرئيس الأميركى لاتخاذ قرار بتوجيه ضربة استباقية وقائية للمنشآت النووية الإيرانية، وفى ذات الوقت الذى ستتخذ فيه الصين قراراً باستخدام الفيتو فى مجلس الأمن ضد القرارات العقابية التى تتخذ ضد إيران ومن ثم لن يفلح المجلس فى تمرير قرارات عقابية جادة ضد إيران.

ويؤكد فيرجسون فى النهاية على أنه وبحلول عام ٢٠٠٩ ستكون إيران قد أنتجت السلاح النووى الخاص بها وفى مواجهة حكومة إسرائيلية متشددة برئاسة بنيامين نيتانياهو تتخذ إيران قرارا بتوجيه صواريخها نحو إسرائيل التى تشرع هى الأخرى فى توجيه صواريخها المحملة برؤوس نووية نحو إيران، وبعد تزايد التهديدات المتبادلة تنطلق الصواريخ لتبدأ الحرب!!

ويشير المؤرخ فيرجسون إلى وجود من يسعون للنفخ فى نار الحرب ليزيدوها اشتعالا وإلى ارتفاع صوت أتباع مبدأ الحرب الاستباقية على باقى الأصوات المطالبة باللجوء إلى الدبلوماسية كطريقة أكثر أمنا لإنهاء تلك الأزمة ذات الأبعاد السياسية فى المقام الأول، ولكن من فى الإدارة الأميركية قادر على صنع هذا التوازن السياسى المفروض؟!!

من يقيد الفيل؟

هناك عدة عوامل مهمة تقيّد رد الفعل العسكرى الأميركى- الإسرائيلى، فى ضرب المنشآت النووية الإيرانية، على الرغم مما يعلن عن نقل تعزيزات جوية أميركية لمنطقة الخليج، أو تسليم إسرائيل قنابل ذكية قادرة على دك أعماق

المخابئ النووية الإيرانية، ويتراجع الخيار ليفوز خيار العقوبات الاقتصادية والسياسية لأسباب عدة منها:

١- تملك إيران قدرة ردع عسكرية، تستطيع بموجبها أن تضرب أهدافاً أميركية فى منطقة الخليج والعراق، وحتى تل أبيب، بعدما نجحت فى تطوير صواريخ عدة أبرزها صاروخ «شهاب٣»، الذى يحمل ٣ رؤوس حربية دفعة واحدة، بشكل يمكنه من تضليل الدفاعات الأرضية والصواريخ المضادة، والذى يصل مداه إلى ١٧٠٠ كيلومتر، وقادر على أن يحمل رؤوساً نووية يمكنها بلوغ الأراضى الإسرائيلية، وقواعد أميركية فى الشرق الأوسط؛ وهو ما يعنى تهديداً مباشراً لتل أبيب ومصالح أميركا، ويزيد خطره لو أنتجت إيران القنبلة النووية.

٢- تملك إيران وجوداً استخبارياً ومعنوياً وعسكرياً ضخماً فى العراق الجديد، الذى يسيطر عليه اتباعها فى ظل الاحتلال الأميركى، باعتراف كافة الأطراف الفاعلة، سواء أميركا أو سنة العراق ما يمكنها بسهولة، وفى ظل سيطرة قوات بدر التابعة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية التى كانت تؤويها إيران خلال حكم صدام من دعم المقاومة العراقية ضد الولايات المتحدة، أو الدخول المباشر إلى العراق وضرب القوات الأميركية (١٥٠ ألف جندى) بسهولة.

٣- تستطيع طهران استهداف القطع البحرية الأميركية فى منطقة الخليج بوسائل حربية شتى، خصوصا أن هذه القطع تقف قبالة القطع البحرية الإيرانية مباشرة، وتستطيع بالتالى وقف الملاحة فى خليج هرمز الحيوى، بالنسبة لانتقال البترول للغرب، وللملاحة، وبالتالى غلق الخليج العربى كله لو غرقت فى مدخل هرمز سفينة واحدة، ويمكنها بالدرجة نفسها تهديد القواعد الأميركية فى دول الخليج وتهديد مسارات النفط من الخليج إلى الغرب.

وقد أصبحت هذه القدرة أقوى بعد إعلان طهران عن نجاح تجربة أجرتها على ما سمّته أسرع صاروخ مائى فى العالم.

٤- لإيران حليف قوى فى جنوب لبنان، قادر على إزعاج إسرائيل وشنّ حرب ضدّ مدن شمال إسرائيل -هو حزب الله- ويمكن من خلال هذا الحليف أيضاً خلق قلاقل عديدة للمصالح الأميركية فى المنطقة.

٥- يدرك الإيرانيون، أن القوة الأميركية تنزف، بفعل الضربات الاستنزافية لها فى العراق وأفغانستان، ومناطق أخرى فى العالم، وبما فيه الداخل الأميركى نفسه، الذى بات مهدّداً باستمرار، ويدركون أن هناك ضغوطاً داخلية أميركية كثيفة لوقف التدخّل فى العالم، الذى شوّه صور بلادهم، وزاد العنف والعداء لها، ولهذا يتحرّك الإيرانيون وفق نظرية إن «ثمن الحرب أفضل من ثمن الاستسلام، وأن من استسلموا أو رضخوا للمطالب الأميركية دفعوا ثمناً باهظاً من كرامة شعوبهم، أكثر بكثير من ثمن المواجهة لو كانوا خاضوها.

٦- هناك صعوبة فى ضرب المنشآت النووية الإيرانية، بسبب توزّعها فى مناطق عديدة، وفى أماكن سكنية (١٦٢ مركز أبحاث): كما أن روبرت جيتس المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية قال: «إنه من غير المحتمل أن تكون ضربة مثل هذه فعّالة، بل قد تضر بالمصالح الأميركية، لأن إيران لديها عدد من المنشآت النووية منتشرة فى البلاد، مما سيجعل من الصعب على إسرائيل استهداف مواقع نووية إيرانية رئيسية، تقع فى المدن أو بالقرب منها.

وحتى لو تمت السيطرة على هذا القصف وقصره على رد فعل إيرانى سريع بصورايخ تكتيكية ضد إسرائيل، فسوف يفتح هذا القصف للمفاعلات الإيرانية، الكثير من الهجمات على القوات والنفوذ الأميركى فى العراق، وكل دول الخليج،

والأهم أنه قد يلهب كل منطقة الشرق الأوسط، الملتهبة أصلاً منذ الغزو الأميركى للعراق، والتسخين الحالى ضد سوريا، وحتى عودة لبنان إلى الحرب الأهلية.

إيران قوة عظمى فى الشرق الأوسط

ليس جديدا القول: إن إيران سعت منذ انتهاء الحرب مع العراق قبل عقد كامل لأن تصبح قوة عسكرية كبرى فى منطقة الخليج والأقاليم الفرعية الأخرى التى تنتمى إليها إيران جغرافيا وسياسيا، وهو ما تمثل فى عدد من البرامج العسكرية الطموح لتحديث القوات الإيرانية البرية والبحرية والجوية والصاروخية، الأمر الذى دفع بإيران لأن تكون قوة عسكرية رئيسية وفقاً للمقاييس السائدة فى منطقة الخليج، وان كانت بالطبع لا تنافس القوة العسكرية العصرية التى تقاس بها القوة الأمريكية أو القوى الأوروبية الأخرى مثلا.

وقد وضح من خلال البرامج التسليحية الإيرانية والعقود التى أبرمتها مع كل من الصين وروسيا وكوريا الشمالية أن ثمة تركيزا على ثلاثة جوانب.

أولها: استبدال قوات أقل عدداً، ولكنها عالية التجهيز يمكنها أن تقوم بعمليات محددة بالقوات البرية الكبيرة، وارتبط ذلك بإعادة هيكلة القوات النظامية وسلاح الحرس الثورى الإيرانى، مع التركيز على قدرة الانتشار بمحاذاة السواحل الإيرانية لصد أية هجمات تأتى من البحر وحماية المنشآت والأهداف البحرية

الإيرانية المدنية والعسكرية معا.

ثانيها: تطوير القدرات البحرية الإيرانية الهجومية، وهو ما تمثل فى الحصول على ثلاث غواصات روسية الصنع من طراز كيلو قبل أربع سنوات.

ثالثها: تطوير قاعدة الصناعات العسكرية المحلية، وتمكينها من أن توفر الحد الاقصى الممكن للتسليح فى وقت السلم أو الحرب.

رابعها: تطوير القدرات الصاروخية الإيرانية من خلال التعاون العسكرى مع دول مثل الصين وروسيا وكوريا الشمالية، ورغم أن المصادر الأميركية الرسمية والاستخبارية تؤكد مساعى إيران للحصول على قدرات نووية عسكرية، فلم يثبت بعد بالدليل القاطع مثل هذه المزاعم، وثمة اعتقاد أميركى أن استراتيجية إيران النووية تتضمن إقامة البنية الأساسية النووية للأغراض المدنية، وبحيث يمكنها أن تتحول إلى أغراض عسكرية بأقل تعديلات ممكنة، وفى الوقت نفسه تتجنب إيران الأنشطة التى يمكن أن يظهر منها نواياها العسكرية أو تدخل فى باب الانتهاكات الواردة فى معاهدة حظر الانتشار النووى التى وقعت عليها إيران، وتذهب الرؤية الأميركية إلى الاعتقاد أنه فى داخل المؤسسات العسكرية والسياسية الإيرانية يوجد تيار خفى يؤمن بأن قدر إيران لعب دور القوة الإقليمية الكبرى وأن تواجه التهديدات من مصادر مختلفة، وأنه يجب التحسب لهذه التهديدات من خلال امتلاك قاعدة للردع فوق التقليدى، وأن هذا التيار يعمل على جعل الخيار النووى الإيرانى أمرا لا غنى عنه.

بيد أن المساعى الإيرانية لامتلاك قوة عسكرية نووية، وإن كانت تظل فى باب التخمين والتكهنات والاستدلال النظرى، وتفتقر إلى دلائل قاطعة تثبت تلك التكهنات، فإن المساعى الإيرانية الناجحة فى تطوير قدراتها الصاروخية تظل

مصدرا للقلق الأميركى والإسرائيلى، وأيضا لدول الإقليم، لاسيما بعد أن أثبتت إيران نجاحا ملحوظا فى صناعة وتطوير الصواريخ بعيدة المدى محليا وبالاعتماد على تقنيات روسية وكورية وصينية.

ويعد الهدف الأساسى من هذه العملية بناء قوات استراتيجية فاعلة ومتكاملة توفر للبلاد قوة ردع هجومية تتميز بالمصداقية، وتوفر مظلة واقية ضد مهاجمة إسرائيل لأى من المشروعات الإيرانية العسكرية التقليدية أو فوق التقليدية.

ويتوافر لدى إيران سلسلة كاملة من الصواريخ والقذائف الصاروخية قصيرة المدى حتى ١٥٠ كم، والمتوسطة المدى التى تلامس مدى ٣٠٠- ٥٠٠ كم، وتضم (شهاب- ١) وهو نسخة متطورة من الصاروخ (سكاد- ب) الروسى ويصل مداه إلى ٣٠٠ كم، والطراز (شهاب- ٢) وهو نسخة من الصاروخ (سكاد- سى) ويصل مداه إلى ٥٥٠ كم.

وهناك عائلة أخرى من الصواريخ الإيرانية التى تنتج محليا تحت اسم زلزال، ويعتقد أنها مشتقة من عائلة الصواريخ الصينية المعروفة باسم (م) ويتراوح مدى عملها بين ٣٠٠ و٨٠٠ كم.

ويشير تقرير (الميزان العسكرى ٢٠٠٠- ٢٠٠١) إلى إنتاج طهران نسخاً معدلة ومحسنة من صواريخ باليستية أرض- أرض بالتعاون مع كوريا الشمالية والصين وروسيا، حيث أنتجت الصاروخ (شهاب- ٣) الذى يصل مداه إلى ١٣٠٠ كم الذى دخل الخدمة بالفعل فى عام ١٩٩٩ وهو نسخة من الصاروخ الكورى الشمالى (نودنغ- ١). وجارى العمل على إنتاج الصاروخ (شهاب- ٤) الذى يصل مداه إلى ٦,٣ ألف كم.

ويعتقد أنه يستند إلى الصاروخ الروسى المعروف باسم (س س- ٤ ساندال)،

ويفترض دخوله الخدمة عام ٢٠٠٧، وثمة تقارير تشير إلى قيام إيران بتطوير صاروخ باليستى عابر للقارات آخر يدعى (شهاب- ٥) الذى يصل مداه إلى ٥٠٠٠ كم، ويقدر له أن يدخل الخدمة فى عام ٢٠٠٧، وهو نسخة مطورة من الصاروخ الكورى الشمالى (تايبو دونغ- ١).

قاعدة صورايخ أميركية فى أوروبا الشرقية

ولمواجهة القدرات العسكرية الإيرانية فقد سعت إدارة الرئيس الأميركى جورج بوش إلى إقامة موقع جديد للصواريخ المضادة للصواريخ فى شرق أوروبا ستخصص لوقف أية اعتداءات إيرانية محتملة ضد الولايات المتحدة أو حلفائها الأوروبيين.

وينص الاقتراح الأميركى الذى يأتى فى ظل تزايد القلق من أن تكون إيران تطور أسلحة نووية، بنصب عشرة صواريخ فى موقع أوروبى بحلول العام ٢٠١١ ومن الدول المرشحة لاحتضان الصواريخ كل من بولندا وتشيكيا؛ ويتوقع ان ترفع إلى وزير الدفاع الأميركى دونالد رامسفيلد هذا الصيف توصية تتعلق بموقع فى أوروبا، وطلبت وزارة الدفاع الأميركية (البنتاجون) من الكونجرس ٥٦ مليون دولار للبدء بالأعمال التمهيدية على موقع الصواريخ هذا، وهو طلب واجه بعض المعارضة فى الكونجرس، وتقدر الكلفة الإجمالية لإقامة هذا الموقع، بما فى ذلك الصواريخ ذاتها، بـ ١,٦ بليون دولار.

وسيكون لإقامة قاعدة صواريخ مضادة للصواريخ فى شرق أوروبا انعكاسات سياسية كبيرة، فنشرها فى بولندا مثلا، يعنى أول تواجد عسكرى أميركى دائم على ارض هذه الدولة، ما يعنى تعزيزا إضافيا للعلاقات الوثيقة أساسا بين قطاعى الدفاع فى الدولتين.

وعلى رغم طرحه خلال جلسات استماع فى الكونجرس وفى تقارير، لم يثر هذا الموضوع الكثير من الاهتمام فى الولايات المتحدة، لكن الأمر يثير نقاشا كبيرا فى بولندا وهو ما دفع أيضا روسيا إلى شن حملة على الولايات المتحدة متهمة إياها بالتخطيط سرا لتوسيع الوجود الأميركى فى دول حلف وارسو سابقا، وسعى الجنرال يورى بالويفسكى القائد العام للجيش الروسى الى تحريض المعارضة البولندية ضد المشروع الأميركى، وقال فى حديث إلى صحيفة (جازيتا ويبوركزا) البولندية فى (ديسمبر) ٢٠٠٥: (هيا، شيدوا الموقع، عليكم أن تفكروا بما سيقع على رأسكم بعد ذلك، لا أتوقع صراعاً نووياً بين روسيا والغرب، ليست لدينا خطط مماثلة، لكن من المفهوم ان الدول التى تشارك فى أمر مماثل تزيد الخطر على ذاتها).

والموقع المقترح تشييده هو آخر فصل فى حكاية برنامج الدفاع الصاروخى الأميركى الذى كان بدأ مع الرئيس الراحل رونالد ريجان الذى وضع رؤيا لموقع فى الفضاء للتصدى للصواريخ، وبعد أكثر من ٢٠ سنة، جاءت إدارة بوش لتمضى فى تطوير نظام محدد لمضادات الصواريخ، يعتمد على إقامة قواعد فى القارات الست لحصار عدو مجهول.

الفصل الثامن

العاصفة النووية

عندما وقف الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد فى مؤتمر حاشد فى مدينة مشهد فى الحادى عشر من أبريل ٢٠٠٦، ليعلن أن بلاده نجحت فى تخصيب اليورانيوم بنسبة ٣,٥٪ ،تعهد بمواصلة العمل لاستكمال دورة الوقود النووى على المستوى الصناعى، ورغم تأكيده على أن جميع الأنشطة النووية الإيرانية ستكون تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية وخاضعة للمعايير الدولية ومعاهدة حظر انتشار السلاح النووى، إلا أن عدداً من دول أوروبا وأميركا وإسرائيل قد أدانت تلك الخطوة، مهددة إيران باتخاذ خطوات حاسمة رادعة ضدها حتى لا تتمادى فى مشروعها النووى، وهو ما رد عليه نجاد قائلا: (اغضبوا.. وموتوا بغيظكم)!!

بينما أعرب الأمين العام لمجلس التعاون الخليجى عبدالرحمن العطية عن دعوته إلى إخلاء منطقة الخليج من أسلحة الدمار الشامل.. ولكن يبقى السؤال؛ أين هو هذا السلاح النووى، هل إيران أصبحت تملك السلاح النووى بهذه الخطوة؟، وما هى المكاسب التى ستعود على إيران بتخصيب اليورانيوم؟، وهل ما حققته إيران مستحيل على كل العرب؟، أين العرب مما حققته إيران؟،

وهل يمكن إطلاق القول بإن إيران يمكن أن تقود العالم الإسلامى بمشروع نووى حقيقى متكامل صناعى وعسكرى قادر على تحرير الخوف والضعف من جنبات هذا العالم؟،

فى البداية تجدر الإشارة إلى أن أى حديث عن أن إيران تمثل تهديدا للغرب وإسرائيل من إعلانها هذا، يعبر عن جهل أو تجاهل لما حققته إيران فعليا، وليس ما يمكن أن تحققه، فما حققته إيران لا يعدو سوى خطوة أولى رئيسية فى

تحقيق هدف تقنى صناعى تبحث عنه كل الدول المتقدمة دون استثناء، وهو إقامة المصانع والمشاريع وتحلية المياه وإيجاد مصادر جديدة ومتجددة للطاقة بديلا للنفط والغاز، وذلك من خلال استغلال الطاقة النووية فى كافة المشاريع، لذا فلا يمكن لوم إيران على التفكير بهذه الصورة المتقدمة التى ستوفر عليها مليارات الدولارات إذا نجحت فيها فعلاً، حتى لو تحت الحصار أو الضغوط الدولية، لأن الإيرانيين فى الواقع مصممون على إقامة مئات المصانع لتحويل اليورانيوم وتصنيع آلاف أجهزة الطرد المركزى والعمل فى تخصيب اليورانيوم، وذلك بعد ما استطاعوا بالفعل امتلاك التكنولوجيا النووية والوقود النووى بالإضافة لوجود معدن اليورانيوم نفسه فى أراضيهم، وهى العوامل التى تؤكد أن الأنشطة النووية الإيرانية شلال بدأ يتدفق ، ولا يمكن وقفه، وهو ما يزعج الغرب فى الواقع.

لأن ما يمكن أن تحققه إيران هو أبعد من المشروع الصناعي، وهو إنتاج سلاح نووى وهو أمر بالتأكيد مخطط إليه أو مرحلة لابد منها فى ظل ما يشهده هذا البلد من ضغوط وتهديدات متواصلة من قبل أميركا والغرب ضده، ولذا فهو يسعى ويحلم بالتأكيد لامتلاك السلاح النووى وهو أمر مشروع فى ظل حالة الضعف والوهن والخضوع الذى أصبح عليه العالم الإسلامي والعربى، فى مقابل العدوان الإسرائيلى المستمر والهيمنة والسيطرة الأميركية، فالكل مهدد ومحاصر ومحتل بفعل فاعل أميركى- صهيونى لن يتخلى عن مخططاته إلا بالردع والمواجهة.

أعضاء النادى النووى

لم يكن إعلان نجاد عن أن إيران أصبحت الدولة رقم ٨ فى النادى النووى يحمل أى قدر من التهديد العسكرى كما أشاع الغرب بل إنه كان يعنى فى الأساس دخول إيران للنادى النووى سياسياً...، حيث أن المفهوم التقليدى لدول النادى النووى هى الدول المالكة بالفعل للأسلحة النووية وهى ثمانى دول فعلياً، منهم الدول الخمس الدائمة العضوية فى مجلس الأمن (الولايات المتحدة الأميركية وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين) والموقعة على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، بالإضافة إلى دولتين من غير الدول الموقعة للمعاهدة انضمتا علناً إلى النادى النووى وهما الهند وباكستان بإجرائهما تجارب وتفجيرات عدة، ومعهم إسرائيل التى تتكتم على وضعها وترفض توقيع المعاهدة، ويوجد ثمة إجماع على امتلاكها وتخزينها أسلحة نووية، ثم أن هناك دولاً تمتلك قدرات نووية تفوق كثيراً القدرات الإيرانية ولم تحدث ضجة حولها كما يحدث مع إيران، مثل ألمانيا وكندا وهولندا وإيطاليا وبلجيكا وأسبانيا والسويد وبولندا وكوريا الجنوبية وأندونيسيا واليابان التى تمتلك مفاعلات نووية وليس مفاعلاً واحداً مثل إيران، وتنتج هذه المفعلات يورانيوم أكثر من ٣.٥٪ وهى النسبة التى لاتكفى إطلاقاً لإنتاج سلاح نووى، حيث يحتاج انتاج هذا السلاح إلى يورنيوم بتركيز ٩٢٪ من اليورنيوم ٢٣٥.

يوجد حالياً (٤٤٣) مفاعلاً نووياً سلمياً على مستوى العالم و(٢٤) اخرى قيد

الإنشاء حيث تزود الطاقة النووية دول العالم بأكثر من ١٦٪ من الطاقة الكهربائية، ملبية على سبيل المثال ما يقرب من ٣٥٪ من حاجات دول الاتحاد الأوروبى، ففرنسا وحدها تحصل على ٧٧٪ من طاقتها الكهربائية من المفاعلات النووية، ويستخدم اليورانيوم ٢٣٥ المخصب فى صناعة وقود المفاعل النووى لإنتاج الطاقة والمعتمد على مبدأ الانشطار النووى، فبانشطار نواة الذرة تنطلق طاقة حرارية هائلة وبالنسبة لذرات اليورانيوم، فبإطلاق النيوترنات عليها يحدث الانشطار النووى لذراتها، وبانشطار بعض الذرات تطلق بدورها النيوترونات، واصطدام هذه الأخيرة مع ذرات أخرى، يسبب انشطارها، فيتم تحرير المزيد من النيوترونات، وهكذا يستمر رد الفعل المتسلسل مسبباً توليد كمية هائلة من الطاقة الحرارية.

وتشير تقديرات الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى أن كمية النفايات النووية التى يتم تخزينها عالمياً تزيد عن ١٣٠ألف طن سنوياً تحتوى عناصر ذات قوة إشعاعية عالية.

ويوجد سبع دول منتجة بالفعل للأسلحة النووية، وهى: الولايات المتحدة الأميركية وروسيا وفرنسا وبريطانيا والصين والهند وباكستان، ومن المعروف دولياً أن إسرائيل تمتلك الأسلحة النووية رغم عدم وجود اعتراف رسمى من ناحيتها كما توجد تغطية أميركية أوروبية على القدرات النووية العسكرية الصهيونية، أما عن الدول المتهمة بتطويرها برنامجاً نووياً فهى كوريا الشمالية وإيران، وأيضا هناك عدد من الدول التى سبق وأن طورت برنامجاً نووياً ولكنها لم تستكمله مثل: جنوب أفريقيا والأرجنتين والبرازيل وليبيا وتايوان.

وتخضع الدول ذات المنشآت النووية إلى رقابة مشددة، تُفرض عليها من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وهى منظمة مستقلة تعمل تحت إشراف الأمم المتحدة، وتأسست عام ١٩٥٧، بهدف تكثيف وتوسيع استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية، وعمل رقابة على الدول الموقعة على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية، كى لا تنتج يورانيوم مخصباً لإنتاج الأسلحة النووية، ورغم هذا الدور الرقابى الذى تلعبه عمليات التفتيش فإنها مازالت غير كافية، فبوسع مشغل مصنع التخصيب أن يقلل من تقدير قدرة منشأته أمام مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وأن ينتج اليورانيوم بصورة سرية خلال زيارات مفتشى الوكالة، ويحوله لأغراض عسكرية من دون أن يتم اكتشاف ذلك.

وبالعودة لدول النادى النووى نجد أنه لاتوجد أرقام دقيقة لأحجام الترسانات النووية فى العالم باستثناء ما كشفته وثائق التحقق المتبادلة الأميركية الروسية حول موجودات العملاقين النوويين الكبيرين، وبالتالى فمعظم الأرقام تقديرية وتتعلق بالرؤوس الحربية التى تمتلكها الدول المعنية لا الرؤوس المنشورة والجاهزة للاستخدام، وتتصدر الولايات المتحدة وروسيا بفارق كبير وفق الأرقام والتقديرات المتوافرة، القائمة، إذ لدى أميركا (التى ألقت أول قنبلة نووية لها فجر السادس من أغسطس عام ١٩٤٥ على مدينة هيروشيما والثانية بعدها بثلاثة أيام على مدينة نجازاكى لتنتهى الحرب العالمية الثانية) ٩٦٠٠ رأس نووى منها ٥٧٣٥ جاهزا للاستخدام، أما روسيا التى اجرت إبان العهد السوفيتى تجربتها الأولى عام ١٩٤٩، فتمتلك ٩٦٠٠ رأسا نووياً منها ٧٢٠٠ جاهزة للاستخدام (وهى تقديرات غير مؤكدة تماما فى الوقت الحالى فى ظل وجود

إشارات إلى سرقة المئات من هذه الرؤوس مع انهيار الاتحاد السوفيتى)، وعن بريطانيا فقد صارت ثالث دولة نووية عندما أجرت تجربتها تحت المسمى الرمزى (الإعصار) عام ١٩٥٢، والمقدر أن لديها ١٨٥ رأساً نووياً، وتلته على نفس الطريق فرنسا عام ١٩٦٠ ويشار إلى أن ترسانتها تضم نحو ٤٥٠ رأسا، ثم عام ١٩٦٤ انضمت الصين إلى القوى النووية عندما أجرت تفجيرها الأول فى أواخر الستينيات ويقدر أن ترسانتها تضم اليوم نحو ٤٠٠ رأس نووى، وهو الأمر الذى حفز الهند الجارة اللدود للصين على اقتفاء أثرها وفعلاً نجحت الهند فى إجراء تجربتها الناجحة الأولى عام ١٩٧٤ ويقدر ما تملكه اليوم بـ ٦٠ رأسا.

ووفق المنطق الردعى نفسه شعرت باكستان بضرورة تحصين نفسها بمواجهة الهند، فأجرت تجربتها النووية الأولى عام ١٩٩٨ ويقدر ما تملكه اليوم ٣٠ رأسا.

أما إسرائيل، فقد افتضح فعليا أمر نشاطاتها النووية بالذات فى مفاعل ديمونة بصحراء النقب عام ١٩٨٦ عندما سلم العالم الإسرائيلى التقنى بالمفاعل موردخاى فعنونو وثائق عن العمل الجارى فى ديمونة إلى صحيفة صنداى تايمز البريطانية، ويعتقد الخبراء العالميون أن فى حوزة إسرائيل ما بين ١٠٠ و٢٠٠ رأس نووى.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدداً من الدول كانت تسعى لدخول النادى النووى ولكنها تخلت عن سعيها هذا، ومن هذه الدول جنوب أفريقيا إبان فترة الحكم العنصرى لكنها تخلت عن طموحها ودمرت موجودات ترسانتها لاحقا، وهناك العراق التى كان لديها نفس الطموح، وكان يسعى علنا لبناء قوة عسكرية لمواجهة إسرائيل وبعدما أنفق أموالا طائلة لبناء البنية الأساسية لتنمية القدرات التقنية

النووية بدعم أوروبى تم تدمير كل شىء على يد إسرائيل فى السابع من يونيو ١٩٨١ بعد ذلك قل الكلام عن الجهود النووية العراقية، كما كانت ليبيا تملك قدرات تقنية نووية من أجهزة طرد مركزى وكمية كبيرة من اليورانيوم ٢٣٥، ولكنها من خلال الهيئة الدولية للطاقة الذرية سلمتها إلى الولايات المتحدة الأميركية منذ عام ونصف العام فى خطوة سياسية من القيادة الليبية لرفع الحصار عن الشعب الليبى، حسبما قال العقيد معمر القذافى.

وعلى نفس النهج الإيرانى تشير كافة التقارير العالمية إلى أن كوريا الشمالية وصلت إلى نشاط تخصيبى متقدم، فهى تمتلك تكنولوجيا نووية متقدمة، وصلتها عن طريق مساعدة الصينيين والباكستانيين، لكن ليس هناك تأكيد على امتلاكها لرؤوس نووية رغم امتلاكها لكافة أنواع الصواريخ متوسطة وطويلة المدى القادرة على حمل رؤوس نووية.

هل تحتاج إيران لإنتاج سلاح نووى؟

إن ما نجح فيه الإيرانيون هو ببساطة أنهم امتلكوا فعلياً تكنولوجيا فصل وتخصيب اليورانيوم وذلك بإتمامهم لدورة الوقود النووى معملياً وذلك بواسطة١٦٤ جهاز طرد مركزى حيث استطاعوا إنتاج يورانيوم مخصب بنسبة٣,٥٪ وهو المستوى اللازم لتوليد الطاقة الكهربائية، وهذا التركيز يخدم مفاعلات الأبحاث ومفاعلات القوى فى محطة«بوشهر» الذى ينتظر أن يعمل فى

نهاية العام ٢٠٠٦، فى حين أن إيران تحتاج لإنتاج سلاح أو قنبلة نووية إلى إنتاج اليورانيوك٢٣٥ المركز بنسبة٩٠٪ حيث إن إنتاجه يحتاج إلى آلاف من وحدات الطرد المركزى (١٥٠٠ جهاز على الأقل لانتاج قنبلة نووية واحدة خلال عام) فى مصنع «ناتانز» لتركيز اليورانيوم وهى تمتلك حالياً ثلاثة سلاسل من أجهزة الطرد المركزى كل سلسلة تضم١٦٤ جهازاً من طراز «بى-١»، لذلك فقد صرح الإيرانيوين أنهم سيحصلون على٣٠٠٠ جهاز طرد مركزى بنهاية العام ٢٠٠٦ ويرغبون فى حيازة أكثر من٥٠ ألف جهاز فى السنوات القليلة المقبلة، كما تحتاج إيران إلى حواسب إلكترونية من الجيل الخامس لإعداد حسابات الانشطار أو الاندماج النووى، وإلى توفير مصادر النيوترونات لبدء التفاعل المتسلسل فى القنبلة أو الرأس النووى، كما يحتاجون إلى نوع متقدم من الصلب الحربى وخبرات من التجارب النووية وتسليح وسائل الإطلاق.

وتمتلك إيران حالياً١١٠ أطنان من مركب سادس فلوريد اليورانيوم المادة الخام لليورانيوم المخصب، والذى يصب بعد ذلك فى أجهزة الطرد المركزى التى تعمل على فصل الغاز عن اليورانيوم حتى تنتج اليورانيوم المخصب٣,٥٪ ومع زيادة تركيز اليورانيوم ٢٣٥ وصولاً إلى نسبة٩٠٪ وأكثر، يتحول إلى شكل معدنى يصنع منه لب القنبلة النووية، ولا تحتاج إيران إلا ٢٥ كجم منه لصناعة قنبلة نووية صغيرة كالتى ألقيت على هيروشيما فى الحرب العالمية الثانية.

إذن فمن خلال الحسابات العلمية الدقيقة لما ينقص إيران لامتلاك سلاح نووى يتضح أنه وفى أصعب الظروف وتحت أقصى الضغوط، فإن إيران لا تحتاج لأكثر من خمس سنوات لإنتاج قنبلة نووية، بينما تشير أغلب التقارير

المتابعة للبرنامج النووى لإيران إلى أن إيران لا تحتاج بالفعل إلا لعامين لتستطيع إنتاج سلاح نووى، وأن ماينقصها لتحقيق ذلك هو أجهزة الطرد المركزى، وذلك بعدما توافرت لإيران كافة الإمكانيات والحاجات الأساسية لامتلاك تلك القدرة وبعدما أصبحت إحدى الدول القليلة التى تمتلك تكنولوجيا فصل وتخصيب اليورانيوم، وبذلك فهى قادرة من حيث توفر الامكانات لكن هل تريد إيران حقاً أن تزاحم أعضاء النادى النووى فى امتلاك السلاح النووى؟!.

نجاد يرفض مقايضة الذهب بالحلوى

عندما قال الرئيس نجاد لأوروبا: إننى أرفض مقايضة الذهب بالحلوى كان يشير إلى الاغراءات التى قدمتها أوروبا لبلاده.. من خلال عرض محدد هو تقديم مفاعل نووى يعمل بالمياه الخفيفة مجانا مقابل أن توقف طهران برنامجها فى تخصيب اليورانيوم، وهذا الرفض يعكس رغبة القائد الإيرانى فى امتلاك الشبكة لكى يصطاد السمك من البحيرة لا أن يتسلم السمك من أوروبا وأميركا، وهى قصة القائد الذى يستوعب تاريخ شعبه وحضارته، كما يستوعب تجارب الآخرين، وبخاصة جدول المعونة الأميركية أو الأوروبية لدول العالم الثالث الذى يظل مشروطاً بقائمة مطالب سياسية، تمثل ضغطاً على الإرادة الوطنية ومن جانب آخر تظهر حرص الغرب على سرقة المجهود الوطنى الإيرانى

الذى نجح فى إنضاج المشروع النووى، والعمل على تشتيته فى متاهات ودروب غير الهدف الأساسى، وهو تحويل إيران إلى دولة متقدمة تكنولوجيا، قادرة على التصنيع، وثمة رواية أسطورية رواها جلال الدين الرومى تعكس حكمة مهمة فى هذه الحياة.

يقول الرومى: إن جماعة من السراق «الحرامية» وبعد أن انتهى نهارهم الحافل بـ «المكتسبات» و«الإنجازات» والغنائم التى جمعوها من المدينة انتحوا جانباً من المدينة متجمعين فى خرابة خارج سورها ليتقاسموا ما غنمت أيديهم بعد «عناء» النهار، وقد اشعلوا ناراً وأطلقوا العنان لرقصهم وطربهم، وبينما هم كذلك فإذا برجل مسن من أهل المدينة راكباً حماره يتجه صوبهم بعد نهار حافل بالعمل والمعاناة فى الحقول والمزارع جلبته اليهم أنوار النار أيام زمان.

فقرر أن يقضى الليل بصحبة ذلك الجمع الذى ظن فيه خيراً! لكن الجماعة بطبعها النهم وجشعها الذى لا يتوقف عند حد خططت مبكرا لسلب رأس مال ذلك الرجل طيب القلب بكل ما يملكون من أساليب الخداع والاستمالة والتخدير.. فقررت زيادة وتيرة الطرب والرقص والغناء إلى درجة استثارة كل مشاعر ذلك الكهل المسكين، وقررت بالإشارة والإماءة أن تسرق حماره المربوط جانبا لأنه لا يملك غيره وتتركه وحيداً فى القسم الأخير من ظلمة الليل، وصار القرار أن ينسل أحدهم من وسط الجمع الراقص لهذه المهمة وعندما ينتهى منها يقول «كلمة السر» التى هى «خريرفت» وهى كلمة فارسية معناها راح الحمار أى طار الحمار.. فيبدأ الراقصون بترديد هذه العبارة واحداً بعد الآخر لينته الجميع فيزيدون من وتيرة الرقص والغناء والعربدة حتى «يسكر» الرجل المسكين على

الآخر.. كما يقولون وكانت الوصلة التى تربط فيما بين مقاطع الغناء هى ،خريرفت، أى طار الحمار وهكذا ،سكر، الرجل شيئاً فشيئاً وهو يغنى ويرقص بوتيرة متصاعدة ويردد معهم ،خريرفت.. خريرفت، بينما كانت جماعة السراق تنسل من بين يديه الواحد بعد الآخر.. حسب الخطة الموضوعة ولم يأت الصباح حتى انتبه صاحب الحمار المسكين إلى أنه ترك وحيداً فصار حبيس الفناء الرحب خارج أسوار المدينة لا يملك سوى ذكريات الليلة الراقصة مع جماعة السراق الذين ظن بهم خيرا.

إن أى مراقب ضليع بأحوال وحاليات ما يجرى لأقطارنا وبلداننا العربية والإسلامية يستطيع أن يلحظ بسهولة الأهداف الصهيونية والأمريكية العميقة الكامنة خلف سيمفونية الطرق، وحفلة الرقص بلا حدود الدائرة من حول أسوار مدننا وأقطارنا فى ليالى السمر الحالكة المحيطة بمنابع الطاقة من غاز وبترول ومناجم المعادن والثروات التى يريدون الاستيلاء عليها نهائيا تحت غطاء. وصلة.. الحريات وحقوق الإنسان وتعميم الديموقراطيات وثقافة الاعتراف بالآخر والتسامح مع الغير .. إنها وصلة جميلة بالفعل ومقولات خير يراد بها شر، للأسف الشديد.. هذا ما تبينه معالم خريطة الطريق التى شقت لنا.. انظروا إلى ما يجرى بصمت وهدوء بالغين فى مجال احتكار مناجم ومخازن المعادن الثمينة لا سيما اليورانيوم فى دارفور السودان فى مقدمة لإخراج الصين وشريكاتها الأسيويات من مفتاح أفريقيا وبوابتها الاستراتيجية.

انظروا إلى ما يجرى فى العراق الذى يراد له أن يكون بوابة الهيمنة على منابع الطاقة فى كل المنطقة، والقفز من خلاله إلى آخر مخازن الغاز والبترول

الخارجة عن السيطرة فى بلاد فارس بحجة الخطر الداهم المنطلق من برنامج إيران النووى.

ويدرك الرئيس نجاد والقيادة الإيرانية أن امتلاك إيران لدورة الوقود النووى بالكامل على أرضه له دلالات لعل أهمها:

١- بقاء تكنولوجيا التخصيب بكل مكوناتها فى أيد إيرانية وعلى الأرض الإيرانية لضمان توفيره واستمراريته، مما يجنب إيران تقلبات الضغوط الخارجية، لو تمت هذه العملية فى الخارج.

٢- تيسير الطريق أمام المتخصصين الإيرانيين لمتابعة جهود امتلاك التكنولوجيا الحديثة والمتطورة، مما قد يمكن إيران من أن تصبح دولة مصنعة للمواد والمعدات النووية.

ويعزز من هذا التوجه شعور إيران بمخاطر التهديدات الموجهة إليها:

١- السير على طريق إنتاج الأسلحة النووية مستقبلاً يمكن أن يوفر لها ضماناً ضد أى تهديدات أميركية أو إسرائيلية أو من أى طرف.. ،تعرضت إيران للغزو خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، كما تعرضت إيران للقصف الكيميائى والبيولوجى من العراق خلال الحرب العراقية - الإيرانية ولا تود مواجهة مواقف مماثلة مستقبلاً.

٢- إن إيران محاطة بحدود مشتركة مع ١٥ دولة، مازالت توجهات أغلبها مبهمة تجاه إيران، رغم انتهاجها موقف حسن الجوار إلا أن أحداً لا يضمن ما سوف يحدث فى المستقبل فالسياسة عالم متغير باستمرار.

٣- رغبة إيران فى ممارسة دور سياسى إقليمى فعال ومؤثر فى منطقتها

والعالم ورغم اقتناع عدة مصادر بأن أمام طهران فترة تتراوح ما بين خمس سنوات إلى عشر سنوات لامتلاك سلاح نووى، وبالتالى فليس هناك خطر وشيك.. فإن واشنطن تحاول إعطاء انطباع مخالف، وهنا يجىء المحرك الأساسى الثانى للموقف الأميركى المتعجل ،وهو السعى إلى حرمان طهران من أية معرفة نووية متطورة،، والعمل على إجهاض أية محاولة فى هذا الاتجاه وهى فى المهد.. للإبقاء على الاحتكار النووى فى المنطقة لإسرائيل. فكسر هذا الاحتكار يعد فى نظر واشنطن موقفاً يصعب قبوله سواء من قبل ،المحافظين الجدد، أو من إسرائيل، وتوظف واشنطن ما تروجه حول المخاطر الإيرانية النووية لعقد مزيد من صفقات الأسلحة لدول المنطقة والاستمرار فى فرض حمايتها المكلفة لهذه الدول والحيلولة دون حدوث وفاق عربى - إيرانى.

ويلاحظ أنه رغم امتلاك إسرائيل دون سواها فى المنطقة لأسلحة نووية ،تقدر بمئتى رأس نووى، وأخرى غير تقليدية فإنها نجحت فى اختطاف المسألة الأمنية الإقليمية، وإبرازها على أنها قضية تخص الدولة العبرية وحدها، كما نجحت جزئيا فى جعل المجتمع الدولى يتقبل الطرح القائل: إن تفهم ورعاية المخاوف الأمنية الإسرائيلية هو أحد المفاتيح اللازمة لحل النزاع العربى- الإسرائيلى دون النظر إلى المخاوف الأمنية للدول العربية، رغم افتقارها لأى سلاح رادع واستمرار احتلال إسرائيل لأراض عربية.. فى ظل تضليل عالمى استغلت فيه أوروبا، وهذا ما كشف عنه الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد فى حوار لمجلة ألمانية حين قال: إن الدول الأوروبية ترتكب خطأ بانحيازها للولايات المتحدة فى النزاع المتعلق بالبرنامج النووى الإيرانى وستعانى نتيجة ذلك.

وقد صرح أحمدى نجاد لمجلة دير شبيجل الألمانية فى مقال نادر نشر منذ فترة، أن بلاده لا تحتاج إلى أسلحة نووية، وانتقد آلة الدعاية التى يوجهها الغرب ضده وحذر الدول الأوروبية من أنها تخاطر بالإضرار بسمعتها فى المنطقة وأضاف: يدهشنا أن بعض الدول الأوروبية تقف ضدنا، فهى تعرف أن أنشطتنا سلمية.

وتابع: من مصلحة الأوروبيين أن يقفوا إلى جانب إيران، لكن إذا وقفوا ضدنا فإن عليهم تحمل الأضرار التى ستنجم عن ذلك لأن شبكة عالمية نشطة من الصهاينة تحاول منع العالم من معرفة الحقيقة الكاملة حول وجود الدولة العبرية وأثرها السلبى على الشرق الأوسط، وعبر عن اعتقاده بأن الألمان لم يسمح لهم بكتابة الحقيقة عن المحارق النازية.

وقال: إنه إذا كانت هذه المحارق قد حدثت بالفعل ضد اليهود الأوروبيين فإنه يتعين أن يعود اليهود من إسرائيل إلى أوروبا.

وقال: إذا كانت المحارق حدثت فإنه يتعين حينئذ على أوروبا أن تتحمل العواقب، ولا يجب أن يدفع الفلسطينيون الثمن، وقال: أما إذا كانت لم تحدث فيجب على اليهود العودة من حيث أتوا، وتابع: أعتقد أن الشعب الألمانى أسير للمحارق.. لقد قتل أكثر من ٦٠ مليون شخص فى الحرب العالمية الثانية. والسؤال.. لماذا اليهود هم محور الاهتمام؟!

وقال مسئول الملف النووى الإيرانى على لاريجانى فى أعقاب لقائه بوزيرة الخارجية اليونانية دورا باكويانيس ٢٠٠٦/٥/٩، فى أثينا: ننصح الاتحاد الأوروبى بعدم مواكبة سياسة أميركا التى تثير مشاكل فى المنطقة، علماً أنه يستطيع الاضطلاع بدور بناء فى إزالة التوتر.

نجاد يهاجم الغزو الثقافى الأوروبى

وعاد الرئيس أحمدى نجاد يؤكد على أن أى اقتراح يلزمنا وقف النشاطات النووية السلمية لن تكون له قيمة، ولن يكون صالحاً، واتهم الرئيس الأوروبيين بأنهم يعيشون فى عالم استعمارى.

ورفض نجاد الإغراءات الأوروبية التى أشارت إلى استعداد الاتحاد الأوروبى على تطوير برنامج نووى آمن ومستديم تنطبق عليه مواصفات الحد من الانتشار، ولكن مقابل ذلك تتوقف إيران عن كل أنشطة التخصيب على أرضها.

وأمام البرلمان شن القائد الإيرانى أحمدى نجاد نقداً علميا للعلاقة المختلة بين أوروبا والغرب والعالم النامى، وقال ،هناك عدم توازن فى المبادلات،إننا نستورد من هذه الدول سلعاً بمليارات الدولارات فيما هم يشترون نفطنا فقط، بل إنهم لا يشترون منتجاتنا النفطية، وأكد على أن هذه الدول لا تبدى امتنانها تجاهنا لأننا نسهم فى نموها الاقتصادى، لكنهم بدلاً من ذلك يعتبروننا مدينين لهم.

وندد بالاجتياح الثقافى وتوسع التفكير الليبرالى الذى أصبح التبرير لكل الظواهر السياسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية، وأكد أن ذلك حصل خلال السنوات الأخيرة ،أى فى ظل نظام سلطة الإصلاحى الرئيس محمد خاتمى، وقال: إن الفكر الليبرالى يبرر شتى الانحرافات، والبديل له هو أن نوسع ثقافة

نشر الفضيلة، والنهى عن المنكر، وكذلك التقاليد الإسلامية الخيرة مثل احترام الوالدين، وزيارة الأقارب والمروءة والإحسان.

وفى خطوة مفاجئة، أعربت وزيرة الخارجية الأميركية كوندوليزا رايس، عن نية بلادها اعتماد اللغة الديبلوماسية المرنة فى علاقاتها مع طهران. وأكدت استعدادها للمشاركة فى مفاوضات «الترويكا» الأوروبية مع إيران.

ورأى المراقبون فى التحول الاميركى مدخلاً للتعاون مع الدول الأوروبية الثلاث، أى بريطانيا وفرنسا وألمانيا، وأعلنت هذه الدول بالاتفاق مع روسيا والصين والولايات المتحدة، عن استعدادها لمساعدة إيران على بناء مفاعلات نووية عدة تعمل بالمياه الخفيفة إذا تراجعت طهران عن قرار تخصيب اليورانيوم. وربما خفف تصريح محمد البرادعى من المخاوف المتأتية عن مخاطر إيران النووية، وذلك عن طريق استبعاده لهذه المخاطر فى المستقبل القريب.

كذلك تراجعت فرنسا وبريطانيا وأميركا عن مطالبها القاسية بضرورة استخدام الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، الأمر الذى يسمح باتخاذ حزمة عقوبات آخرها التدخل العسكرى، ولكن روسيا والصين والمانيا تحفظت على استخدام الفصل السابع فى مسألة يمكن تسويتها بالطرق الديبلوماسية. ولقد اقترحت موسكو انضمام إيران الى منظمة شنغهاى على اعتبار أن هذا المخرج يعطى الوكالة الدولية حق معالجة المشكلة بواسطة روسيا والصين الدولتين القادرتين على صوغ اقتراحات تقبل بها إيران.

أما الموقف الأمريكى فقد شبهه البعض بـ «البراشوت» التى تحاول امريكا من

خلاله ان تلقى بثقلها السياسى والاستخباراتى والأمنى على جلسات المفاوضات ما بين إيران ومجموعة «الترويكا» الأروربية، وذلك لتحقيق الأهداف الآتية:

أولا: أن تجد أمريكا لنفسها مقعدا أساسيا على طاولة الحوار والمفاوضات حتى تكون شريكا أساسيا فى مفاوضات تعدى عمرها الثلاث سنوات، وكانت خلالها أمريكا رافضة تماما لأى تدخل فى مجريات أو جلسات هذه المفاوضات لأنها فى نظرها لن تقدم جديداً أو قادرة على تحقيق مطالبها التى تتمثل فى إيقاف تخصيب اليورانيوم فى المفاعلات النووية الايرانية دون أدنى شرط أو قيد، وبجلوس واشنطن على مقعد التفاوض سيمكن لها أن تتابع مجريات المفاوضات أولا بأول.

ثانيا: تهدف أمريكا من الاشتراك فى هذه المفاوضات أن تقول للغرب وللعالم أجمع أنها بذلت اقصى ما فى وسعها للوصول للحلول السلمية المناسبة، وأنها باشتراكها فى هذه المفاوضات أصبحت تقدر ما يمليه شركاؤها الأوروبيون من مبادرات وآراء، إلى أن تذهب إلى مجلس الأمن بمشروع قرار يحظى بموافقة الجميع.

ثالثا: تسعى أمريكا من خلال اشتراكها فى المفاوضات الى إفشال جلساتها (لغرض فى نفس يعقوب) ولتصبح الحلول الديبلوماسية غير مجدية او ذات قيمة، وبالتالى فإن الاتجاه نحو مجلس الأمن لفرض عقوبات اقتصادية وديبلوماسية على إيران يعد خطوة للاتجاه الصحيح بالنسبة لعصابة المحافظين الجدد فى واشنطن ولأتباعهم.

رابعا: ستلعب أمريكا فى هذه المفاوضات على مواطن خلافها التاريخى

السياسى والأيديولوجى مع إيران، وليس من المستبعد أن تشهد هذه المفاوضات هبوطا امريكيا على إيران من أجل التخلى عن أسباب وشروط تلك الخلافات.

يبقى أن نشير إلى عدد من الشهادات التى تمثل أهمية كبيرة فى مسيرة هذه العاصفة النووية وهى لعدد من المختصين والمراقبين للملف النووى الإيرانى، إضافة لرؤية خاصة لأحد الخبراء النووين الإيرانيين (المهاجرين) عن مسار وطموحات المشروع النووى الإيرانى، وأخيرا إشارة لما روجه أحد الكتب الأمريكية الحديثة عن معلومات تؤكد أن المخابرات الأمريكية قد تسببت من حيث لا تدرى فى تقديم معلومات للإيرانيين تساعدهم على صنع قنبلة نووية.

حسن روحانى..
صاحب المفاوضات التى شغلت الأنظار!

على مدار العامين منذ (أكتوبر) ٢٠٠٣ وحتى (سبتمبر) ٢٠٠٥ قاد رئيس المجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى حسن روحانى حقيبة الملف النووى الإيرانى، فاستطاع بشخصيته البراجماتية فى إقامة حوار ممتد وطويل مع مجموع الترويكا الأوروبية حول الأنشطة النووية الإيرانية، وطوال هذه الفترة لم يشهد فيه الملف النووى الإيرانى أى تصعيد تجاهه، بل كان فى مركز القوة دائماً، حيث كانت تنهال عليه العروض الأوروبية لإثنائه عن الاستمرار فى مساره نحو امتلاك تكنولوجيا تخصيب اليورانيوم، ولم تتصاعد أبداً النبرة الأميركية المهددة والمتوعدة للإيرانيين، بل على العكس تماماً كان هناك شبه توافق وإجماع دولى

على حل تلك الأزمة بعيداً عن كافة أشكال التصعيد والتهديد، وفور استلام الرئيس الإيرانى نجاد منصبه أعلن أنه سيعفى روحانى من مسؤولية الملف، ويحيله لرئيس هيئة الإذاعة والتليفزيون الإيرانى سابقاً ومنافسه على منصب الرئيس على لاريجانى ليدخل الملف النووى الإيرانى فى مرحلة جديدة يزداد معها التصعيد ضده ويتجه معها إلى مجلس الأمن.

وحول مرحلة روحانى الأكثر هدوءاً للملف النووى الإيرانى، والتى توصف حالياً بأنها كانت المرحلة الضرورية والحاسمة لإنجاز ما تم إنجازه فى البرنامج النووى الإيرانى، حيث يقال إن القيادة الإيرانية ألهت مجموعة الترويكا الأوروبية بحوارات ومفاوضات روحانى لتحقيق ما حققته أخيراً من امتلاك التكنولوجيا الكاملة لتخصيب اليورانيوم، وحول الكثير من الأسئلة المطروحة عن حقيقة الملف النووى، وعن التبعات والتوقعات والمخاطر والمخاوف التى تحيط به، فقد أجاب مسؤول الملف النووى الإيرانى السابق حسن روحانى عليها فى الحوار الصحافى الذى استطلع شهادته فيما يدور فى كواليس البرنامج النووى الإيرانى حيث قال : إن أهدافنا من البرنامج النووى بحثى وصناعى فى الأساس، وهو ما أكدناه من أن نشاطاتنا ستكون فى الإطار الذى تحدده القوانين والمعاهدات والقواعد الدولية، ونحن لا نقوم بهذا البرنامج فى الظل أو سراً، فليس لدينا ما نخفيه عن العالم، وقد أعلنا ذلك مراراً، والوكالة الدولية للطاقة الذرية تأكدت الأمر مراراً، وبإمكان أى جهة دولية معنية (غير إسرائيل) أن تطلع على كل مالدينا، فنحن متعاونون مع المجموعة الدولية لأقصى درجة، لكن هناك من يسعى على الدوام إلى قلب الحقائق وافتعال المشاكل، ونحن لا نجهل دوافع مثل

هذا التصعيد، فإيران دولة مهمة فى المنطقة وفى العالم، ولم تكن ولن تكون لقمة سائغة مثل سواها لأحد، أياً كان، وإلا فلماذا هذا التصعيد والتضخيم والتشكيك والاستفزاز والتهديد من قبل أميركا وإسرائيل؟!

وأضاف روحانى: نحن فى إيران لانخشى أى هجوم تشنه الولايات المتحدة أو اى دولة أخرى، لكن مع ذلك، نحن نسمع تأكيدات تفيد بأنه ليس بالضرورة أن يشن الغرب عملاً عسكرياً ضد منشآتنا، حتى لو اقتربت تجاربنا وأنشطتنا من السلاح النووى، وأنا أقول إننا لانخشى هجمات من الولايات المتحدة أو دول أخرى على المنشآت النووية، لأنه ليس لدينا شىء نخفيه، وليس لدينا بنى تحتية لإنتاج أسلحة نووية، وذلك لأن برنامجنا لاعلاقة له بالسلاح النووى كما يردد البعض، فنحن لانريده ولا نحتاجه، فباستطاعتنا الدفاع عن بلادنا بدون سلاح نووى وبإمكانك أن تعتبر أن هذا التأكيد صادر عن أعلى جهة فى إيران، لأنه لو كان لدينا سلاح نووى لما ترددنا فى الإعلان عن ذلك دونما خوف من أحد، لأن أغلب الدول المحيطة بنا لديها هذا السلاح، ونحن نعرف ذلك، فإسرائيل لديها وكذلك الهند وباكستان، ونحن على النقيض مما يتردد، نعمل على أن تكون المنطقة كلها خالية من تهديدات الأسلحة النووية.

وحول الإصرار على الاستمرار فى تخصيب اليورانيوم يؤكد روحانى أن إيران لا تصر على استخدام اليورانيوم المخصب إلا فى محطات الطاقة، وإن هدفها الموضح والمعلن من بناء مفاعل نووى بالمياه الثقيلة ليس له علاقة بإنتاج البلوتونيوم لصناعة قنبلة ذرية، بل للبحث العلمى حصراً وكل ذلك يتم تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة، وإيران لم تطلب

ثمناً مقابل أبحاثها النووية السلمية المشروعة ولاتقبل المساومة عليها، طالما إنها حق من حقوقها وفقاً لمواد المعاهدة الدولية لمنع انتشار الأسلحة النووية.

وعن فترة تولى مسؤولية الملف النووى الإيرانى وما يقال إنها كانت مرحلة الإخفاء والتضليل على مجموعة الترويكا الأوروبية وصولاً لتحقيق ما نجحوا فيه من تخصيب اليورانيوم، يقول روحانى: لم نكذب على أحد، لا الآن ولا فى السابق، لقد تعاملنا بوضوح مع الجميع، قد تختلف قناعاتنا عن قناعاتهم ، وقد تختلف طريقة التعامل حسب ثقافة وعادات كل طرف ، وفقاً لطبيعة فهمه للأمور، لكن من جانبنا، لاشىء تغير، بقينا على التزاماتنا، ذهبنا بعيداً معهم، ليس بمقدورنا أن نسلم أنفسنا لهم، ولا تنس أننا فى الحكومة السابقة، توصلنا إلى اتفاقيات مع كبار المسؤولين الأوروبين بشأن ملفنا النووى، وأن سياساتنا لم تتغير مع تغير الحكومة.

هاشمى رفسنجانى
الرجل القوى فى إيران

رغم خروجه من معركة الانتخابات الرئاسية الإيرانية خاسرا أمام الرئيس الحالى محمود أحمدى نجاد، إلا أنه لا يمكن اعتبار رئيس مجمع تشخيص النظام فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية آية الله على أكبر هاشمى رفسنجانى شخصية عادية لا فى إيران ولا فى منطقة الشرق الأوسط، فهو رئيس سابق لمدة ثمانى سنوات، ويقال عن رفسنجانى: إنه الرجل الاول فى إيران حتى وهو خارج

الرئاسة، ويرجع ذلك للدور الرئيسى والمحرك للسياسات الخارجية الإيرانية وقيامه بإطلاق الفقاعات المثيرة للجدل حول حقيقة المشروع النووى الإيرانى والوضع فى العراق وتبعات التصعيد المقلق لدول الخليج مع الولايات المتحدة، لا سيما بعد أن أعلن الرئيس أحمدى نجاد أن بلاده قد امتلكت التقنية النووية بشكل كامل، وتعتبر ثامن دولة فى العالم تحصل على تقنية تخصيب اليورانيوم، حيث قام رفسنجانى بزيارات متعددة لعدد من دول الجوار مثل سوريا والكويت، وهو الأمر الذى ألقى بظلاله حول طبيعة دوره فى السياسة الإيرانية الخارجية ومدى حقيقته هل هو يسعى لإطفاء فتيل حرب متوقعة، أم لتهدئة مخاوف دول الجوار فى الخليج من مخاطر الحرب، أو التسرب النووى المحتمل، أم لإسكات دول المنطقة وتحييدها، فى حال أن طلبت منها الولايات المتحدة تقديم تسهيلات لقواتها، لتوجيه ضربة استباقية للمنشآت النووية الإيرانية؟

إجابات عديدة لم يكن بمقدورنا الاطلاع عليها إلا من خلال شخص واحد وهو رفسنجانى، حيث أشار فى عدد من تصريحاته الصحافية الخاصة بحقيقة المشروع النووى الإيرانى والقضايا المتصلة به، إلى الآتى:

حول الموقف الإيرانى المتشدد فى شأن التمسك بالمشروع النووى، وما إذا كانت إيران قد اقتربت من مرحلة صناعة القنبلة النووية؛ قال: لا علاقة لأنشطتنا النووية بالقنبلة أو السلاح النووى، نحن نسعى للاستفادة من الطاقة النووية فى المجال السلمى لا أكثر، فليس لدينا سلاح نووى ولا نعتزم بأى حال من الأحوال أن يكون هدفنا هو تصنيع القنبلة النووية، هناك فرص كثيرة أمام إيران وأمام دول أخرى للحصول على التقنية النووية من الدول الكبرى وبعدة طرق، تماماً

كما فعلت إسرائيل من قبل، وكما فعلت دول أخرى، لكن هذا ليس هدفاً بالنسبة لنا، هدفنا واضح ومعلن، وليس هناك ما نخفيه فى هذا المجال.

وعن إمكانية تعريض منطقة الخليج لخطر الحرب أو التسرب الإشعاعى بسبب البرنامج النووى الإيرانى، يقول رفسنجانى: ما الذى يمنع أن تتمتع دول العالم الثالث بهذه الخطوات لتتجه نحو التنمية؟ وما الذى يمنع الدول الصديقة لإيران من أن تدعم إيران فى هذا البرنامج؟ أبلغناهم جميعاً بأننا لانتمنى ولانريد أن تحدث مواجهات عسكرية بيننا وبين الغرب،لكن إذا قررت أميركا أو إسرائيل الحرب، فإننا على استعداد لهذه المواجهات إذا حصلت، ورغم ذلك أنا أستبعد أن تتعرض إيران لضربة عسكرية ببساطة، لأن ذلك يرجع إلى أن الثورة الإسلامية فى إيران استطاعت إخراج الأميركان من إيران عام ١٩٧٩، بالاعتماد على الشعب والمساجد فقط، فكيف يمكن للدول الغربية الانتصار الآن فى ظل القوة الكبيرة التى تمتلكها الجمهورية الإسلامية؟

أما عن مسألة التسرب الإشعاعى، فنحن نعتمد الضوابط الدولية للسلامة، فيما يتعلق ببرنامجنا النووى، فالمناطق الموجودة بها البرنامج النووى الإيرانى حاشدة بملايين الإيرانيين، فكيف نضع برنامجنا النووى فى مناطق كثافتها السكانية بالملايين من دون اتخاذ إجراءات أمنية، ومع ذلك ولتبديد المخاوف، نحن لانمانع من قيام اتحاد الشركات من دول عدة ، لكى تساهم فى إدارة برنامجها النووى على الأرض الإيرانية، لإيجاد أجواء الثقة للبرنامج النووى الإيرانى، ولنؤكد سلامة موقفنا.

وبعيداً عن المواجهة والحرب، كان رفسنجانى قد اقترح على البرلمان الإيرانى

بأن يقدم مشروعاً يطلب من الدول التى تمتلك التكنولوجيا النووية، أن تقوم بتأمين الوقود النووى لإيران لمدة عشر سنوات، لتقوم طهران مقابل ذلك، بوقف عملية تخصيب اليورانيوم وللمدة نفسها، وأنه إذا قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بدراسة هذا الاقتراح ومن ثم تبنيه، فإن الأزمة ستنتهى بإذن الله بدون مشاكل (على حد قول رفسنجانى).

وحول طبيعة العلاقة مع أميركا فى ظل الأزمة الحالية من وجهة نظر رفسنجانى، حيث يقول: نحن لانرى من أميركا شيئاً فلا نبحث عن محاربتها ولا دخل لنا بها، إلا بالقضايا والمواقف الإسلامية والعربية، وفى مقدمتها ما يخص بأمن وسلامة بلدنا، لكن نريد من أميركا أن تتركنا وشأننا، فهى ليست وصية علينا، ونريد منها أيضاً أن تحترم القرار الوطنى الإيرانى وأن تعترف بأننا دولة كبرى فى الخليج لنا وجودنا ومصالحنا وأمننا، لكن المشكلة أن الولايات المتحدة تدعم إسرائيل، وإسرائيل لها نيات ومشاريع غير مقبولة، ولايمكن أن نرضخ لها، وإلا فلماذا تعترض الولايات المتحدة على حق إيران فى التعامل مع الطاقة النووية، والأبحاث المتعلقة بأنشطة تخصيب اليورانيوم، ويزعجها نجاحنا فى التعامل مع أجهزة الطرد المركزى؟!

والولايات المتحدة تريد أن تخضع العالم كله لإرادتها، وإيران لاتزال عصية عليها، لذلك فإنها تحاربنا وتختلق المشاكل والمبررات لهذه الحرب غير المقبولة.

أما عما تريده إيران من دول الخليج، يقول رفسنجانى: دول الخليج العربى كلها دول صديقة وشقيقة تربطنا معها مصالح كثيرة، ونحن وإياها فى زورق واحد، ومصالحنا واحدة وديننا واحد، فضلاً عن أننا جميعاً دول جوار، نحن نريد

أن نساعد وأن نكون عاملاً مساعداً على الاستقرار والتنمية، ومن هنا فإننا لانريد من هذه الدول أن تكون قواعد لأى اعتداء علينا، لقد تعرضنا إلى نوع من الظلم، عندما شن صدام حسين حرباً ظالمة علينا، الآن أميركا تخطط للأمر نفسه، ونحن لانقبل أن تتحول دول الجوار إلى مراكز لانطلاق القوات المعادية.

ويضيف:ليست لدينا أية أطماع فى الخليج وليس هناك مشروع لدينا لتصدير الثورة كما يقول البعض، كما أننى أنكر ما قد ردده بعض أفراد قوات الحرس الثورى من إن إيران ستغلق الخليج بالنيران والحرائق إذا هاجمتنا أميركا، وأؤكد إنه إذا ضربت أميركا البرنامج النووى الإيرانى فليس هناك مشروع لمهاجمة أو القيام بعمليات انتحارية إيرانية ضد مصالح الولايات المتحدة أو مصالح بقية الدول الغربية، لا فى الخليج ولا فى كل المنطقة.

العالم النووى الإيرانى شاحران شوفين يتحدث

ومن خلال الحوار التى أجرته معه صحيفة هآرتس الإسرائيلية ونشرته مجلة مختارات إسرائيلية مع الخبير النووى الإيرانى د. "شاحران شوفين"، يتضح لنا أن هناك العديد من الخبراء النوويين الذين أعطوا المشروعية الكاملة على البرنامج النووى الإيرانى رغم أنه أحد المعارضين للنظام الإسلامى فى إيران وينبغى الحذر من قراءة تصريحاته لكننا نعرضها لنكشف الرأى الآخر المعادى للثورة والجماهير، وكان شوفين قد ترك إيران فى ١٩٧٧ قبل عامين من اندلاع الثورة

الإسلامية التى أتت بآية الله الخمينى إلى سدة الحكم فى ١٩٧٩ ودرس فى الستينيات فى جامعة كولومبيا بنيويورك، كما عمل باحثاً فى مركز الدراسات الاستراتيجية بلندن- وهو يقيم حالياً فى فيينا- لأسباب عائلية- حيث يرأس هناك "مركز الدراسات الأمنية"، كما يكتب منذ الثمانينيات مقالات وأبحاثاً حول سياسة إيران الخارجية.

ويتفق شوفين مع الرأى القائل بأن البرنامج النووى الإيرانى يتسم بالثبات والمنهجية والسعى لامتلاك "خيار نووى". كما أن هناك حالة التواصل لهذه الجهود (الإيرانية) منذ عقدين، وهذا هو الفرق بين إيران والعراق إبان فترة حكم صدام حسين، يقول شوفين: "بعد قصف إسرائيل للمفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١، سعى صدام حسين حتى عام ١٩٩١ إلى الحصول على سلاح نووى، ولذلك أقام برنامجاً حثيثاً خصص له مليارات الدولارات، أما إيران فهى تعمل بشكل بطىء ولكن باستمرارية وإصرار، إذ أنها تخصص فى كل عام مبلغاً محدداً لتمويل برنامج قدرتها النووية دون أن تتعجل ذلك، كما كان يفعل صدام".

ويعقب شوفين إن السبب فى ذلك هو عدم وجود قرار واضح فى إيران: "القيادة الإيرانية ليس لديها هدف استراتيجى واضح فى هذا الشأن، وهذا راجع إلى عدم وجود أعداء أقوياء لإيران يهددونها، وكذلك نظراً لعدم وجود دول مجاورة لها تمتلك أسلحة نووية، والأهم من ذلك أن إيران شديدة التأثر بالضغوط الدولية وتخشى من العواقب الوخيمة التى قد تتعرض لها بسبب برنامجها النووى- سواء كانت عقوبات دولية أو ضربة عسكرية".

لذلك، فإن إيران تفضل- على حد قول شوفين- السعى أولاً إلى الحصول على

مـايعـرف بـ" الخيـار النووى" ؛ أى" الحـصول على المواد والتكنولوجيا اللازمـة التى تتيح لها، إذا أرادت، إنتاج سلاح نووى فى وقت وجيز، ويرى شوفين أن الدليل على ذلك هو قرار إيران بتفضيل تطوير الخيار النووى فى إطار عضويتها فى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وفى إطار معاهدة منع انتشار الأسلحة الذرية، وليس كما فعلت إسرائيل والهند وباكستان الذين لم يوقعوا على هذه المعاهدة . ورغم ذلك، فإنه لا يستهين بالمساعى الإيرانية لامتلاك قدرات نووية، ويعتقد أن هذه المساعى تتم سراً وبعيداً عن الرقابة الدولية للطاقة الذرية. وبعبارة أخرى، يقول شوفين: إن إيران تتبع سياسة "خذ قدر ما تشاء" طالما أنك قادر، ولكنها فى الوقت نفسه تتعامل بجد وحذر مع الضغوط الدولية.

● كيف تفسر الهلع الذى ينتاب إسرائيل والولايات المتحدة من سعى إيران الدؤوب لامتلاك سلاح نووى....؟

-"أنه أمر طبيعى جداً، وذلك لأن الثقافة الاستراتيجية للخبراء فى إسرائيل والولايات المتحدة تعتمد على افتراض حدوث أسوأ السيناريوهات".

● وهل يجب على العالم أن يسلم بإمكانية أن تمتلك إيران سلاحاً نووياً...؟

- "نعم. وهذا ما عبر عنه مؤخراً زيجنيو بريجينسكى، الذى كان يشغل منصب مستشار الأمن القومى للرئيس الأميركى الأسبق، جيمى كارتر، ولكن الحكومات الغربية لاتجرؤ بالطبع على أن تقول ذلك،وربما تكون محقة، لأن ذلك سيتم تفسيره فى إيران على أنه ضعف من جانب المجتمع الدولى وهو ما سيؤدى إلى تشجيعهم أكثر".

● كيف يمكن، رغم ذلك، منع إيران من الحصول على الخيار النووى والسلاح النووى....؟

- هذا ممكن إذا اتخذت الولايات المتحدة خطوات دبلوماسية واعية، لقد لاحت للأميركيين فرصة نادرة منذ عام ونصف تقريباً، فبعد احتلال بغداد وإسقاط نظام صدام حسين، أصاب الهلع النظام الإيرانى، وأعلن رفسنجانى أن كل شىء- سواء الإرهاب أو السلاح الذرى أو حتى الصراع الإسرائيلى العربى- قابل للتفاوض. وبدأت اتصالات بين موظفين أمريكيين ونظرائهم من الإيرانيين، لكن بعد العملية الإرهابية التى نفذها تنظيم القاعدة فى الرياض فى مايو ٢٠٠٣- والتى زعمت الولايات المتحدة أن التعليمات الخاصة بتنفيذها جاءت من عناصر إرهابية تقيم فى إيران- قطعت الإدارة الأمريكية هذه الاتصالات. ومنذ ذلك الحين، تطلب الولايات المتحدة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن تتخذ قراراً جاداً، وأن يتم تحويل الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن الدولى لمناقشته. ولكنها تواجه صعوبة فى ذلك لعدم وجود أغلبية مؤيدة لموقفها هذا. وكان من الأفضل للأمريكيين أن يهددوا بفرض عقوبات اقتصادية على إيران. ورغم ذلك، لم يستبعد وزير الخارجية الإيرانى "كمال خرازى"، إمكانية أن تجرى بلاده محادثات مع الولايات المتحدة بخصوص البرنامج النووى.

● **هل الخيار العسكرى متاح....؟**

- يصعب اللجوء إلى هذا الخيار، فواشنطن ليس لديها دوافع عسكرية ضد إيران، خاصة وأنها غارقة فى العراق، وثمة شك فى أنها تريد فتح جبهة جديدة.

بل إن العكس هو الصحيح، فإيران هى التى تستطيع تهديد الولايات المتحدة، فالنظام الإيرانى يتصرف مثل المضاربين فى السوق، ويسود شعور هناك بأن الأميركيين لايستطيعون أن يفعلوا شيئاً لهم، إذ أن إيران هى القادرة على ممارسة الحرب ضد الأميركيين فى العراق وفى أفغانستان.

● من الذى يحدد فى إيران سياسة البرنامج النووى....؟

- "خلافاً للانطباع السائد، فإن الزعيم الروحى على خامنئى ليس هو المسيطر الفعلى على البرنامج النووى. ويتم تشكيل هذه السياسة وتحديدها على أيدى مجموعة محدودة يرأسها رفسنجانى، وحسن روحانى رئيس المجلس الأعلى للأمن القومى، وعلى أكبر ولاياتى، وزير الخارجية الأسبق ومستشار الأمن القومى الحالى لخامنئى، ومحسن رضائى، الذى كان قائداً للحرس الثورى".

● هل تعتقد أن إيران دولة مجنونة....؟

- "بالطبع لا. فالنظام الإيرانى يتسم بالعقلانية والبراجماتية. إنهم زمرة لا يريدون لأنفسهم الانتحار.

إنهم يريدون البقاء وسيستخدمون جميع الوسائل لضمان ذلك. "القومية الإيرانية" و"الفخر القومى" و"البرنامج النووى" - كل هذه وسائل لتحقيق هذا الغرض. وهم يعرفون أن معظم المواطنين ليسوا معهم، ولكن السياسة النووية (يقصد فى مواجهة العالم وخاصة الولايات المتحدة) تخدمهم فى تحقيق الوحدة الوطنية وكسب تضامن الشعب الإيرانى. وهم يريدون أن يتركوا لدى المواطنين انطباعاً بأن العالم كله ضد إيران وأن إيران تتعرض لحصار. والدليل على ذلك، أنهم يصورون معارضة البرنامج النووى على أنها محاولة لمنع إيران من الحصول على التكنولوجيا المتقدمة والقدرات العلمية.

هكذا كشف عالم إيرانى متمرد، ولصحيفة إسرائيية طريقة فهم المعارضة الإيرانية وكذلك أسرار المشروع النووى الإيرانى، فبعض الذين يزعمون أنهم علماء إيرانيون يروجون فى صحافة العدو أنباء كاذبة عن المشروع النووى

الإيرانى، بل ويحرضون الغرب وإسرائيل ضد بلادهم، وقد حرصنا على عرض هذا الرأى حتى يتعرف المواطن العربى على نوعية من الآراء والأفكار التى يسوقها ويروجها بعض الذين ينسبون أنفسهم إلى إيران، وإلى الشعب الإيرانى، بينما هم يعملون ضد الشعب وضد الدولة. (المؤلف)

فضيحة CIA وقصة الجاسوس الروسى

فى كتاب (حالة حرب.. التاريخ السرى لـ C.I.A وإدارة بوش) للصحافى الأميركى جيمس ريزان الذى تتهمه إدارة بوش بالخيانة وبالاستهانة بالأمن القومى الأميركى، فى الوقت الذى لم تكذب فيه ما جاء فى كتابه، كشف ريزان عن (عملية مارلين) التى أعدتها وكالة الاستخبارات الأميركية وأقرتها الإدارة الأميركية والتى كانت تقوم على فكرة إرسال مهندس ذرة روسى إلى الإيرانيين لتزويدهم برسومات مزورة (مفبركة) لصنع القنبلة النووية لتعيدهم عشر سنوات إلى الوراء، لكن المشكلة قد انفجرت عندما اكتشف المهندس الروسى أخطاء الرسومات وحذر الإيرانيين وأسهم فى دفع برنامجهم النووى إلى الأمام على عكس ما كان مطلوباً منه!!

أما عن تفاصيل العملية، فيقول عنها ريزان: إنه وفى سنوات التسعينيات هرب مهندس ذرة روسى إلى الولايات المتحدة وكان متخصصا فيما يعرف باسم (مجموعة التسليح) وهى أدق مراحل صناعة القنبلة الذرية، كما أنه كان يعمل فى منشأة (أرزامس ١٦) أهم منشأة نووية روسية، وقد قامت وكالة الاستخبارات

الأميركية بتبنى الهارب الروسى بعد التحقيق معه، حيث اعطوه هوية جديدة وراتبا يصل إلى خمسة آلاف دولار فى الشهر واستمروا فى احتوائه.

وفى أواخر التسعينيات قرروا الاستعانة به فى عملية مارلين، وكانت الفكرة تقوم على الاستعانة بخدماته فى إيجاد اتصال مع الإيرانيين بهدف الدخول إلى قلب المشروع النووى الإيرانى وتعطيله، وطبقاً لخطة تنفيذ العملية بنوا للهارب قصة تغطية جديدة، وطلبوا منه فى المرحلة الأولى أن يحاول إيجاد اتصال مع علماء إيرانيين وأن يعرض عليهم شراء المعلومات التى لديه بخصوص إنتاج السلاح النووى، وفى المرحلة الثانية كان عليه الاستعانة بالعلاقات التى نشأت من الاتصال بالمندوبة الإيرانية بالوكالة الدولية للطاقة الذرية فى فيينا.

وتبعا لتعليمات من يقومون بتشغيله فى C.I.A، بدأ المهندس الروسى البحث فى الإنترنت عن اتصال مع فيزيائيين ومهندسين وكيميائيين، وكل من يمكن أن يكون له علاقة بالمشروع النووى الإيرانى، وبعث برسائل عبر البريد الإليكترونى لجامعات ومراكز بحثية إيرانية، وشارك فى عدد من المؤتمرات الدولية، وفى إحداها نجح فى عمل اتصال مع أستاذ جامعى إيرانى فى الفيزياء، وبعدها تلقى المهندس الروسى رسالة من الإيرانى مفادها أنه مهتم بالمعلومات التى لديه، وعندئذ تم الانتقال إلى المرحلة التالية حيث طلب المهندس الذهاب إلى فيينا والاتصال بأعضاء البعثة الديبلوماسية الإيرانية فى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وقبل ذهابه إلى هناك قيل له: إن عليه أن يقدم نفسه كمهندس روسى عاطل عن العمل متشوق لغنيمة ومستعد لتأجيرمعلوماته فى مجال بناء القنبلة وقامت بتسليمه الرسومات الخاصة بـ (نظام التفجير) للقنبلة الذرية الروسية وهو النظام المعروف باللغة

الفنية TBA480، ويعد واحداً من أدق أسرار البرنامج النووى الروسى، وكان الأميركيون قد حصلوا عليه بمساعدة روسى هارب آخر.

وبدون أن يطلعوا الروسى، قام مهندسو الذرة الأميركيين بإدخال تعديلات على الرسومات بحيث تكون عديمة القيمة من الناحية الهندسية والتكنولوجية، وبعدها طلبوا منه أن يسافر لفيينا لتسليم ما لديه لأعضاء البعثة الديبلوماسية الإيرانية هناك، وبعد وصوله لفيينا وقبل أن يسلم ما لديه من رسومات قرر المهندس الروسى القيام بمبادرة من جانبه فأرفق الرسومات بخطاب يلمح فيه للإيرانين بأن هذه الروسومات غير دقيقة، ولم يكن يستهدف من ذلك إفساد العملية الأميركية بقدر ما كان يهدف إلى كسب ثقة الإيرانيين.

وفى شهر فبراير ٢٠٠٠ وصلت إلى طهران تلك الرسومات وخطاب التحذير المرسل من المهندس الروسى، لتتلقى إيران بذلك المخططات والرسومات هدية من C.I.A والتى يمكن الاستفادة منها فى معرفة كيفية بناء نظام التفجير للقنبلة النووية.

إلى هنا انتهت قصة تسريب أميركا التكنولوجيا النووية إلى إيران الذى جاء فى كتاب ريزان والذى اتهم بالخيانة وطلبت وزارة العدل الأميركية منه الكشف عن مصادره، وهو ما جعله حاليا بطل فوق العادة فى نظر المتطلعين إلى حرية الصحافة، وكان ريزان والذى يعمل صحافيا متخصصا فى الأمن القومى وشؤون الاستخبارات بصحيفة (نيويورك تايمز) قد سبق له الكشف عن العديد من الأسرار والفضائح الأميركية، كما كان أحد الصحافيين المحققين الذين فازوا بجائزة بوليتزر لعام ٢٠٠٢ لتغطية أحداث ١١ سبتمبر.

وثائق

وشهادات

نص رسالة الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد إلى الرئيس الأميركى جورج بوش

وجه رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية محمود أحمدى نجاد رسالة إلى نظيره الأميركى جورج بوش فى الثامن من شهر مايو ٢٠٠٦، هذا نصها نقلا عن وكالات الأنباء العالمية:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد جورج دبليو بوش:

منذ فترة وأنا أفكر فى الكيفية التى يمكن من خلالها تبرير التناقضات التى لا يمكن إنكارها على الساحة الدولية والتى تطرح بشكل دائم فى المحافل الشعبية لاسيما السياسية والجامعية. فالكثير من الأسئلة بقيت دون جواب.

هذا الأمر دفعنى الى دراسة بعض التناقضات والأسئلة على أمل أن أجد فرصة لإصلاحها.

فهل يمكن ان تكون تابعا للسيد المسيح (عليه السلام) ذلك الرسول الإلهى العظيم ، وتحترم حقوق الإنسان، وتطرح الليبرالية كنموذج حضارى، وتعارض انتشار السلاح النووى والدمار الشامل، وترفع شعار مكافحة الإرهاب، وأخيرا، تعمل على تأسيس مجتمع عالمى موحد، مجتمع يحكم فيه السيد المسيح (عليه السلام) والصالحون فى الأرض، ولكن فى نفس الوقت: تتعرض بعض البلدان للهجوم وتنتهك أرواح وكرامة الأفراد، فعلى سبيل المثال يتم إحراق قرية أو مدينة أو قافلة لمجرد وجود بعض المجرمين فى تلك القرية أو المدينة أو القافلة.

أو على احتمال وجود أسلحة دمار شامل فى بلد ما يتم فيه احتلال ذلك البلد حيث يقتل مئات الآلاف من الناس وتدمر مصادر المياه والأراضى الزراعية والمراكز الصناعية فى ذلك البلد. وينشر هناك نحو ١٨٠ ألفا من القوات الأجنبية وتنتهك كرامة وحرمة المواطنين ويعود بذلك البلد نصف قرن إلى الوراء . ماقيمة كل ذلك؟.

ويتم إنفاق مئات المليارات من الدولارات من خزانة بلد ما وعدد من البلدان الأخرى بالإضافة إلى إرسال عشرات الآلاف من الرجال والنساء الشباب والشابات فى وضع سيئ بعيدا عن أعزائهم وعوائلهم حيث تتلوث أيديهم بدماء الآخرين. ويتحملون الضغوط النفسية الشديدة التى تؤدى بالبعض إلى الانتحار والبعض الآخر يصاب بالكآبة كما يصاب الكثير منهم بمختلف الأمراض والأعراض وهناك من تعود أجسادهم إلى عوائلهم قتلى .

وتنتهى ذريعة وجود أسلحة الدمار الشامل بمأساة إنسانية يغرق فيها البلد والشعب على حد سواء ، ولكن بعد فترة يتبين أنه ليس هناك أى سلاح دمار شامل والتى على أساسها تم اتخاذ ذلك الإجراء .

بطبيعة الحال إن صدام حسين كان دكتاتورا قاتلا ، إلا أن الحرب لم تكن من أجل إسقاطه، وإن الهدف كان العثور على أسلحة الدمار الشامل، إنه أسقط لأهداف أخرى، ولكن رغم كل ذلك فإن شعوب المنطقة فرحت لسقوطه، إلا أننى أريد أن أنوه إلى أن صدام وخلال سنوات الحرب الطويلة ضد إيران كان يلقى كل الدعم من الغرب.

السيد رئيس الجمهورية:

قد تكونوا على علم بأن معظم الطلبة الجامعيين يسألون كيف يمكن مطابقة هذه الإجراءات مع القيم الواردة فى مقدمة الكلمة ومن ضمنها الالتزام بعقيدة السيد المسيح نبى السلام والرحمة؟

هناك متهمون فى سجون جوانتانامو لا يحاكمون وليس لهم محامون يدافعون عنهم. عوائلهم لا تستطيع رؤيتهم ويتم احتجازهم خارج أرضهم وليست هناك أى مراقبة دولية تتابع أوضاعهم. ليس من المعلوم هل أنهم سجناء أم أسرى حرب أم متهمون أم محكومون؟.

مفتشو الاتحاد الأوروبى أكدوا بأن هناك سجونا سرية فى أوروبا. إننى لم أستطع مطابقة خطف الأفراد واحتجازهم فى سجون سرية مع أى من الأنظمة القضائية فى العالم ولم أعلم بأن هذه الإجراءات مع أى من القيم تتطابق.

مع تعاليم السيد المسيح (عليه السلام) أم حقوق الإنسان أم قيم الليبرالية؟.

إن لدى الشباب والجامعيين والمواطنين العاديين الكثير من الأسئلة بشأن ظاهرة إسرائيل. إنى على ثقة بأنكم مطلعون على بعض منها.

لقد احتلت الكثير من الدول على مر التاريخ ولكنى أتصور أن إنشاء دولة جديدة بشعب جديد هو ظاهرة جديدة مرتبطة بعصرنا الحاضر فقط.

الطلبة الجامعيون يقولون بأنه لم تكن مثل هذه الدولة قبل ٦٠ عاما.

إنهم يأتون بخرائط قديمة ويقولون أسعوا معنا إذ لم نعثر نحن على بلد باسم إسرائيل.

إنى أقول لهم طالعوا تاريخ الحربين العالميتين الأولى والثانية. قال أحد الطلبة لى بأنه خلال الحرب العالمية الثانية التى راح ضحيتها عشرات الملايين تم بث الأخبار المتعلقة بالحرب على وجه السرعة من قبل الأطراف المتحاربة. إنهم ادعوا بأن ٦ ملايين يهودى قتلوا. من المؤكد أن ٦ ملايين شخص هم أعضاء لمليونى اسرة.

اسمح لى، لنفترض أن هذه الأحداث وقعت بالفعل، فهل من المنطقى أن هذا الأمر يبرر تأسيس إسرائيل أو توفير الدعم لها؟.

اننى على ثقة بأنكم تعلمون جيدا بأن إسرائيل كيف تأسست ؟

- لقد قتل الآلاف فى هذا المسار؟

- شرد الملايين من أصحاب الأرض الأصليين

- تم تدمير مئات آلاف الهكتارات من الأراضى الزراعية ومزارع الزيتون والقرى وكانت هذه المآسى لا تنحصر فى فترة تاسيس إسرائيل بل هذه الحالة ما زالت مستمرة منذ ستين عاما.

لقد بنى كيان لا يرحم الأطفال، يدمر البيوت على سكانها ويعلن مسبقا عن مشاريعة الرامية إلى اغتيال قادة فلسطين ويسجن الآلاف من الفلسطينيين حيث لم يذكر التاريخ مثيلا لهذه المجازر.

والشعوب تتساءل اليوم لماذا يتم دعم هذا الكيان ؟.

هل هذا الدعم يتلاءم وتعاليم السيد المسيح والنبى موسى عليهما السلام؟ هل يتطابق والليبرالية؟.

هل إن السماح للفلسطينيين سواء من المسلمين أو المسيحيين أو اليهود بتقرير مصيرهم يتنافى ومبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان وتعاليم

الأنبياء؟ لماذا لا يسمح بإجراء استفتاء فى الأراضى المحتلة، لقد انتخب الشعب الفلسطينى مؤخرا حكومته وأشرف المراقبون على هذه الانتخابات ولكن تم توجيه ضغوطات على هذه الحكومة المنتخبة للاعتراف بالكيان الإسرائيلى وترك المقاومة ومتابعة برامج الحكومات السابقة، والسؤال المطروح أنه لو كانت هذه الحكومة تسير على نهج الحكومات السابقة فهل كان بإمكانها أن تفوز فى الانتخابات؟.

وأكرر نفس السؤال هل معارضة الحكومة الفلسطينية المنتخبة يتلاءم والقيم المنشودة؟ الشعوب تتساءل لماذا يتم استخدام حق النقض الفيتو ضد أى قرار يدين الكيان الإسرائيلى؟.

وكما تعلمون جيدا فإننى أعيش وسط الجماهير وعلى اتصال مباشر مع شرائح المجتمع وجل الشعوب فى الشرق الأوسط تستطيع أن تتصل بى، هذه الشعوب لا تثق بالسياسات المزدوجة التى تنتهج وهم غاضبون من هذه السياسات.

لست بصدد طرح أسئلة ولكن لا بد أن أذكركم لماذا تعتبر كل الإنجازات العلمية فى الشرق الأوسط تهديدا للكيان الصهيونى، ألا تعتبر الأبحاث العلمية والتنموية ضمن حقوق الشعوب.

لاشك أنكم قد قرأتم التاريخ وبغض النظر عن فترة القرون الوسطى متى كانت العلوم جريمة؟ وهل من الممكن معارضة أى إنجاز علمى بدافع أنه قد يستخدم فى المجال العسكرى؟ وإذا ما كانت هذه الفرضيات مقبولة فإنه ينبغى معارضة جميع القوانين العلمية ومنها علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات

والطب والهندسة وغيرها.

لقد تم طرح مواضيع كاذبة حول العراق فماذا كانت النتيجة؟ إننى على يقين بأن الكذب غير محبب لدى كل الثقافات ولا شك أنتم لا تريدون أن تسمعوا الكذب .

السيد رئيس الجمهورية:

ألا يحق لسكان أميركا اللاتينية أن يتساءلوا لماذا تتم معارضة حكوماتهم المنتخبة ويتم دعم الحكومات التى تستلم الحكم عبر انقلابات عسكرية.

الشعوب الأفريقية المثابرة تستطيع أن تلعب دورا هاما فى تلبية حاجات الشعوب الأخرى. والفقر المدقع حال دون تحقيق هذا الهدف السامى، ألا يحق لهؤلاء الشعوب أن تتساءل لماذا يتم نهب مواردها الطبيعية الهائلة التى هى بأمس الحاجة اليها؟.

هل كل هذه الأمور تتلاءم وتعاليم السيد المسيح ؟.

ثمة اسئلة كثيرة تراود الشعب الإيرانى الأبى منها انقلاب عام ١٩٥٣ والإطاحة بحكومة إيران الوطنية ومعارضة الثورة الإسلامية وجعل مقر السفارة وكرا للمعارضة حيث وجود آلاف الوثائق الدامغة تشير إلى هذا الأمر.

دعم حكومة صدام طيلة فترة الحرب ضد إيران وإسقاط الطائرة المدنية الإيرانية وتجميد الأرصدة الإيرانية والتصعيد ضد الشعب ومعارضة التقدم العلمى الإيرانى فى الوقت الذى أعرب فيه الشعب الإيرانى عن سروره إزاء هذا التقدم العلمى وهنالك بعض الأمور الأخرى لا أريد طرحها.

السيد رئيس الجمهورية :

لقد كانت أحداث الحادى عشر من أيلول أسوأ كارثة حدثت حيث قتل الأطفال الأبرياء وكان عملا مرعبا. لقد قامت حكومتنا بشجب هذا العمل وأعربت عن تنديدها ووجهت العزاء إلى ذوى الضحايا .

من مهام كل الدول أن تحافظ على أمن مواطنيها حيثما كانوا ولكن منذ فترة بعض الشعوب فى المناطق المتوترة ومنها الشعب الاميركى لا تشعر بالامان ولكن بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر/ أيلول وبدلا من تضميد الجراح الناجم عن هذه الأحداث المؤلمة للشعب الأميركى قامت وسائل الاعلام الغربية بتضخيم الأجواء المرعبة وتحدثت عن احتمال شن هجمات أخرى واثارت الخوف فى نفوس الناس، فهل تعتبر هذه الاجراءات خدمة لمصلحة الشعب الأميركى وهل يمكن إحصاء الخسائر الناجمة عن إثارة هذا الخوف؟.

لقد أصبح الشعب الأميركى متوجسا فى الشوارع والمحلات والبيوت، فلماذا الإعلام الغربى لم يعط الطمأنينة للشعب؟ بل قام بإثارة الخوف والذعر فى نفوسه، حيث اعتقد البعض أن هذه الضجة افتعلت تمهيدا لشن هجوم على أفغانستان.

إن البعض يعتقد بأن هذه الضجة فتحت الطريق أمام الهجوم على أفغانستان وحتى تبريرها.

على أن أشير مرة أخرى إلى دور الإعلام. ففى الرسالة الإعلامية تعتبر عملية نشر المعلومات الصحيحة والتقارير الصادقة من مبادئ العقيدة، إلا أنه لا يمكننى إلا أن أعرب عن أسفى لتجاهل وسائل الإعلام الغربية المعروفة لهذه

المبادئ. فذريعة الهجوم على العراق كانت أسلحة الدمار الشامل التى كانت تكررها وسائل الإعلام على مسامع الرأى العام العالمى من أجل أن يصدقوا ذلك فى نهاية الأمر، ولتمهيد الأرضية من أجل الهجوم على العراق.

ألا تضيع الحقيقة فى هذه الأجواء المصطنعة والمضللة؟.

إذا ما تم السماح لكى تضيع الحقيقة مرة أخرى، فكيف يمكن مطابقة ذلك مع القيم التى ذكرناها آنفا؟ وهل يمكن أن تحجب الحقيقة عن القادر المطلق؟.

السيد رئيس الجمهورية:

فى مختلف بلدان العالم يقوم المواطنون بتوفير نفقات الحكومة من أجل ان تكون هذه الحكومات قادرة على خدمتهم.

وكما يعلم سيادتكم أن هناك العديد من الناس يعيشون فى فقر فى بعض ولاياتكم. كما يعتبر وجود الآلاف من المشردين والعاطلين عن العمل من المشاكل الرئيسية فى بلادكم. بطبيعة الحال فإن مثل هذه المشاكل موجودة فى البلدان الأخرى، فإذا أخذنا هذا الأمر بنظر الاعتبار فهل يمكن تبرير هذه النفقات الباهظة للحرب من قبل المواطنين؟.

ان الذى ذكرته كان جانبا من عتاب شعوب العالم ومنطقتنا وبلدكم، إلا أن ما أقصده من ذلك - وأرجو أن توافقنى عليه - هو:

إن الذين يتقلدون مناصب السلطة يتقلدونها لفترة محددة ولا يمكن أن يحكموا إلى ما لا نهاية، إلا أن التاريخ سيسجل أسماءهم وسيتم الحكم عليهم آجلا أم عاجلا.

إن الشعب هو الذى سيحكم على فترة رئاستنا.

فهل استطعنا أن نجلب السلام والأمن والسعاده لشعبينا أم كنا سببا لانعدام الأمن والبطالة ؟

هل كنا نهدف للاستقرار والعدل أم كنا نتحرك فى إطار الدفاع عن مصالح مجموعات خاصة ؟ أم حاولنا ممارسة القوة ضد العديد من الفقراء الذين يعيشون فى فقر مدقع من أجل إثراء وتعزيز قوة مجموعة صغيرة - وفى النهاية نكون قد بدلنا حماية ودعم الشعب والقادر المتعال بمصالح تلك المجموعة؟ هل كنا ندافع عن حقوق المستضعفين أم كنا نتجاهلها؟

هل دافعنا عن حقوق كل الناس فى العالم أم كنا نشعل الحروب ونتدخل فى شؤونهم الداخلية ونضعهم فى سجون جهنمية؟.

هل أتينا بالسلام والأمن للعالم أو خلقنا أجواء من التهديد والترهيب والارعاب؟

هل قلنا كل الحقائق لشعوب العالم أم وضعنا بين أيديهم النسخة المزورة؟

هل كنا الى جانب الشعب أم إلى جانب المحتلين والمعتدين؟

هل كان أسلوب حكومتنا منطقيا وعقلانيا وأخلاقيا وسلميا ومسؤولا وعادلا وخادما للشعب وكانت عاملا للسعادة والتقدم ولكرامة الانسان أم كانت تتحرك بقوه السلاح والتهديد متجاهلة الناس معطلة سير تقدم وتطور الشعوب الأخرى منتهكة حقوق الشعوب. أخيرا إنهم سيحكمون علينا بهذا الشكل: هل كنا صادقين فى قسمنا عندما تسلمنا مقاليد الحكم على أن نخدم الشعب وهى مسؤوليتنا الأولى وسنة الأنبياء أم لا؟.

السيد رئيس الجمهورية:

إلى متى يمكن أن يبقى العالم يتحمل مثل هذه الأوضاع؟

إلى أى اتجاه يقذف هذا الموج بالعالم؟

إلى متى يدفع العالم ثمن القرارات الخاطئة لبعض القادة؟.

إلى متى تبقى أسلحة الدمار الشامل تشغل بال الشعوب؟.

إلى متى تبقى دماء النساء والرجال والأطفال تراق فى الأزقة والشوارع وتهدم المنازل على رؤوس أصحابها؟ هل سيادتكم راضون عن هذا الوضع القائم فى العالم حاليا؟

هل تعتقدون أن السياسة الحالية يمكن أن تستمر؟.

إن مليارات الدولارات التى تنفق الآن على الأمن والحروب العسكرية ونقل القوات، لو كانت تنفق على الاستثمارات ومساعدة الشعوب الفقيرة ومكافحة الأمراض ومساعدة المنكوبين بالكوارث الطبيعية وايجاد فرص العمل والإنتاج ومشاريع التنمية ومكافحة الفقر واقرار السلام والوساطة بين البلدان المتنازعة وإخماد نيران النزاع القومى وكل النزاعات الأخرى فهل كنا سنشهد عالما مثل هذا العالم الذى نحن فيه؟. ألم تفتخر حكومتكم وشعبكم إذا ماتم مثل هذا الأمر؟ ألم يكن الوضع السياسى والاقتصادى لحكومتكم أفضل وأقوى من هذا الوضع الحالى؟ وأقول متأسفا هل كانت هناك كراهية فى العالم ضد الحكومة الأميركية؟.

السيد رئيس الجمهورية:

لا أقصد أن أجرح مشاعر أحد.

إذا ما كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ويوسف أو المسيح عيسى (عليه السلام) بيننا اليوم فكيف كانوا سيحكمون على مثل هذا الأسلوب؟ هل كانوا سيمنحوننا دورا فى العالم الموعود حيث تبسط العدالة اجنحتها على العالم ويكون عيسى المسيح (عليه السلام) حاضرا ؟ هل كانوا يقبلون بنا اصلا؟

سؤالى الرئيسى هو: ألا توجد طريقة أخرى للتعامل مع باقى دول العالم؟ هناك آلاف الملايين من المسيحيين وآلاف الملايين من المسلمين والملايين من أتباع تعاليم النبى موسى (عليه السلام) يعيشون فى عالم اليوم، كل الأديان الإلهية يحترمون الإيمان بالتوحيد والاعتقاد بإله واحد فى العالم ولا أحد غيره .

إن القرآن الكريم يؤكد على هذا الأمر المشترك ويقول لأتباع الأديان الإلهية:

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون). (٦٤ آل عمران)

السيد رئيس الجمهورية:

وفقا للآيات الإلهية، فقد دعينا جميعا إلى عبادة الله وانتهاج تعاليم الأنبياء.

إننا نعتقد بأن العودة إلى تعاليم الأنبياء هى الطريق الوحيد الذى يؤدى إلى الفلاح.

إننا نعتقد كذلك بأن سيادتكم تتبعون تعاليم السيد المسيح (عليه السلام)

وتؤمنون بالوعد الإلهى بسيادة الحق فى العالم.

نحن نعتقد كذلك بان عيسى المسيح (عليه السلام) كان أحد الأنبياء العظام وقد ورد اسمه مرارا فى القرآن الكريم.

إن إله الجميع هو إله واحد سواء فى أوروبا وأفريقيا وأميركا والاوقيانيا وسائر مناطق العالم.

إنه إله قادر يريد هداية الجميع ومنح العظمة للجميع.

إننا نقرأ فى الكتاب المقدس بأن الله منح أنبياءه معجزات وأدلة واضحة لهداية الناس وتطهيرهم من الذنوب والأدران وأرسل الكتاب والميزان ليتوجه الناس للعدالة ويبتعدوا عن الطغيان.

ويمكن مشاهدة مثل ذلك فى جميع الكتب السماوية.

لقد وعد الأنبياء بأنه سيحل يوم يحضر فيه الناس عند الله تعالى ليجرى حسابهم.

الصالحون سيوجهون إلى مكان آمن فيما سيواجه الظالمون العقاب الإلهى.

فكلانا نعتقد بمثل ذلك اليوم. ولكن تقييم أعمال الحكام سوف لن يكون سهلا.

ذلك لأننا مسؤولون أمام شعوبنا وأن حياتهم ستكون متأثرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بما نتخذه نحن من إجراءات.

لقد تحدث جميع الانبياء عن السلم والأمن لجميع البشرية على أساس التوحيد والعدالة واحترام المكانة الإنسانية.

الا تتصورون بأنه لو وصلنا جميعا إلى هذه القناعة واتبعنا هذه المبادئ وهى

التوحيد وعبادة الله وإجراء العدالة واحترام المكانة الإنسانية والإيمان بالآخرة، يمكننا أن نتغلب على جميع مشاكل العالم الراهنة (التى هى حصيلة لعدم طاعة الله وتعاليم الأنبياء) وأن نؤدى دورنا بصورة جيدة؟.

ألا تتصورون بأن الاعتقاد بهذه المبادئ سيعزز ويضمن السلام والصداقة والعدالة؟.

ألا تتصورون بأن المبادئ المذكورة وسائر المبادئ غير المكتوبة متحرمة عالميا؟.

ألا تقبلون هذه الدعوة، التى تعد عودة حقيقية لتعاليم الأنبياء ومن أجل التوحيد والعدالة والحفاظ على المكانة الإنسانية وطاعة الله وأنبيائه؟.

إن التاريخ يقول لنا بأن الحكومات الظالمة والمستبدة سوف لن تبقى.

هل يمكن لأحد أن ينكر مؤشرات التغيير فى عالم اليوم؟ هل أن أوضاع العالم يمكن مقارنتها مع ما كانت عليه قبل عام؟ التغييرات تحدث بخطوات متسارعة وهائجة.

شعوب العالم ليست مسرورة للأوضاع القائمة ولا تعير اهتماما لوعود وآراء بعض قادة العالم المكروهين.

الكثير من شعوب العالم تشعر بانعدام الأمن وتعارض توسع نطاق الحرب واللا أمن ولا تقبل بالسياسات المشبوهة.

الشعوب تحتج على الفوارق المتزايدة بين الأغنياء والفقراء والدول الغنية والدول الفقيرة.

الشعوب مستاءة من الفساد.

شعوب الكثير من دول العالم غاضبة من الهجمة على أسسها الثقافية وانهيار

أركان أسرها. وهى أيضا قلقة من غياب الشفقة والرحمة.

شعوب العالم لا تصدق بالمنظمات الدولية ذلك لأن هذه المنظمات لا تدافع عن حقوقها.

الليبرالية والديمقراطية على الطريقة الغربية لم تتمكن من المساعدة بتحديد الأهداف الإنسانية ومنيت بالفشل.

الأفراد ذوو البصيرة يسمعون اليوم صدى انهيار وسقوط هذه الأيديولوجية وأفكار النظام الليبرالى الديمقراطى.

إن اهتمام شعوب العالم اليوم هو نحو البارئ تعالى ومن الطبيعى أن الشعوب يمكنها عبر التوحيد والتمسك بتعاليم الأنبياء من التغلب على مشاكلها.

سؤالى الجاد هو ألا تريدون مواكبة الشعوب؟.

السيد رئيس الجمهورية

إننا شئنا أم أبينا، فالعالم يتجه نحو التوحيد والعدالة وإن إرادة الله هى الغالبة على كل شىء.

والسلام على من اتبع الهدى

رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية

محمود أحمدى نجاد

العصا والجزرة
أبرز نقاط المشروع الأوروبى

• إعادة تأكيد حق إيران المشروع فى الطاقة النووية لغايات سلمية انسجاما مع المادة الرابعة من معاهدة الحد من الانتشار النووى.

• دعم البرنامج النووى المدنى الإيرانى بقوة بما فى ذلك بناء مفاعلات جديدة بالمياه الخفيفة عبر مشاريع مشتركة.

• الاتفاق على تعليق مناقشة القضية الإيرانية فى مجلس الأمن.

• (تتعهد) إيران:

- التعاون التام مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

- وقف كل نشاط مرتبط بالتخصيب وإعادة المعالجة والقيام بذلك خلال المفاوضات الحالية.

- معاودة تطبيق البروتوكول الإضافى (لعمليات التفتيش الموسعة التى تقوم بها الوكالة الدولية للطاقة الذرية).

• مجالات التعاون المستقبلية التى ستطرح للتفاوض من أجل التوصل إلى اتفاق على المدى البعيد:

- مشاركة إيران بصفتها شريكا فى مركز دولى فى روسيا مخصص لتخصيب كل معادن اليورانيوم الإيرانية.

- دعم تنظيم منتدى إقليمى حكومى لوضع الترتيبات الأمنية الإقليمية وعلاقة تعاون حول مسائل أمنية مهمة، بما فيها ضمانات حول وحدة الأراضى والسيادة السياسية.

- دعم إنشاء منطقة حرة خالية من أسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط.

- إقامة شراكة استراتيجية على المدى البعيد بين الاتحاد الأوروبى وإيران.

- التعاون فى مجال الطائرات المدنية، وسحب القيود المفروضة على شركات صنع الطائرات لتصدير طائرات مدنية إلى إيران، وتمكين إيران تاليا من شراء طائرات حديثة لأسطولها.

- إقامة موقع يتيح تخزين احتياطى من الوقود النووى تكفى لخمس سنوات بمشاركة الوكالة الدولية للطاقة الذرية وإشرافها.

- تأكيد من الوكالة الدولية أن كل المشكلات المطروحة والمسائل الدولية الأخرى حُلت، وأنها فى وضع يمكنها من القول بأن لا نشاط نووى مخفى.

● تدابير ممكنة إذا لم تتعاون إيران

(١) تدابير تستهدف البرامج النووية والصواريخ فى إيران.

أ - حظر تصدير المعدات والتكنولوجيا المتعلقة بهذه البرامج إلى إيران.

ب - تجميد أصول وحظر المعاملات المالية لمنظمات أو أفراد مشتركين فى البرامج.

ج- منع التأشيرات عن الأفراد المشتركين فى هذه البرامج.

د- تعليق التعاون التقنى مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

هـ- منع الشركات المساهمة فى هذه الصناعات من الاستثمار.

و- منع الإيرانيين من أن يدرسوا فى الخارج اختصاصات متعلقة بالتطور النووى والصواريخ.

(٢) تدابير سياسية واقتصادية.

أ- تجميد الاتصالات الثنائية.

ب- منع الشخصيات وكبار المسئولين من الحصول على تأشيرات ومن السفر.

ج- تجميد أصول الأفراد والمنظمات المرتبطة بالنظام أو القريبة منه.

د- حظر على الأسلحة المرسلة إلى إيران.

هـ- حظر على تصدير منتجات محددة (منها النفط المكرر ومشتقات نفطية).

و- التوقف عن دعم طلب إيران الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية.

ز- منع أى تعاون/ استثمار فى إيران فى بعض القطاعات.

ح- تجميد أصول مؤسسات مالية إيرانية.

ط- خفض المساعدة الحكومية للمبادلات ولحصول إيران على قروض.

هذا المشروع يكشف العقلية الإمبراطورية الأوروبية التى اعتمدت- عبر التاريخ- على منهج الوعد أو الوعيد وفى عبارة أخرى (العصا والجزرة) أو الإغراء بتقديم مفاعل نووى مقابل وقف إيران للتخصيب النووى.

النص الحرفى لبيان مجلس الأمن

فى الثلاثين من مارس (آذار) عام ٢٠٠٦ أعلن مجلس الأمن الدولى بيانه فيما يخص طلبه من إيران بتعليق كل الأعمال المرتبطة بتخصيب اليورانيوم، وأمهلها ثلاثين يوما لتحقيق ذلك، وهو البيان الذى أقره بالإجماع أعضاؤه الخمسة عشر، من دون الإشارة إلى أى إجراءات قد يتخذها فى حال إذا لم تتجاوب طهران وهذا نص البيان:-

يعيد مجلس الأمن تأكيد التزامه بمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ويشير إلى حق الدول الأطراف، بما يتفق والمادتين الأولى والثانية من المعاهدة، فى تطوير البحوث فى مجال الطاقة النووية وإنتاجها واستخدامها للأغراض السلمية من دون تمييز.

ويلاحظ مجلس الأمن ببالغ القلق العديد من تقارير وقرارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية المتصلة ببرنامج ايران النووى، التى أبلغها المدير العام للوكالة إلى المجلس، بما فى ذلك قرار مجلس الوكالة المتخذ فى شباط (فبراير) الماضى.

ويلاحظ مجلس الأمن أيضاً ببالغ القلق أن تقرير المدير العام المؤرخ فى ٢٧ شباط، يورد عدداً من القضايا والشواغل العالقة، ومن بينها مواضيع يمكن أن يكون لها بعد نووى عسكرى، وأنه ليس فى وسع الوكالة استنتاج أن إيران خالية من أى مواد أو أنشطة نووية غير معلنة.

ويلاحظ مجلس الأمن ببالغ القلق قرار إيران استئناف الأنشطة المتصلة بالتخصيب، بما فى ذلك البحوث والتطوير، وتعليق تعاونها مع الوكالة الذى ينص عليه البروتوكول الإضافى.

ويهيب مجلس الأمن بإيران القيام بالخطوات التى دعا إليها مجلس محافظى الوكالة، لا سيما فى الفقرة الأولى من قراره، والتى تعتبر أساسية لبناء الثقة فى الطابع السلمى الخالص لبرنامجها النووى، ولتسوية المسائل العالقة. ويشدد فى هذا الصدد على الأهمية الخاصة التى تكتسبها إعادة العمل بالتعليق التام والمستمر لكل الأنشطة المتصلة بالتخصيب وأنشطة إعادة المعالجة؛ بما فى ذلك البحوث والتطوير، على أن تتحقق الوكالة من ذلك.

ويعرب مجلس الأمن عن اقتناع بأن هذا التعليق وامتثال إيران التام المثبّت للمتطلبات التى دعا إليها مجلس محافظى الوكالة، من شأنهما الإسهام فى إيجاد حل ديبلوماسى من طريق التفاوض يضمن أن برنامج إيران النووى هو للأغراض السلمية حصراً. ويشدد على رغبة المجتمع الدولى فى العمل على نحو إيجابى للتوصل إلى هذا الحل، الذى سيعود أيضاً بالنفع على عدم الانتشار النووى فى أماكن أخرى.

ويؤيد مجلس الأمن بقوة دور مجلس محافظى الوكالة ويشيد بالمدير العام للوكالة وبأمانتها ويشجعهما على ما يبذلانه من جهود مهنية وحيادية مستمرة فى سبيل تسوية القضايا العالقة فى إيران. ويشدد على ضرورة مواصلة الوكالة عملها الرامى إلى توضيح القضايا العالقة المتصلة ببرنامج إيران النووى. ويطلب مجلس الأمن إلى المدير العام للوكالة أن يقدم، فى غضون ٣٠ يوماً، تقريراً عن عملية امتثال إيران للخطوات التى دعا إليها مجلس إدارة الوكالة، إلى مجلس محافظى الوكالة، وفى شكل موازٍ، إلى مجلس الأمن لكى ينظر فيه.

أحمدى نجاد: رسالتى وضعت فرصة تاريخية أمام السيد بوش

أجاب الرئيس أحمدى نجاد على أسئلة الصحفيين فى مؤتمر صحفى عقد فى ختام أعمال قمة الدول الأعضاء فى (دى-٨) بجزيرة بالى بأندونيسيا.

فقال فى معرض رده على سؤال لمراسل صحيفة (ريانوفوستى) الروسية حول المقترح الروسى لتخصيب اليورانيوم فى الأراضى الروسية: إن العلاقات بين إيران وروسيا ودية ومتنامية وأننا نرحب بأى مقترح يحترم حق إيران وفقا للقوانين.

وفى الرد على سؤال حول أنباء ادعت العثور على يورانيوم عالى التخصيب فى منشآت نووية إيرانية قال: كونوا على ثقة بأن هذا الأمر لا صحة له. لقد أعلنا من قبل بأننا توصلنا عبر سلسلة تضم ١٤٨عددا من اجهزة الطرد المركزى الى تخصيب اليورانيوم بمستوى ٢,٨بالمئة لإنتاج الوقود النووى لمحطاتنا.

وصرح قائلا: إن وقود المحطات بحاجة إلى يورانيوم مخصب بنسبة ٣,٥ إلى ٥ بالمئة وإن أنشطة إيران هى فى هذا الإطار.

وأضاف: إن أنشطتنا النووية تجرى تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية وإن كاميرات الوكالة تراقب أنشطتنا لذا فإنه لا داعى لأى قلق فى هذا الشأن.

وقال فى الرد على سؤال آخر بشأن إمكانية مساعدة إيران للدول الأخرى الأعضاء فى مجموعة (دى-٨) فى الأنشطة النووية، إن تعاوننا فى هذا المجال مع الدول الأخرى سيكون فى إطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

وحول الرسالة التى وجهها إلى الرئيس الأمريكى قال الرئيس أحمدى نجاد:

أعتقد أن هذه الرسالة وضعت فرصة تاريخية أمام السيد بوش.

وأضاف: مثلما البشر أحرار فى اختيار الطريق الصحيح أو الخطأ فإنه (بوش) حر كذلك ولكن من يختار الطريق بحرية فإن نتائج ذلك تعود إليه أيضا.

وتابع قائلا: إن رسالتى لا علاقة لها بالموضوع النووى والحوار مع أمريكا.

مضيفا: إن هذه الرسالة سعت إلى فتح أجواء جديدة أمام الساسة فى العالم وبناء أسس لأدبيات سياسية جديدة فى العالم مرتكزة على التوحيد والعدالة والكرامة الإنسانية.

وقال رئيس الجمهورية: إننا مستعدون للحوار مع أى دولة ما عدا الكيان الصهيونى، وأى عاقل لا يحاور على حساب حقه.

وأضاف: إن الحوار مع أى دولة له ظروفه الخاصة ولكن إذا أرادوا الحوار أو يمارسون الغطرسة معنا وطائرة لهم محملة بالقنابل فوق رؤوسنا، فإننا لسنا مستعدين لهذا الحوار.

وقال رئيس المجلس الأعلى للأمن القومى: إننا نوضح الحقائق القائمة ومَن يدعى شيئاً ما فعليه الإتيان بالدليل. التكنولوجيا النووية حق لجميع الشعوب وكلامنا واضح تماماً وهم لا يذعنون لحقنا.

وبشأن الرسالة التى وجهها إلى الرئيس الأميركى جورج بوش أوضح الرئيس أحمدى نجاد بأن أسس هذه المبادئ والأدبيات الجديدة هى العدالة والتوحيد، وأضاف: ان هذه الرسالة تدعو للعودة إلى تعاليم الأنبياء والسلام والاستقرار وفقاً للعدالة والتوحيد.

وفى معرض الرد على سؤال حول بيع إيران النفط لبعض الدول الليبرالية، قال:

إن الليبرالية كفكر ومدرسة قد فشلت وإن فشلها هذا لا يعنى أن نقطع علاقاتنا معها. نحن ننظم علاقاتنا بصورة عادلة إذ لا نظلم أحداً ولا نرضخ للظلم من جانب أحد.

وأضاف الرئيس أحمدى نجاد: إننا نبيع نفطنا بصورة عادلة، وإن منظمة التجارة العالمية هى منظمة للتعاون الاقتصادى وإذا أرادت إقامة علاقات غير عادلة فإنها مرفوضة.

وثمنَّ الرئيس أحمدى نجاد دفاع قادة دول مجموعة (دى-٨) عن حق إيران فى امتلاك الطاقة النووية للأغراض السلمية فى البيان الصادر عن القمة.

هذا وقد اختتم مؤتمر قمة بلدان مجموعة (دى-٨) أعماله فى جزيرة بالى باندونيسيا وحضره الرؤساء الإيرانى محمود أحمدى نجاد والأندونيسى سوسيلو يامبانغ والنيجيرى أوباسانجو ورؤساء وزراء ماليزيا عبدالله أحمد بداوى وتركيا رجب طيب أردوغان وباكستان شوكت عزيز ووزير الخارجية البنجلاديشى ووزير التعاون الدولى المصرى.

ودعا رؤساء وكبار المسؤولين فى الوفود المشاركة فى القمة للإسراع بانضمام الجمهورية الإسلامية الإيرانية لمنظمة التجارة العالمية.

وأكد البيان الختامى للمؤتمر على اتخاذ خطوات سريعة على هذا الصعيد وضرورة انضمام جميع بلدان العالم لهذه المنظمة.

وصرح البيان: (فى هذا الإطار نعلن دعمنا الكامل لانضمام الجمهورية الإسلامية الإيرانية بسرعة لهذه المنظمة).

وكانت القمة قد بدأت أعمالها صباح نفس اليوم فى جزيرة بالى الأندونيسية.

وقال رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية محمود أحمدى نجاد فى كلمته التى ألقاها فى مراسم افتتاح القمة: إن عزة وقوة الأمة الإسلامية ستخدم السلام والأمن فى المجتمع الإنسانى وبإمكاننا أن نقدم أنموذجاً مناسباً من التعاون والتفاهم القائم على العدل.

وأضاف أحمدى نجاد: لقد تم خلال الفترة الماضية تحديد وتدوين الأهداف وأطر التعاون واتخذت إجراءات تنفيذية ولكن هناك مسافة بعيدة للوصول إلى ما نصبو إليه.

وأكد رئيس الجمهورية: من دون شك فإن هناك فرصاً متاحة لتعزيز التعاون بين الدول الأعضاء ويمكن من خلال التعاون بين الدول الأعضاء اتخاذ خطوات أكثر جدية للتأثير الإيجابى على المستجدات الدولية وبالتالى تحقيق قوة وتقدم الأمة الإسلامية.

وأردف أحمدى نجاد يقول: إن أعضاء مجموعة (دى-٨) هم جزء من الأمة الإسلامية ولدينا دوافع وتطلعات مشتركة، وسيؤدى تعزيز التعاون الشامل الاقتصادى والمزيد من المساهمة والتأثير على التطورات الإيجابية إلى تعزيز قدرات وتطور الأمة الإسلامية والدول الأعضاء.

وأكد رئيس الجمهورية بأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعتبر من واجبها بذل قصارى جهدها لتعزيز المجموعة وتنمية التعاون الشامل والمشترك وتفتخر بتفويض رئاسة المجموعة إلى أندونيسيا القوية.

وأعرب أحمدى نجاد عن ثقته بأن رئاسة أندونيسيا لمجموعة (دى-٨) ستؤدى إلى تحقيق الأهداف والمصالح المشتركة ومزيد من النجاحات.

وأكد رئيس الجمهورية على تعزيز التعاون بين الدول الإسلامية وقال: إن من الضرورى توطيد التعاون الثنائى ومتعدد الأطراف والمساهمة الجماعية بين الدول الإسلامية على مستوى العالم.

وأضاف أحمدى نجاد: إن الاجتماع يعقد فى زمن تفرض فيه القوى المتغطرسة شروطا غير متكافئة وتحول دون التقدم الاقتصادى والصناعى والعلمى للدول والشعوب.

وأكد أحمدى نجاد أن بإمكان التكتلات الجديدة أن تلعب دوراً متميزاً فى إطار المجموعات المتجانسة والإقليمية وخارج الحدود.

وصرح رئيس الجمهورية بأن إمكانيات وقدرات الدول الأعضاء التى يبلغ عدد سكانها نحو ٩٠٠ مليون نسمة وارتقاء حجم التجارة فيما بينها من ١٢,٥مليون دولار فى عام ١٩٩٩م إلى ٣٣ مليون دولار فى عام ٢٠٠٢م، ومستوى التبادل التجارى بين مجموعة دول (دى-٨) والعالم والبالغة معدله ٧٣٠مليون دولار مؤشر على أن دول هذه المجموعة قادرة على تشكيل قوة تخدم التطور الاقتصادى والعلمى والفنى للدول الأعضاء فى العالم الإسلامى وبقية الشعوب، وتلعب دوراً هاماً فى ترسيخ السلام والاستقرار فى المنطقة والعالم على أساس العدالة.

وأكد رئيس الجمهورية على ضرورة عدم تجاهل دور مجموعة (دى-٨) فى الارتقاء بمكانة شعوب الدول الأعضاء على الساحة الدولية.

وأعلن أحمدى نجاد استعداد إيران للتعاون فى مشاريع جديدة تتعلق بالبيئة والسياحة وتحسين استهلاك الطاقة والتقنية الحديثة لإنتاج الطاقة وتبادل الكوادر المتخصصة وتنظيم الأسواق المالية معرباً عن أمله بتنمية التعاون بين

الدول الأعضاء من خلال تنفيذ هذه المشاريع.

وفى ختام كلمته، قدّم رئيس الجمهورية تعازيه للرئيس النيجيرى بمناسبة وقوع انفجار فى خط أنابيب النفط والذى أسفر عن مقتل العديد من المواطنين النيجيريين معرباً عن مواساة الحكومة والشعب الإيرانى مع الشعب النيجيري.

وكانت إيران تترأس الدورة السابقة لهذه المجموعة وقد نقلت الرئاسة إلى اندونيسيا خلال هذا المؤتمر.

وقد عقدت هذه المجموعة قمتها الأولى فى اسطنبول بتركيا عام ١٩٧٩م والرابعة فى طهران قبل عامين.

وتأسست هذه المجموعة فى ٢٢ تشرين الثانى/ نوفمبر عام ١٩٩٤م بهدف تعزيز التعاون بين البلدان الإسلامية النامية الثمانية.

وكان رئيس الجمهورية قد قال أمام البرلمان الأندونيسى: إن الغرب يستخدم التكنولوجيا النووية كأداة للتسلط.

وتساءل أحمدى نجاد فى كلمته التى ألقاها: (إذا كانت الطاقة النووية جيدة فإن من حقنا الاستفادة منها وإذا كانت سيئة فإن على البلدان الغربية أن لا تمتلكها أيضاً).

وتابع رئيس الجمهورية كلمته التى ترافقت مع تشجيع نواب البرلمان الأندونيسى قائلاً: (إن البلدان الغربية ليست قلقة من انحراف إيران فى برنامجها النووى وإن مزاعمها بهذا الشأن أكذوبة كبيرة).

وأوضح: (إن البلدان الغربية هى التى انحرفت عن هذا السبيل وإذا كان الأمر قائماً على تطبيق العدل فإن الخطوة الأولى هى منع هذه البلدان من

الانحراف).

وأكد أحمدى نجاد على أن امتلاء ترسانات هذه البلدان بالأسلحة النووية وتجاربها الجديدة على هذا الصعيد هو دليل واضح على انحراف المتشدقين الغربيين فى استخدام التقنية النووية.

كما بيّن أن مرحلة سيادة رغبات ومطالبات الشعوب قد اقتربت الآن.

وأعلن رئيس الجمهورية فى ختام كلمته عن استعداد طهران الكامل لتمتين وتعزيز العلاقات والروابط مع جاكارتا وقال: إن هذه العلاقات ستصب فى مصالح العالم الإسلامى.

من جانبه، أكد آجونج لاكسونو رئيس البرلمان الأندونيسى فى كلمته على حق ايران فى الاستخدام السلمى للطاقة النووية، وأعلن عن استعداد بلاده للاستفادة من الطاقة النووية.

وفى هذه الجلسة، تحدث عدد من النواب فى هذا البلد حيال المواقف الواعية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بشأن استخدام التكنولوجيا النووية وأشادوا بمواقف طهران وأعلنوا دعمهم لها فى هذا المجال.

أحمدى نجاد: على مجلس الأمن أن يثبت أنه مؤسسة ليست بيد القوى العظمى

أكد رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدكتور محمود أحمدى نجاد أن "على مجلس الأمن الدولى أن يعمل وفق القوانين والقرارات الدولية وأن يثبت عمليا هل هو مؤسسة دولية تضمن أمن البلدان والشعوب أم أنه أصبح أداة بيد بعض القوى العظمى"، وأشار فى ختام اجتماع للحكومة الإيرانية إلى تقرير البرادعى الأخير فى مدينة زنجان، موضحاً أن "الدول التى تنتج القنابل النووية وتجرى التجارب عليها لا يمكنها أن تمنع إيران من ممارسة حقها المشروع فى مواصلة برنامجها النووى المدنى لمجرد ادعائهم بوجود نقاط مبهمة فى البرنامج"، وقال: "بالإمكان إزالة النقاط المبهمة، فإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية باعتبارها بلدا نوويا على استعداد أن تدخل فى حوار مع كافة البلدان والمؤسسات الدولية إلى جانب سائر الدول النووية الأخرى فى العالم من أجل ضمان تحقيق السلام العالمى".

وأضاف أحمدى نجاد مخاطبا الغرب "احترموا حقوق الشعب الإيرانى وضعوا الملف النووى الإيرانى فى مساره القانونى الصحيح بإبقائه فى إطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية"، مؤكداً أن "الجمهورية الإسلامية الإيرانية لا تتفاوض أبدا مع أى كان حول حقها المشروع فى استخدام التقنية النووية لأغراض سلمية". وشدد على "ان هذا هو خطنا الأحمر وسوف لن نعدل عنه بأى حال من الأحوال، إلا اننا على استعداد للتعاون والحوار مع كافة الدول التى تمتلك التقنية النووية حول الطرق التى تضمن عدم انحراف الدول المنتجة للوقود النووى.

٢٠٠٦/٤/٢٩

نجاد يؤكد أن الشعب الإيرانى سيدمغ وصمة العار على جباه الأعداء

قال رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدكتور محمود أحمدى نجاد أنه إذا اعتدى أحد على حقوق الشعب الإيرانى، فإن هذا الشعب سيدمغ وصمة العار على جباههم.

وذكر موفد وكالة مهر للأنباء أن رئيس الجمهورية وصف فى كلمة ألقاها فى أهالى مدينة زنجان فى ملعب العمال مدينة زنجان بأنها مهد للحضارة والثقافة وترعرع فيها العلماء والمجاهدون والفنانون.

وأشار رئيس الجمهورية إلى تسمية العام الحالى ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م بعام الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) واعتبره عاما للعبودية والتقرب إلى البارى تعالى والرحمة والمحبة والعاطفة والتطور ورقى المجتمع الإسلامى وخدمة العباد.

ووصف أحمدى نجاد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) بأنه القدوة الكاملة للبشرية جمعاء وأن اتباع تعاليمه تكفل سعادة الدنيا والآخرة.

وأكد رئيس الجمهورية أن المشكلة الراهنة التى تواجه البشرية هى الابتعاد عن ثقافة وتعاليم الأنبياء مؤكدا أن جميع المظالم والمشاكل وأعمال العنف ناجمة عن الابتعاد عن ثقافة الأنبياء ولهذا السبب نرى مع الأسف أن بعض القوى المتغطرسة تسلب الشعوب كرامتها الإنسانية.

وأكد رئيس الجمهورية أن هدف القوى المتغطرسة هو إبقاء الشعوب متخلفة وأن يسود فيها الظلم والفساد بدلا من العدالة.

وأعتبر أحمدى نجاد أن رسالة العالم اليوم هو العودة إلى تعاليم الأنبياء

مضيفا موضحا إن إحدى نتائج جرائم بعض القوى المتغطرسة التى ابتعدت عن سيرة وأخلاق الأنبياء هو استمرار السياسات العنجهية التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية.

واعتبر الجرائم التى ترتكب ضد الشعب الفلسطينى هى مثال لهذه الممارسات العنجهية للقوى المتغطرسة وقال : إنهم يقمعون فقط بذريعة احداث الحرب العالمية الثانية.

وأضاف رئيس الجمهورية: عندما نطرح هذه التساؤلات على العالم فإنهم يثيرون ضجة ويدعون أن الإيرانيين دعاة حرب ولكننا دعاة سلام ولكن لا نريد سلاما مفروضا السلام الذى يأتى عبر إبادة مئات الآلاف من الأشخاص وتشريد الملايين هذه جريمة وليست سلاما.

وأعرب رئيس الجمهورية عن أسفه لأن بعض الشعوب الأوروبية وبعد مضى ٦٠ عاما من انتهاء الحرب العالمية الثانية لا تزال رهينة لنتائج تلك الحرب ولايسمح لها بانتهاج سياسة مستقلة.

وأشار إلى أن الشعب الألمانى مثال على هذا الكلام مضيفا : مازال إلى الآن يولد أشخاص فى ألمانيا يعتبرون مدينين لبعض الصهاينة.

وأكد أحمدى نجاد أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تقف إلى جانب شعبها وشعوب المنطقة متسائلاً لماذا يجب أن يكون الجيلان الثالث والرابع بعد الحرب العالمية الثانية مدينين كذلك لتلك الممارسات.

ووجه رئيس الجمهورية كلامه إلى بعض الدول المتغطرسة قائلا : إذا لم تقبلوا نداء الشعوب ولم تقفوا إلى جانب شعوبكم، فإن قدرة شعوبكم ستزيلكم عن

مقاعد السلطة، وقد أيد أهالى زنجان كلام أحمدى نجاد عبر التكبير والهتاف بشعار الموت لأمريكا.

وأضاف رئيس الجمهورية : لايمكن من خلال التشويه واستغلال بعض المنظمات الدولية التغطية على الوجه الكريه والظالم للقوى المتغطرسة أو فرض شىء على الشعب الإيرانى أو إرغامه على التراجع عن حقوقه الطبيعية من خلال قناع الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومجلس الأمن.

وتطرق رئيس الجمهورية إلى إنجاز دورة الوقود النووى فى البلاد وقال: إننا حصلنا على هذه التكنولوجيا بدون مساعدة الآخرين ولايمكن لأحد أن يسلبها من شعبنا لأنها الحق الذى يطالب به الشعب كله.

وأضاف : إن إيران النووية تدعو إلى السلام والاستقرار ولا تشكل تهديدا لأحد.

وأعلن رئيس الجمهورية استعداد إيران للمساعدة فى نزع أسلحة جميع الدول والتفاوض حول السلام والأمن مضيفا : إذا اعتدى أحد على حقوق شعبنا فإن الشعب الإيرانى سيدمغ وصمة العار على جباههم.

وفى ختام كلمته أعرب رئيس الجمهورية عن تقديره للاستقبال الرائع لأهالى زنجان معتبرا ذلك دليلا على صمود الشعب الإيرانى من أجل حمل راية التوحيد والعدالة فى كافة أنحاء البلاد.

شهادة الأستاذ هيكل

أدلى الأستاذ محمد حسنين هيكل بدلوه فيما يخص الأزمة الإيرانية النووية قائلا:

- أنا أعتقد أن إيران ،الثورة الإيرانية، بداية من أول يوم كانت تشعر بأنها مستهدفة، ونواجه الحقيقة، أن الثورة التى حدثت فى إيران هى أكبر تغيير استراتيجى جرى فى المنطقة فى الجزء الأخير من القرن العشرين، وأيضا هى مستهدفة وكانت تشعر باستمرار أنها فى خطر، وكأى دولة كانت تسعى للخيار النووى، وأنا فى الفترة الأخيرة كنت قد قابلت ناساً لهم علاقة بهذا الملف، وقد قابلت الدكتور محمد البرادعى مرتين فى الفترة الأخيرة، وقابلت محمد خاتمى لعدة ساعات فى الفترة الأخيرة، وكوفى عنان، والموقف فى إيران.. حيث أن الإيرانيين لعبوا بإرادتهم بذكاء شديد جدا، وكان واضح أنهم مصممون على تحقيق هدف التخصيب، وهنا يتضح قضيتان: قضية أن إيران تسعى لامتلاك قوة تردع آخرين عن المساس بها، وهناك آخرون يريدون أن يمنعوها بكل وسيلة من حاجتها: المعرفة، حيث إن المعرفة هى العالم وهى المستقبل والزمن والعصر، الشىء الثانى هو الرغبة فى تغيير النظام، وعندما يقوم أحد بدراسة تصرفات الرئيس الأمريكى بوش والإدارة الأمريكية كلها يعتقد أنه فعلا هذا هو الهدف الموجود، فالنظام هنا أنا أعتقد أنه واحد لم يخف نواياه، قال منذ البداية أنا أسعى إلى هذا وأسعى إلى المعرفة ولا أسعى إلى الأسلحة، ولكن الإسرائيليين كانوا يعرفون اكثر من اى حد تانى وهم اكثر عنصر ملح فى هذه المسألة انه ليس هناك هذا الفاصل الكبير بين المعرفة وبين الأسلحة، وبالتالى كانوا يحاولون أن

يمنعوا، لكن إيران استطاعت أن تستفيد فائدة مهولة جدا من ظرف ناشئ فى العالم كله، والأمريكان فى مجريات ١١ سبتمبر بصرف النظر عن أى حاجة تانية، وفاة العالم فى لحظة سياسية ليست لها قواعد، لأنه عندما يفاجئ الناس بحدث كبير جدا فى السياسة الدولية، على النحو الذى جرى فى ١١ سبتمبر، بصرف النظر عن من وكيف كان؟ هذا حدث متغير ولكن الذى حدث أن أمريكا انشغلت به وبأعقابه، وبدأت تضرب فى أفغانستان وفى العراق، وفى هذه الفترة لعب الإيرانيون بذكاء، وكل الأطراف الدولية قالوا لى إن إيران تسعى لكسب الوقت، فأمريكا ترى أن إيران تسعى لكسب الوقت، ولكن لم تستطع أن تفعل شيئا فى هذه الفترة إلا أن ركزت على إيران، والحاجة الغريبة وأنا قلتها قبل ذلك، ليس هناك سياسى إسرائيلى راح وتحدث أو جاءت له الفرصة و تحدث مباشرة مع أى زعيم عربى إلا وتحدث عن الموضوع الإيرانى وكان له الأولوية الأولى، وهم كانوا يشعرون بأن إيران فى وضع أفضل لأن بها الموارد والاستقلالية فى اتخاذ القرار والكادر الإنسانى، وقد استفادت من تجارب أخرى، ولكن هى حاولت أن تكسب الوقت، وحاولت أن تستغل الوقت بشكل جيد جدا، الدكتور عبدالقادر كان على سبيل المثال فى الفترة الأخيرة قدر عليه أن يرى أو يخضع لعملية استجواب بواسطة خبراء من ال سى. آى. إيه ليل نهار لكى يعرفوا ماذا أعطى لإيران بالضبط، ونحن دخلنا فى موضوع أن إيران استطاعت أن تمارس إرادة معينة واستطاعت أن تحدث اختراق مصير، ولكن فى هذه اللحظة، أنا أعتقد أن إيران مهددة، وفى اعتقادى أن هذا التهديد مكلف جدا، ويحتاج إلى عوامل ودوافع تدعو أمريكا إلى الضرب وعوامل تدعو إلى التمهل، والحاجة الأولى التى تدعو

إلى الضرب هى الضغوط الإسرائيلية فإسرائيل لا تطيق أن تشاركها دولة أخرى فى المعرفة النووية، فضلا عن الإسلام وهى قضية أخرى، وأمريكا نفس الشىء ولكن أمريكا حاولت بكل الوسائل النفسية لكى تعطل، ولكن هذه الوسائل لم تنجح، ونحن نرى بعض المناورات قامت بها إيران وطلعت بالصواريخ وعملت استعراض، ولكن نسينا قبلها أن الأسطول الأمريكى فى الخليج، عمل أكبر مناورات حية، وكما يقال عنها إنها فوق الكتف وإيران تدرك أن لديها وسائل للدفاع عن نفسها، وأعتقد أن الخوف الأكبر فى هذا الموضوع هو العنصر الإسرائيلى.

وفيما إذا كانت إيران استفادت من تجربة الرئيس السابق صدام حسين بمعنى أنها لم تشأ بأن تدخل فى مواجهات حادة إلا بعد أن أعلنت أنها توصلت لتخصيب اليورانيوم، بمعنى أنها لم تطلق تصريحات نارية أو مخيفة على الأقل بدرجة معينة، إلى أن أعلنت الآن، بمعنى انها الآن إلى حد كبير محمية أو محصنة وتخيرت النموذج الكورى الشمالى على غيره من النماذج

نرى أن الإيرانيين لعبوا بأوراقهم بذكاء، وأنهم لم يخفوا نواياهم فى أى وقت من الأوقات، وأن الخطر فى الأطراف عند السياسة الدولية، الناس يقولون النوايا أكبر من قدراتهم، لكن الإيرانيون استطاعوا أن يفعلوا، وأنها نقطة لابد أن تسجل لهم، إنهم قالوا نوايا وأعلنوا عنها بطرق مختلفة، وبلهجات ونبرات متفاوتة بين القوة والهدوء.. إلخ، حيث كان هدوء فى خطاب خاتمى وفى وقت كان رفسنجانى له تعبير بطريقة أخرى، وأحمدى نجاد التعبير بشكل آخر، ولكن هم لم يخفوا نواياهم، والأهم من ذلك أن هناك أحد استطاع أن يجعل ما يحققه قريباً من

نواياه، وهو العنصر الذى يعطى منطق الأخلاق بجانب منطق القدرة، وأنا أعتقد حتى هذه اللحظة أنهم لعبوا أوراقهم بذكاء، لكن نحن مقبلون على مرحلة فى منتهى الصعوبة.

إننا جربنا وحاولنا بصرف النظر كانت ناجحة أو فاشلة، ولكن الإيرانيين وهو منطق طبيعى جدا، وهذا علم العصر وكل الدول تعمل فى التخصيب وإذا أحببت أن أعد الدول التى تعمل فى التخصيب تصل إلى ١٤ دولة تعمل فى هذا المجال، فهذا العلم مسموح لك به ولكنه محجوب عنك وهذا لا ينفع، فمن الناحية العلمية هى مسألة مهمة جدا ولابد أن تعيش عصرك، والشىء الثانى أن هذا البلد مؤدب فأنا حزين فيما يبدو أنى أدافع فقط عن إيران، فهذا البلد جيرانه من أول يوم حاولوا غزوه، حاولوا ليس فقط العراق الذى سعى إلى غزو إيران بل أطراف إقليمية أخرى هددت أمن إيران، أنا أريد أن أقول لك إننا رتبنا بعض الأطراف العربية رتبت مرات لعمليات غزو إيران، ورتبوا مع قبائل وذهبت قوات تستعد للعبور، لتدخل فى حرب عصابات مع قبائل، وقد دفعت مبالغ، وراحت أطراف تنتظر ضباط الاتصال ثم يظهر أحد على الجانب الإيرانى، فهذا بلد مهدد من جيرانه، والمحيط الدولى حوله صعب، وعنده إسرائيل ترغب فى احتكار نوع من هذه التكنولوجيا، وأنا هنا عند المبرر الأمنى كله بعد المبرر العلمى أنه يقف وأنه يحاول أن يصل، ثالثا: كلنا نعرف أن الطاقة لها أجل محدد، فطاقة البترول لها أجل محدد والعالم كله يبحث عن بدائل، وأن أهم البدائل موجودة فى هذه اللحظة وهى الطاقة النووية، حتى لو كانت إيران عندها طاقة نووية، أى دولة عندها موارد بترولية ليس هناك ما يمنعها بضرورات مستقبلها، إذا كانت

تتحدث بجدية، وأن تبحث عن مصادر طاقة بديلة، وأنا لا أتصور أنهم فعلوا شىء خطأ، وأنا أتصور أن هذا كان حقا بكل المقاييس التى تضعها لكى تحقق موقف تستند إليه.

وحول وصاياه لخروج إيران من مأزقها الحالى، وما إذا كانت إيران تسير خطوة فى الاتجاه الصحيح.

يقول: أنا أقول أولا الاتجاه الخاطئ أنك تفعل ما يحرمه عليك القانون، فهذا خطأ، أن تفعل ما تحرمه عليك ضرورات أمنك، فكل دولة فى العالم مرتبطة بعدة أشياء منها: القانون العام الذى يحكم العالم وميثاق الأمم المتحدة، وضرورات أمنك، وطموحاتك الطبيعية وهنا يوجد علم بالمستقبل، فالطاقة النووية علم مستقبل، لكن يبقى هذا مكسب لإيران وهو حتى اليوم تخصيب فالقنبلة أمامها فترة، لكن كل طرف يكسب بما يصنع، والاعتماد على الآخرين فى أنها قنبلة إسلامية، وقنبلة عربية لن يحدث هذا أبدا، فالقنبلة الباكستانية أمامنا ولم تفعل شيئا، لكن يبقى مسألة مهمة جدا، اعتبرها من وجهة نظرى هى أنى لا أرغب ولا أتصور أى طرف عربى حقيقة ممكن يرغب أن تظل دولة واحدة فى المنطقة عندها احتكار القوى النووية، وأن هذه الخطوة مهمة جدا بالنسبة لإيران فى كسر احتكار إسرائيل النووى ولا أكثر، وأقول أيضا فى يوم من الأيام لابد أن نطالب بشيوع هذه المعرفة، وأن نحاول بشيوعها، لأنه سهل المنطق الذى تعتمده، وهى محاولة شراء الأشياء، فهى أشياء لا يمكن أن تشترى، أو نحاول بالصداقة أن نحصل على هذه الأشياء، فهناك أشياء لا يعطيها الصديق لصديقه، وهناك أشياء متعلقة بالحياة والموت، ولابد من أصحابها هم فقط أن يفعلوها.

وما إذا كانت حسابات إيران هى حسابات إيرانية بحتة يقول:

- أريد أن أقول إن فى بعض المجالات العنصر الوطنى يظل دائما العنصر الحاكم، العالم العربى الإسلامى مَوَّل القنبلة النووية الباكستانية، وهى قنبلة وليس تخصيبا، أريد أن أقول إن من ناحية معينة كل اختراق من هذا النوع هو مكسب من الدرجة الأولى وطنى حيث إنه لا يوجد من تبرع بأسرار أهم سلاح موجود فى العالم، ونحن تحدثنا مرات مع الصينيين وهم سابقون فى هذا المجال، والصينيون قالوا لنا بوضوح قبل حرب ١٩٧٣ قالوا لمعمر القذافى: إن الأسرار النووية ببساطة ليست للبيع بين الدول فعليكم أن تبحثوا ونحن علينا مساعدتكم فى العلم، فكل طرف يحصّل سبباً من أسباب القوة الهائلة يحتفظ بها لنفسه.

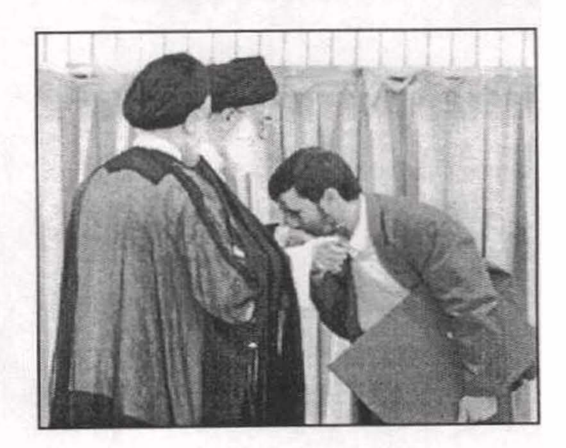
ويؤكد أن الخيار العسكرى ضد إيران وارد وهى أنواع من الخيارات العسكرية ومنها: الخيارات الأمريكية ومنها: القوات الأمريكية داخل العراق ولا يوجد قواعد عربية محيطة بها كما حدث فى العراق، وهى بعيدة عن القوة البرية، وأن أمريكا ليست لديها قوات برية، والضرب بالطيران من بعيد وأنا أرى من بعض التقاير التى تقول إذا أراد الأمريكان أن يقوموا بضربة جوية قادرة وناجحة فلابد لهم أن يضربوا ٤٠٠ هدف فى نفس اللحظة، فلا بد من ضرب المنشآت وأيضا الوسائل التى تقوم بها إيران فى الضربة الثانية، وهذه مسألة صعبة جدا بجانب أنك لن تقدر ببساطة أن تستعمل قواعد موجودة، أو تسهيلات موجودة فى البلاد العربية حيث إنها خطرة جدا، وأن حلفاء أمريكا ينصحون فالإنجليز متقدمون بخطط، ونلاحظ أن الإنجليز بدأوا يتحركون من واقع الأمر حيث إن الخيارات العسكرية

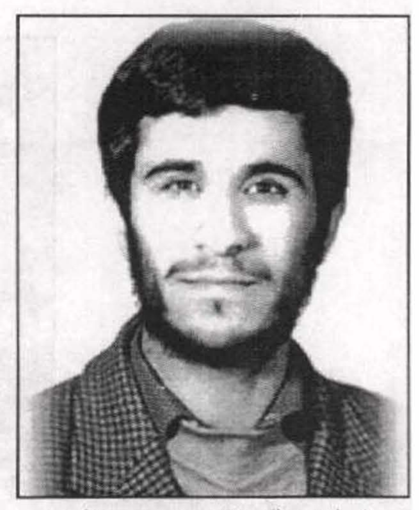
بدأت فعلا ضد إيران، بمعنى أننا نعرف أن هناك قوات متسللة دخلت الحدود الإيرانية وأن هناك خطوط اتصالات بين القبائل الإيرانية، فالإنجليز يقترحون العمل من الداخل وأن تقوم بزعزعة النظام من الداخل، حيث لا بد وأن أسلم بأن الأحوال الداخلية فى إيران قبل التعبئة الشاملة للموضوع النووى، لم تكن على أفضل حال، وهنا جاء الموضوع النووى أخذ الناس بدعوة مهمة جدا، ولكن أسباب الضعف موجودة، وهذه فرصة بالنسبة للإنجليز يحاولون استغلالها وكما حدث فى الأهواز، فالإيرانيون يحاولون أن يضربوا فى البصرة، ويحاولوا أن يحدثوا نشاطا داخل البصرة، وفى واقع الأمر أن لعبة الخيار العسكرى داخل إيران بدأت.




الصور







فى شبابه وقت انضمامه للحرس الثورى



الثقة فى الله.. والنصر



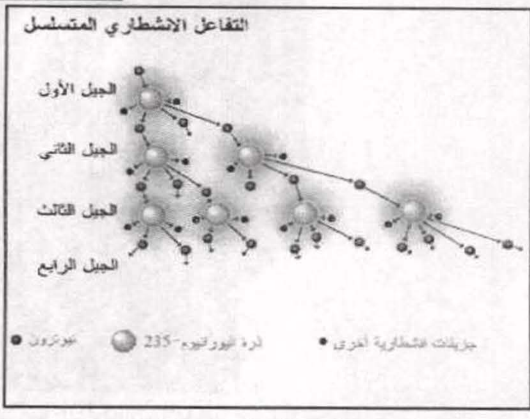
الطريق المستقيم: الطريق إلى الهدف



داخل مفاعل نووى إيرانى



مشهد خارجى لمفاعل بوشهر النووى الإيرانى



التفاعل الانشطارى النووى



يقبل العلم الإيرانى



تقدير للزعيم آية الله على خامنئى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية



جيل جديد ونظرة الى المستقبل



مع أمير قطر



مع وزير خارجية قطر



مع الرئيس السوري بشار الأسد



الصورة التى أدعت أميركا أنها للرئيس نجاد أيام حصار الرهائن
فى السفارة الأميركية فى طهران بعد الثورة مباشرة



يسير بثبات نحو اللحاق بالنادى النووى



مع الزعيم الفنزويلى هوجو شافيز



مع كوفى عنان سكرتير عام الأمم المتحدة، مما يعكس المرونة الدولية



مع الرئيس الاندونيسى واستمرار الصراع مع الغرب



من وسط الشعب الفقير جاء ليحكم ولا يتحكم



مع الجماهير فى مدينة زنجان الإيرانية





مع قادة الجيش فى عرض عسكرى



ليس هناك أغلى من القرآن الكريم





يرفض رابطة العنق ويحتفظ بالكوفية

احترام وتقدير للمرأة التى كرمها الله

قيادات الهرم السياسى فى طهران يتصدرهم آية الله على خامنئى والرئيس نجاد



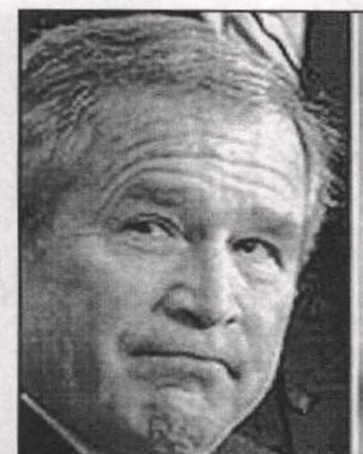
يتجول فى السوق بدون حراسة تعزله عن الناس



كان يتمنى أن تحقق إيران فوزاً فى كأس العالم بألمانيا

صورة العام ٢٠٠٦





نجاد
فى
مواجهة
بوش



نجاد
المهندس
الذى
يبحث
عن
تكنولوجيا
جديدة

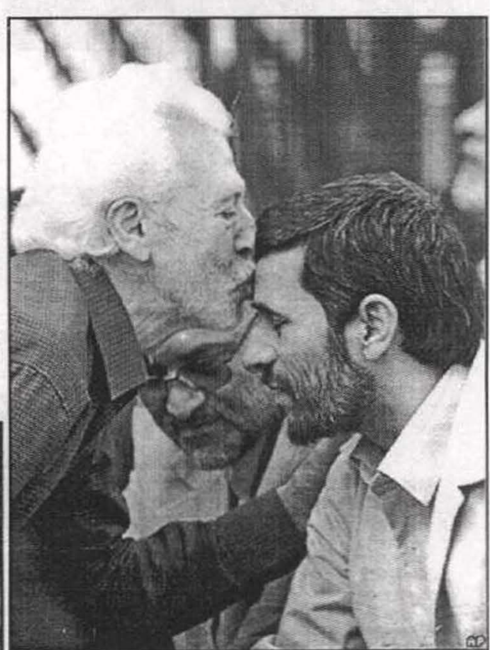




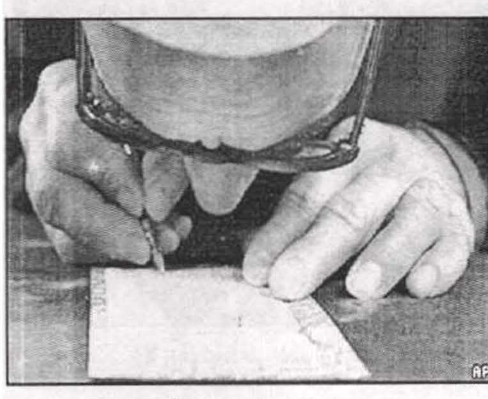
يتابع
تقريراً
عسكرياً
مهما



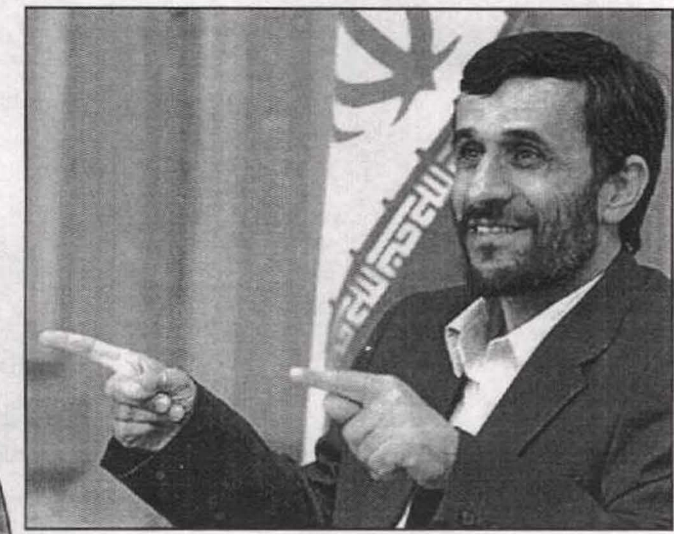
المرشد الأعلى للثورة يدلى بصوته فى الانتخابات



مواطن عجوز يقبله بعد فوزه فى الانتخابات



إيرانى فى الريف يعطى صوته لأحمدى نجاد



رجل بسيط فى مظهره عميق فى جوهره



واثق الخطوة يمشى ثائراً



(لا) يقولها بأعلى الصوت فى مواجهة الهيمنة الأميركية



مع الرئيس العراقى جلال طالبانى



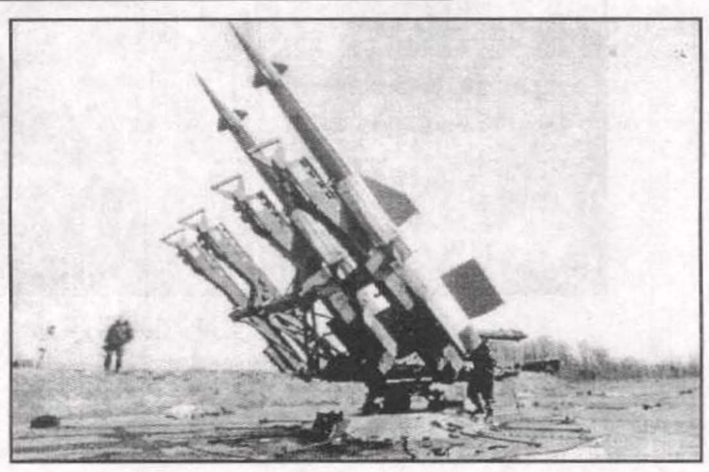
حوار مع رئيس الوزراء العراقى السابق إبراهيم الجعفرى



يتفقد قواته المسلحة



صواريخ إيرانية بحرية تستطيع اصطياد حاملات الطائرات الأميركية





وحدة صواريخ دفاع جوى إيرانية جاهزة للردع

روسيا
بريطانيا
فرنسا
اسرائيل
ايران
كوريا الشمالية
الصين
الولايات المتحدة
ليبيا
تايوان
البرازيل
باكستان
الهند
جنوب افريقيا
الارجنتين

القوى النووية العظمى
قوى نووية اخرى
البلدان المشبوهة بتطويرها برنامجا نوويا
البلدان التي طورت في السابق برنامجا نوويا

المنشآت النووية فى العالم



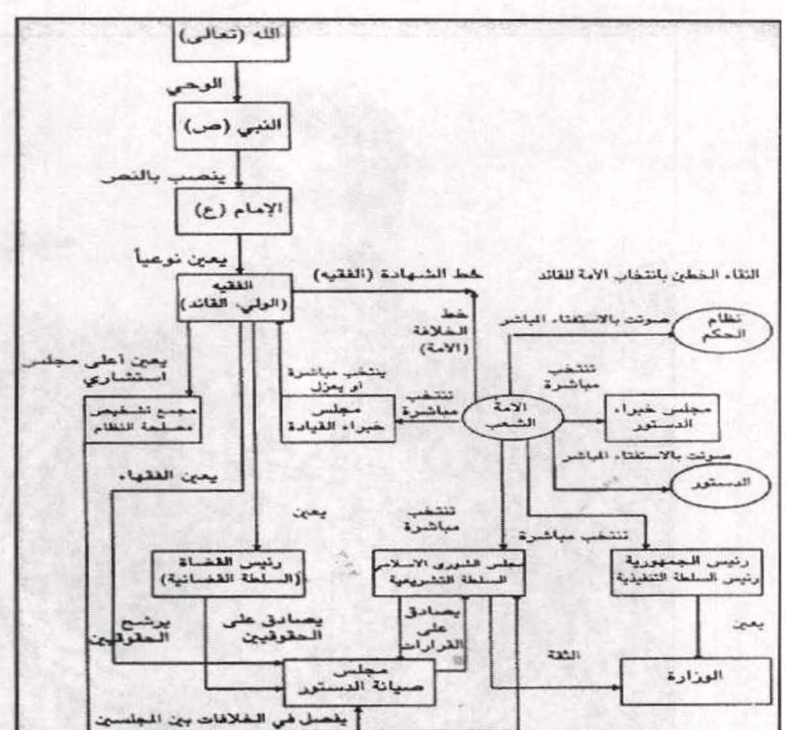
نظام دفاع جوى إيرانى متحرك ذو كفاءة عالية

المنشآت النووية فى إيران

الزعيم الراحل آية الله الخمينى مستقبلاً ياسر عرفات رحمهما الله



لقاء بين الرئيسين حافظ الأسد وهاشمى رفسنجانى يعكس عمق العلاقة بين البلدين



تشكيل الهرم السياسى والدينى فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية



أحمدى نجاد.. بساطة الحياة سر قوته

رغم كثرة مواجهاته إلا إن الرياضة تلقى اهتمامه



أول من
سمح للنساء
بالظهور فى
ملاعب كرة
القدم منذ
قيام الثورة
الإسلامية
فى إيران

المصادر

•كتب:

١- لواء حسين عدلى عبد اللطيف - الآثار الاستراتيجية لثورة إيران - مركز النيل للإعلام - القاهرة ١٩٨٠

٢- السيد زهرة - الثورة الإيرانية- الأبعاد الاجتماعية والسياسية - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة - ١٩٨٥ .

٣- ارثر كريستين - إيران فى عهد الساسانيين- ترجمة د. يحيى الخشاب - مراجعة د. عبد الوهاب عزام - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٨ .

٤- د. جمال على زهران - ديناميكية السياسة الخارجية والدور المصرى فى ظل التحولات الجديدة - دار المحروسة - القاهرة ٢٠٠٥ .

٥- عادل الجوجرى - أسرار وخفايا المقاومة العراقية - دار الكتاب العربى- القاهرة - دمشق ٢٠٠٦ .

٦- وليمساليفان - أمريكا وإيران - دار الملتقى للنشر - قبرص ١٩٩١ .

٧- مؤتمر أدباء مصر فى الأقاليم - ثقافة المقاومة - دراسات وبحوث - الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٦ .

٨- محمد إبراهيم بسيونى - المؤامرة الكبرى، مخطط تقسيم الوطن العربى - دار الكتاب العربى- دمشق- القاهرة ٢٠٠٤ .

٩- د. مصطفى اللباد - العلاقات العربية- الإيرانية - بحث مقدم إلى المؤتمر السنوى الثامن "نحو منظور جديد للعلاقات العربية الآسيوية" - مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة ، ٤-٥ فبراير ٢٠٠٣ .

١٠- التقرير الاستراتيجى الخليجى (٢٠٠١) - أمن الخليج -إعداد د. حسن أبو طالب .

١١- مصر وإيران وتركيا - الواقع الاقتصادى والعلاقات الأوروبية-إعداد: أحمد السيد النجار -٢٠٠٣ - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - الأهرام- القاهرة.

١٢- إنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط - الفرص والتحديات-تأليف د. فوزى حماد ود. عادل محمد أحمد - إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة-يوليو ٢٠٠٥ - القاهرة.

• صحف ومجلات

١- مجلة "الغد العربى" - العدد ٧٥- أبريل ٢٠٠٦ .

٢- مجلة "مختارات إيرانية"- الصادرة عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة - الأعداد: ٥٤ (يناير ٢٠٠٤) و٥٧ (أبريل ٢٠٠٥) و٥٨ (مايو ٢٠٠٥).

٣- مجلة "المستقبل العربى" الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - العدد ٦ / ٢٠٠٥ .

٤- صحيفة "الأهرام المسائى" - القاهرة - ٢٠٠٦/٥/٢١ .

٥- صحيفة "الحياة اللندنية" (أعداد متفرقة من عامى ٢٠٠٥/٢٠٠٦).

٦- مجلة "المشاهد السياسى" اللندنية (أعداد متفرقة من عامى ٢٠٠٥/٢٠٠٦).

٧- مجلة "مختارات إسرائيلية" الصادرة عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة - العدد ١٢١ يناير ٢٠٠٥ .

٨- مجلة "الأهرام العربى" العدد ٤٧٧ - ٢٠٠٦ .

٩- مجلة "النيوزويك" الأميركية ٢٣ مايو ٢٠٠٦ .

١٠- صحيفة "العربى" الناصرى - العدد ١٠٠٦ - ٢٣ أبريل ٢٠٠٦ .

١١- مجلة "نيويوركر" الأميركية - ٦ مارس ٢٠٠٦ .

• مواقع إليكترونية

١- وكالة الإذاعة البريطانية (B.B.C)

٢- وكالة (مهر) للأنباء الإيرانية.

٣- إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٤- صحيفة الوفاق الإيرانية.

٥- موقع قناة المنار على الإنترنت.

٦- موقع قناة الجزيرة على الإنترنت.

٧- موقع جريدة الشرق الأوسط.

٨- وكالة الأنباء الإيرانية.

٩- موقع صحيفة همشهرى الإيرانية.

الفهرس

رقم الصفحة

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٤٤٢٥ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-376-207-6